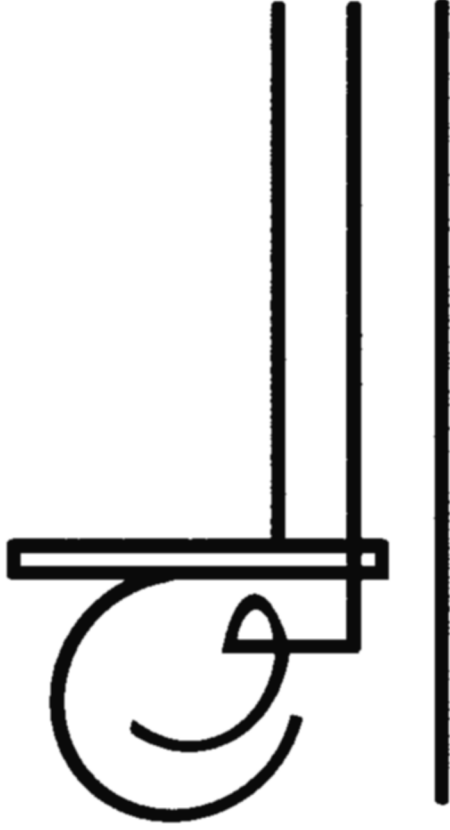




بيت الفقراء
نشر الثقافة الروحية
الجزء الثالث
ألواح ما بين قبر ومنبر

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الثالث

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	الحق والعدالة	محاضرة بدار نقابة المحامين	٢ ديسمبر ١٩٦٠ م	١
٢	الإنسان عالم لعبد ورب	حديث الجمعة	٢٤ مارس ١٩٦١ م	٣٣
٣	الإيمان والشهادة بمن تؤمن، ولمن نشهد	حديث الجمعة	١٠ فبراير ١٩٦١ م	٤٣
٤	الخلق ما بين يدي رحمة حقيقة وخلق وخلق حقيقي	حديث الجمعة	٧ أبريل ١٩٦٠ م	٤٩
٥	رجل الفضاء والمضاء رحلة إلى القلب وطواف حول القلب	حديث الجمعة	٢١ أبريل ١٩٦١ م	٦٣
٦	دنيا الرسول ودنيا الناس علمان يجتمعان ويفترقان في دنيا الله	حديث الجمعة	٢١ أكتوبر ١٩٦٠ م	٧١
٧	هو القادر فوق عباده يقهر الإنسان بالإنسان. ويحقق الإنسان بالإنسان كما علم الإنسان بالإنسان	حديث الجمعة	١٨ أكتوبر ١٩٦٠ م	٨١
٨	الدين والدنيا ما قبل محمد وما بعد محمد لا تفكروا في ذات الله وتفكروا في آلاء الله	حديث الجمعة	٥ نوفمبر ١٩٦٠ م	٨٩
٩	الغنى بالله والافتقار إليه ذبيح كربلاء	حديث الجمعة	٢٣ سبتمبر ١٩٦٠ م	٩٩

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١٠	عبد الله وإنسانه ما كان الله وما كان بيانه مع الموتى	حديث الجمعة	٣٠ ديسمبر ١٩٦٠ م	١٠٩
١١	منك وإليك ما حييت في الله عالمًا به وعالمًا له	حديث الجمعة	١٣ يناير ١٩٦١ م	١١٥
١٢	المقصود وجه الله المقصود رسول الله المقصود روح الله	حديث الجمعة	٣ فبراير ١٩٦١ م	١٢١
١٣	الإسلام لله في الإسلام لرسول الله	حديث الجمعة	٢ مارس ١٩٦١ م	١٢٩
١٤	ظاهر الله وغيب الله في لا إله إلا الله	حديث الجمعة	١٠ مارس ١٩٦١ م	١٣٣
١٥	إنسان الله معية آدم الرسول وآدم ما قبله وآدم ما بعده	حديث الجمعة	٣٠ سبتمبر ١٩٦٠ م	١٣٩
١٦	الإسلام سراج الفطرة وطريق الإنسان	حديث الجمعة	٩ ديسمبر ١٩٦٠ م	١٤٧
١٧	ذو القرنين و ذو قرنيها في الرقاب وتحت السحاب	حديث الجمعة	٢٨ أبريل ١٩٦١ م	١٥٧
١٨	بقية الله رسالة الروح بعد رسالة النفس ليقظة العقل وقيام الحياة	حديث الجمعة	٥ مايو ١٩٦١ م	١٦٥
١٩	آدم على صورة إنسانه فهو لله عنوان عنوانه نقطة مركز البداية وأطراف دائرة اللانهاية	حديث الجمعة	١٢ مايو ١٩٦١ م	١٧٥
٢٠	لبيك على عرفات أنفسنا	حديث عيد الأضحي	٢٤ مايو ١٩٦١ م	١٨٣

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٢١	دوام الإنسان وتجديد العنوان في عباد الرحمن	حديث الجمعة	٢٦ مايو ١٩٦١ م	١٨٩
٢٢	ثمرة قطفت من شجرة لتزرع في أرض المغفرة (بمناسبة انتقال الأخ أحمد قدري سليمان)	حديث الجمعة	٢ يونيو ١٩٦١ م	١٩٧
٢٣	العبودية في الله ما تكون وكيف ولمن تكون (إشارة إلى انتقال الأخ أحمد قدري سليمان)	حديث الجمعة	٩ يونيو ١٩٦١ م	٢٠٥
٢٤	طريق إخلاص والحياة	حديث الجمعة	٧ يوليو ١٩٦١ م	٢١٣
٢٥	الله مطلوب الإنسان لنفسه والإنسان مطلوب الله لنفسه الإنسان في الله والله في الإنسان	حديث الجمعة	٢٨ يوليو ١٩٦١ م	٢١٩
٢٦	وحدة الحياة ووحدة الإنسان بحيوات الكسب والجزاء في أيام الله	حديث الجمعة	٢٠ يناير ١٩٦١ م	٢٢٦

(١)

الحق والعدالة

محاضرة بدار نقابة المحامين

١٣ جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ - ٢ ديسمبر ١٩٦٠ م

(الكلمة التي ألقاها السيد المستشار الجمهوري بإدارة قضايا الحكومة في صالة المحاضرات بدار نقابة المحامين)

دعوة وعنوان

أبنائي إخواني أساتذتي سادتي سيدي النقيب..

باسمكم وباسم الحق فيكم نتوجه إلى الحق معنا يقومنا ويسمعنا حقاً واحداً لا يتجزأ ولا يتعدد. نحن به أحياء وبدونه أشلاء. به معنا نقوم، وإليه فينا نلجأ، وبه علينا نستعين، وله قيومنا على قيامنا نكبر، وعنا ننزه ونكبر.

يسرني أن أتحدث اليوم في هذه الدار وقد طالت غيبتني عن الحديث فيها، إذ كان آخر ذكرياتي بالنقابة ودارها وناديتها أيام اشتركت مع الأعضاء زملائي.. أعضاء مجلس النقابة، وأنا أمثل بينهم المحامين الشبان مع زميلي الأستاذين اسطفان باسيل وإبراهيم عبد الهادي مع سائر الزملاء في حفلة وضع حجر الأساس لهذا المبنى، وقد تشرف بوضعه اعترافاً بمكانة المحامين رأس الدولة وقتئذ ومملك البلاد.

ويضايف من سروري أن أتحدث اليوم عن موضوع آمنته محامياً شاباً بكل أعماقي، إيماناً كان كامناً وراء كل نشاط ظاهري. وكان لي حظ وشرف الترجمة عنه وقتئذ في ثوب موضوع الوقت، وهذا سر ما صادفته مما سماه الآخرون نجاحاً في نشاطي وأحاديثي نشاطاً لم أغنَ منه لأنه كان خالصاً لوجه الحق. وإني إذ أتحدث به في هذه الدار الآن إنما أحقق لنفسني أمنية طالما ساورتني، فالمحامون زملائي وإخواني وأهلي ودارهم داري، فأنا بينهم في أهلي وفي دارهم في بيتي. فإذا كنت بينهم بالأمس زميل نشاط في المهنة وفي القومية والجهاد السياسي والاجتماعي فما أحراني أن أكون اليوم معهم زميل نشاط البحث عن الحق والعدالة في دائرة الحقيقة، وهي ما وراء ظاهر المجتمع الذي نعيشه، ونجهل الكثير من علل مظهر التواء الأمور فيه.

عندما طلب إليّ أخي وزميلي السيد النقيب أن أكون أحد المتحدثين في ندوة هذه الدار رحبت بالطلب رغم اعتيادي قصر أحاديثي على جماعتي في الجهاد الروحي، ورأيت فيه أمرا من السيد النقيب لزميل له من المحامين، فلست غريبا عنهم، ولم أفارقهم بعلمي الجديد في المهنة إلا بقصر وكالتي على عميل واحد مفروض فيه الإنصاف هو الدولة. ولكنني اعتذرت أن يكلفني بحث مهني وبين زملائي من هو أقدر مني على الخدمة في هذا المجال. وطلبت أن يدور حديثي في موضوع اجتماعي، وأن يختار هو عنوانه فاختار أن يكون عنوان الحديث (الحق والعدالة)، فكان توفيقا له وجميلا منه أن يختار هذا العنوان أو هذا الموضوع فلسنا في هذه الدار إلا في بيت من بيوت الحق والعدالة. ولسنا فيها متحدثين أو عاملين إلا جنود الحق والعدالة.

وفكرت هل عنى السيد النقيب أن يكون موضوع الحديث في مجال الحق والعدالة من مجال التسامي في النظر المهني؟ أو في مجال أهداف السياسة والاجتماع؟ فقلت لنفسي إن الزملاء مني أقدر على التحدث في هذه المجالات أيضا ولم تعد لي هوية فيها كما يعلم. إذن فلا أتحدث عن الحق والعدالة في المجال الواسع، في الوطن الكبير، في المجتمع المتناسق، في الإنسانية الخالدة، في الذات البشرية، في مجتمعها من الأعضاء والخلايا، في روابطها العالمية بعوالم مجتمعها الأزلي، وتناسق مجتمعها الوجودي بعوالمها الأبدية، تحت زعامة من يسوس هذا الوطن الخالد قائما على كل نفس بحقها منه، وبعدها بما كسبت، وتمثيل هذا الوطن من عالم كل ذات لصاحب السيادة عليه، في مجتمع هذه العوالم بصفات كل نفس علما على قيامها بمعلومها من العلم القيوم بكل نفس.

هل إذا تحدثت عن الحق والعدالة في هذا المجال وعلى هذا النحو أكون مغربا وبعيدا عن خدمة الحق والعدالة المهنية؟ أو خدمة الحق والعدالة الاجتماعية والسياسية؟ لقد تساءلت بهذا لنفسي فوجدت أن الحق والعدالة المهنية، والحق والعدالة الاجتماعية لا يستقيم لهما أمر في رجل المهنة، ورجل المجتمع المجند لخدمة الحق والعدالة في مجتمعه الصغير أو الكبير، إلا إذا كان الحق، وكانت العدالة لهما موضع في ذاته لذاته، وفي ضميره لضميره، وفي نفسه لنفسه، وفي إدراكه لإدراكه، ففاقد الشيء لا يعطيه. وإنني إذا تحدثت على النحو الذي قد يكون غريبا على سامعي، فإنه لن يكون غريبا عن مجال خدمة الحق والعدالة حتى على ما يعرفها مجتمع الناس أو تعرفها بيئة المهنة.

وقلت إذا لم يكن جنود الحق والعدالة - على ما نصفهم في مجال المهنة والمجتمع - أهلا لسماع حديث عن الحق والعدالة في جوهر الحياة، فمن هؤلاء الذين يكونون أهلا لاستماع مثل هذا الحديث؟! إن زملائي ولا شك - وهم أساطين التفكير والتعبير عن الأفكار هم مصدرها أو صادرة من الآخرين - هم أقدر الناس على فهم مثل هذا الحديث عن جوهر أنفسهم أو جوهر النفس، وهم أصلح الناس

للتخلي عن التعصب للفكر الذاتي إلى القيام في الفكر الغيري، والتعبير به لعرض قضايا الفكر الإنساني على بساط التقدير وتحت مجهر النظر.

إذن فلا تحدث إلى إخواني في بيتنا وإلى زملائي في عملنا عن الحق والعدالة في العالم الكبير من ذات الإنسان، وفي الإنسان الصغير من ذات الكون، في ساحة البشرية التي لا يحدها الزمن، والتي هي مصدر لعوالم منها تبدأ وجوداً ومولداً، وإليها تنتهي نسبا وتبعية.

فلأحدث عن الذات البشرية نواة لكون، وعن الروح البشرية نواة لحق، وعن العقل البشري نواة لرسالة، وعن النفس البشرية نواة لمجتمع. فلأجدد لإخواني في بيتنا ولزملائي في عملنا رجاءهم في الحياة، وأملهم في النور، وسعادتهم في الذات، وسكينتهم في النفس، وانطلاقهم وحريةهم في العقل. فلا هيئ لهم الفرصة ليحركوا أيديهم فيرفعوا الغشاوة عن عيونهم لينظروا جمال الحياة في أنفسهم، وجمالها المفقود عند التأمل فيما حوله إذا غير الوجود معناه هو من الوحداية عنده.

أي عدل وأي حق!!

إن المحاماة علمتنا كيف ندافع عن المظلوم، وكيف ندفع الجور عن الجور عليه، وكيف نرد الحق إلى صاحبه، وكيف نعيد الحرية لمن فقدناها، وكيف نعيد الأمور إلى نصابها. فنحن المحامين جنود الحق والعدالة وهذا نفخرنا وشرفنا. ويشرفنا أن يكون الشرف مهنة لنا. ولكن أكبر من هذا ينتظرنا. فأبي حق وأي عدل هذا الذي يشرفنا ونقوم جنوداً له؟ إنه الحق والعدل في حياة السراب لمجتمع من فاقد النظر في بقاء الوجود. إنه العدل الصباني في تمثيلية التواجد المسرحي للعمل المؤقت لأعضاء الفرق الفنية من الأبطال والكومبارس والنظارة في روايات تراجيدية أو كوميدية أو استعراضية أو ما إلى ذلك، تمثل على هذا المسرح الصغير من قارب الأرض السابح في الفضاء لبيت يتنزه في بحر الأثير.

قد يكون العدل الحقيقي على هذه الأرض في اختلال العدل المسرحي، كما قد يخفي اختلال العدل المسرحي وراءه حقيقة كبرى للعدل الحقيقي.

نعم نحن المحامين نؤمن بالحق، ونؤمن بالعدل، ونحن أقرب الناس إلى الحق وإلى العدل، ولكن أما أن لنا أن نتساءل بيننا عن الحق مفقوداً؟ وعن العدل مؤثراً في أنفسنا؟ أين هو الحق يقوم به قائم للحق؟ وأين هو العدل يعدل به عادل للعدل؟ ما نوع الحق الذي نطلب أن نعرف أو أن نقيم؟ وما نوع العدل الذي نطلب أن نجري أو أن نشهد؟ في أي مجال نريد الحق! وفي أي موضوع نريد العدل؟

إننا نعيش في مجتمع يرى أفرادَه الحق في اغتيال حقوق الآخرين وإن كانوا إخوة في بيت، والعدل في سلب العدالة للآخرين وإن كانوا طوافا لبيت. وهذا مجالنا على المسرح الصغير، وعملنا المؤقت في تمثيلية الحياة الوقتية. وهذا نشاط لا يكفي النفوس والعقول والقلوب الكبيرة. وحتى إذا ما حاولته وفق نظرها العميق ردها من ورائه العدل الحقيقي والحق العادل بسلطانه فسجدت للواقع السطحي، ومنه كسبت حسن الفهم وحسن التقدير وانتهزت فرصة الكسب للحق في حقيقته، وللعدل في طبيعته من مظهر الحياة عن جوهر الحياة.

إني سأتكلم إليكم اليوم عن الحق الخالد، وعن العدل السرمدى في المجال الأبدي. سأتكلم عن الحق والعدل في الإنسان. سأتكلم عن الذات هيكلا مقدسا للحق والعدل. سأتكلم عن النفس خادما أميناً للعدل. سأتكلم عن العقل نائبا أميناً للحق. سأتكلم عن الروح سر ما وراء العقل والنفس والذات.

فاقد الشيء لا يعطيه

أيها الإنسان، أيها العنوان، أيها العالم، أيها البيت للحق، أيها القانون للعدل، إذا كانت الحقيقة مهيضة الجانب في بيتها منك، فكيف يقوم بك لله حق، وفي الناس عدل؟! وإذا كانت العدالة مضطربة في بيت العدل منك، فكيف يستقيم العدل فيك، ويظهر شرف العدل بك؟! وإذا كانت نفسك فاقدة لحقها في مملكتها، فكيف تعين نفسا على استرداد حق مفقود لها؟! وإذا كانت نفسك تشكو مما يقع عليها من أعباء الظلم، فكيف ترفع هذه الأعباء عن غيرها من نفوس الآخرين؟!

أيها المحامون، أيها الجنود للحق، أيها المصاييح للعدل، إن عبأكم من خدمة الحق والعدل مضاعف، إذ أنكم اتخذتم شرف الخدمة لأسمى ما في المجتمع الإنساني، من أوصافه من الحق والعدل حرفة لكم.. فأنتم بهذا الاحتراف إلى الذروة أو إلى الحضيض من المجتمع المنتظر، فضلا عن المجتمع القائم. إن في احتراف الخدمة للحق والعدالة مدخل إلى صومعة ناسك، الأرض صومعته الضيقة، والسموات مجال انطلاقه وعمله.

إذا شرف الناس في كل مهنة بصفة كريمة من صفات الإنسان، نخدام الحق والعدل ورعته وحماته ذهبوا بجماع هذه الصفات بقيامهم في خدمة ذات المجتمع، بتوفير أسباب الحق والعدالة لمفرداته، وجماع ذاته.

إذا كان المجتمع البشري بجمع مفرداته وبجميع مجتمعاته مدعو من طبيعته، ومن فطرته، ومن آدابه وتكاليفه بالأديان والعقائد إلى احترام المعنى الإنساني فيه، وإحياء معنويات القلوب، ومثاليات العقل، وكبح جماح النفوس، وتكليف نزواتها، إلى مرجو الكمال لغرائزها في أحسن تقويم، بمفارقة

ما طرأ عليها من التواجد أسفل سافلين، فإن جنود الحق والعدل من المحامين يتضاعف عبئهم، كما يتضاعف وزرهم، في معاملتهم لأنفسهم وعقولهم وأرواحهم، وهم في شرف الخدمة للنفوس والعقول والأرواح بحكم عملهم وامتنانهم.

لو عرف الإنسان نفسه لعرف حقه ووجوده

إن في مولد كل إنسان على ظهر هذه الأرض على الفطرة، مولد للحق وبداية للكون، وظهور للغيب. والحق الوليد إما إلى نمو وإشراق فظهور فانتشار، وإما إلى ضمور ونحول واحتجاب فغياب.

إن حياة الحق في حركته ونشاطه الحيوي في قيومه بذاته. فإذا رجع لمصدره من الأكبر دون إحيائها فقد عدل عن المولد. وكل كائن بشري لا مولد له بالحياة إذا لم يتخذ الحق الوليد فيه له مستقراً بالنمو في عالم ذاته. فكل غافل عن الاستجابة بمعناه لمعاني الحق فيه غافل عن فرصة الحياة له. والنفس البشرية في الجهاز البشري إنما هي عالم وليد لقيام الحق والحياة من العالم الأكبر، وهي مظهر لنفس الحق بقيامه متكنزاً بحجاب نوره، وبحجاب ظلامه من عمله. إن جديد الإنسان على مثال من قديمه الأزلي. إن معرفة الجديد للقديم إنما هي في معرفة الجديد عن نفسه من الحقيقة معرفة لا تنتهي، في وجود لا يتناهي، ونمو لا يتناهي.

إن في الإنسان كعبة أو هيكل أو مدينة مقدسة لا يفقدها ولا يوجد لها ولكن يكشفها ويتواجد لها. هي القلب. إنه نقطة دائرته من ذاته ومن معناه بهذه الذات. إليه يتجه بكماله، ومنه يستقبل من الإحاطة به فيضه على كماله. إنه السراج في مشكاة صدره، منه زيت به عمله، وإليه نوره بكسبه.

إن الذي أوجد الإنسان لم يُظلم عليه كيانه، والذي أوجد من أوجده لم يمنعه عنه عنوانه. فالأعلى غايته، والمنظور نهايته. إن المثل المعطاة من رب الناس يرسله هي مشهود الحق لهم، إليها منتهاهم وربها لهم ربا مرتضاهم. ومعاني الإنسان لهم حقهم وبشرهم.

فإذا كانت النفس من الحق مظلومة في معبدها من الذات، محرومة من قبلتها من القلب، وقد ضاقت بظلام الأعمال صادرة من هيكلها، فإنها تنتظر بفارغ الصبر لحظة انطلاقها من هذا الجسد ليكون لها لمعناه وما صدر منه معها، موقف من عتاب، ومن جزاء وحساب مرتدة إلى مصدرها، راجعة إلى جوهرها، ولم يكسب معناه معناها، ولم يصبغ هيكله باسم مبناها.

إن النفس القائمة في قيام البشر، الكائنة في كيانها من البشرية، قد ظلم البشر معناها في تجاهلها من الحق فظلموها، قبروها بالحياة، ما حرروها. وهي فيكم على ما هي فيهم، وهي تجأ إليكم بين صدوركم

جنود الحق أن تحرروها، أن تطلقوها، أن تحيوها. إنها لا تجد من بينكم من يعينها على أمرها، من يمكنها من بيتها تحييه، ويقيمها في هيكل قدسها بحقها ترتضيه.

فيا من تقومون في شرف الدفاع عن كل مظلوم، هلا قتم في شرف الدفاع عن مظلوم أنفسكم؟ تلاقوا معها في سجنها بين جوارحكم، تلقوا منها سرها ونجواها، واكتموا بسر مهنتكم أسباب بلائها وشقواها. إنكم إن أنصفتموها تعلمتم جديدا في إقامة العدل، وإقامة الحق، وعدلتم في أمر جوارحكم ووظائفها، وسعدتم في أمركم من حق أنفسكم، وأضفتم إلى قوانينكم الوضعية قوانين الطبيعة القدسية، وإلى فقهم سنن الوجود الكونية، فأتسعت بذلك العقوبات التي تطبقونها في مجالاتها، ووصلت يد القانون الجنائي إلى مستحق الجزاء، فعرفت ما عناه القانون السماوي بمعنى قوله من قتل نفسا مؤمنة بغير نفس من الحق فكأنما قتل الناس جميعا، لأن القدرة خلقت الناس جميعا من نفس واحدة. وهي بدائم فعلها كما بدأت أول خلق من نفس واحدة تعيد بدأه من نفس واحدة. وكل نفس لها هذا الحق، وهذا الوصف. وكل كائن بشري على نفسه بصير بهذا المعنى.

فن قتل نفسه بغفلته وجهله، ولم يبعثا بالحق من نفس قدوته ومثاليته من رسول معتقده ومتابعته ومن تابعه على معناه من نفسه، فقد أخطأ في الانتفاع بالقوانين السرمدية للوجود، وأخطأ في حق نفسه، فاستحق من جوهر نفسه الجزاء الصارم، بعد قيام الحجّة عليه، وقد كشف له القناع عن أمره من الحقيقة، المرة بعد المرة، في حيوات متعاقبة، بين الغطاء والسفور، من عوالم الروح والكواكب.

إن من لم يرد نفسه إلى آدمها بصلته بشهيد جماعته على معتقده، فقد قطعها عن بحر الحياة الزاخر. فهو بفعله آثم في حق معناه من الحياة. إن قديم الإنسان بالحق يصل حاضر الإنسان المنبئ عنه، ويتصل بمن اتصل به من معاني الإنسان في البشرية عن طريقه. إن الحلقة الوسطى من حاضر الإنسان بصلاتها بقديمه وصلتها بحاضره ومستقبله من معانيه، هي أساس العقائد الدينية في جميع الأديان، وهي أساس كسب الحكمة عند جميع الحكماء في جميع العصور. وهي الوسيلة المعنية بالتوسل. وهي مرآة الصفاء يرى فيها جديد الإنسان حقه من قديم الإنسان.

هذه هي قضية أنفسكم أيها الرفاق، تقام عليكم فيكم، هيكلًا للعدالة. وهي القضية المرفوعة منكم من قديم، ولم تفصلوا فيها بعد لكم وعليكم. وإن فصلكم فيها لكم أو عليكم إنما هو بداية سعيدة لكم، يوم تذهب بكم معرفتكم فيكم إلى العلم بما حققتم لأنفسكم، وما تخلفتم عن تحقيقه لها، وهو أمر يقوم لكم في عالم قيامكم هذا إن أردتم وله عملتم. وهو ما ينتظركم مجهولا عليكم يوم تفارقون هذه الحياة كرها عنكم.

صدقوني في هذا واعملوا له فإني لأطمع في اليوم الذي تصدقون فيه بذلك وتعملون له، ففتبنون هذه القضية للناس، كما تبنون قضاياهم في تافه الأمر من دنياهم، بعد أن تكونوا قد نجحتم فيها من أمر أنفسكم.

الظاهر مرآة الباطن

إن جهاز العدالة الإنساني، على ما ترونه من ظاهر الحياة من أمركم وأمر الناس، في تشابكه وامتداده، ما هو بما يشمل من مجال تطبيقه ومجالات قيامه إلا تعبير عن جهاز العدالة الإنساني في المجال الحيوي للإنسانية الحقيقية. ألم يقل لنا إمام المبلغين وكمال المهتدين وأولية العابدين (الظاهر مرآة الباطن)؟^١ فإذا كنتم ركنا ركينا في جهاز العدالة الظاهري فلم لا تفكرون أن تكونوا ركنا ركينا في جهاز العدالة الحقيقي للإنسانية الحية؟

إن جهاز العدالة الحية للإنسانية الحية يحيط بالأرض وأهلها شمولاً، ويمتد إلى أجواز السماء وأهلها، كما يمتد إلى أعماق الأرض وأهلها. ولا تستطيعون ولن تستطيعوا أن تقوموا في شرف امتهانكم من العمل لتحقيق العدالة، وإقامة الحق، ورد بحافل الظلام من الظلم الصادر من البشرية من بعضها لبعض، ما لم تستكمل عماد الحق والعدل كيانها من تناسق مدرك بين ظاهر أمرها وباطن أمرها، حتى لا تختل موازين العدل باسم الحق، وتقام معابد الظلم باسم العدل.

إذا كانت عماد وأسس الحق والعدل في الناموس الظاهر للمجتمع وحدة متماسكة، فإن عماد وأسس الحق والعدل في كمال هيكله بشقيه من القوانين الوضعية والقوانين الفطرية وحدة متماسكة كذلك. كيف يطلب المحامون تطبيق قانون وليس هناك قضاء؟ وما قيمة الحكم إذا لم توجد سلطة مُنفذة له! وكيف تنفذه سلطة قضائية لا تسندها السلطة الإدارية؟ وكيف يطبق القضاء قانوناً يمثل العدل ولا وجود له لانعدام قيام سلطة تشريعية؟ وما قيمة سلطة تشريعية لا تتمتع بولاء السلطة التنفيذية؟ وكيف نتصف سلطة بأنها سلطة تنفيذية ولا يتواجد بجوارها سلطة تشريعية وأخرى قضائية؟ وإذا قامت سلطة تشريعية في مجتمع لا قضاة له فما قيمتها؟! إن هذا الذي نشهده في هذا التماسك في جهاز العدل الوضعي يقابله ما يماثله وراء ما نشهده من نظام ودقة في سير الأحداث والكائنات.

وما نشهده من قوانين فطرية حاكمة للطبيعة بأفلاكها وأجرامها وذراتها في حركتها هو بعينه ما يحكم سير الأمور بين الناس، كأجرام إرادية يخفى عليها ما وراء الظاهر من إرادتها المكيفة لحركاتها، ويظهر لها كامل الحرية والاختيار فيما تتجه إليه بهذه الإرادة.

والواقع أنها كاملة الحرية والاختيار، إذا تكشف التناسب والارتباط بين منظور الحياة للناس وباطن هذا المنظور لهم، المحكوم بقوانين أخرى غير ظاهرة ولكنها قائمة هم مصدرها بأثرها الظاهر، في تناسق وتناسب مع ظاهر الأفعال ومبرراتها وآثارها ومعقباتها.

القانون يحكم الوجود

إن إقامة الحق ونشر العدل في مجتمع موصوف عند أهله بالمدينة أمر يستلزم ويستتبع قيام وانتظام السلطات فيه، وارتباط المجتمع بها.. وبذلك يكون لهذا المجتمع وحدة من كينونة، وانتظام في حركة الحياة الرتيبة. فإذا أردنا أن تكون تشريعاتنا الوضعية مستقيمة، وفي أكمل صورها، وسلطاننا متناسقة متعاونة في أكمل أحوالها، فلدينا إلى ذلك ثلاثة مصادر من الطبيعة تمثل الفطرة السليمة للمجتمع المثالي، أولها ما يتيسر لنا تناوله من منظورنا، وما يمكن أن يدخل تحت إدراكنا وتقديرنا ومكنتنا، وهي دراسة أخلاق وأحوال ونظم الحياة في الممالك الحيوانية من أسود الغابة إلى الحشرات والطفيليات. ولعلّ مملكة النحل، ومملكة النمل، وممالك الطيور، في حال من النظام والنشاط يعطي الإنسان أروع الدروس في النظم الاجتماعية، والنشاط الفردي والجماعي، والسعي لبيئة والتخلص من بيئة. وقديما تلقى الإنسان الأول أول دروسه عن الغراب. ولم يستح الله أن يضرب للإنسان مثلا بعوضة فما فوقها. وخص سوراً بأسماء الحيوانات إشارة إلى انتظام الحياة الحيوانية في ظل الحق والعدل، المقام بالقوانين الفطرية. وقد جعل من الإنسان بهيمة الأنعام، ودابة الأرض المفضلة بأمانة العقل، والمسلحة بقدرة الإرادة، وحكمة التدبير...

والمصدر الثاني هو دراسة الطبيعة المحيطة، في روابطها وانتظامها، والطبيعة تحت النظر وتحت المجهر، في دقتها وجمالها وتناسقها وانتظامها، والعمل على محاكاتها. أما مصدر المصادر والكتاب الجامع الذي لم يفرط فيه مبدعه من شيء، فهو دراسة الإنسان لنفسه تشريحا، ووظائف أعضاء، وخلق، وحياة، وكسبها وفقدانها، ونشأتها ومواصلتها، ومعناها وجهازها، وفلكها وعواملها، ونظامها. وأخذ نظمه الاجتماعية مما يقوم فيه من نظم فطرية.

إن المقياس الصحيح لمدينة مجتمع بشري، إنما هو قياسه على ما أفاده من نظم الجماعات الحيوانية، أما المجتمع الراقى في نظمه فهو ما يصح قياسه على قوانين الحياة للنبات والفلك، وهو في أرق صورته إذا صح له القياس على تحليل الإنسان لنفسه في مفرداته، صورة جامعة للعالم الكبير، في هذا التمثال الصغير.

الإنسان فرد وجماعة هو عنوان الحق

إن الإنسان في ذاته هو المثل المضروب لجنسه على القدسية المعبودة، والألوهية المفقودة، من الفطرة الخالقة التي هو أيضا لها مثال وبها حال. إن الإنسان هو شقي الغيب والشهادة.. فهو يمثل الشهادة بالمعلوم منه، ويمثل الغيب المقدس بالمجهول عنه. وشهادته إلى غيب، وغيبه إلى شهادة. فكله غيب إذا غابت الشهادة. وكله شهادة إذا حضر الغيب.

إن الإنسان كفرد حي، هو مجتمع بقديمه وحاضره ومستقبله. والمجتمع المنتظم على قوانين الفطرة، هو فرد له نواة منه حولها يطوف في وجدانه، ولها يستقبل في صلاته بقلبه وبنياته. وتأخذ مفرداته أماكنها فيه أعضاء وأحشاء له، لخدمة وظائفها من بنائه المتوحد بواحدة، المتعدد في مفرداته بتجده.

إن المجتمع المثالي هو المجتمع الموجه بمصلحة الجماعة توجيها غريزيا وهو ما لا يتوفر إلا للمجتمع كانت الروح المتحررة في مفرداته مادة الثام أفراده بقيامه فردا بالحق المعتقد في كيانهم لهم المجتمع بوحدة دائرته، على مركز نواته الحية، وبقيامه بهم جماعة تعددت وجوهها وتوحد قلبها.

هذا المجتمع يعرف كل فرد فيه التزاماته وواجباته قبل أن يعرف أو يشعر بالحاجة للمطالبة بحقوقه إن كان لذلك محل فيه.

هذا المجتمع تُمحي الأمية فيه برؤية كل فرد فيه لنفسه مرآة صادقة لمجتمعه. فهو كتاب نفسه ونفسه كتاب مجتمعه. هذا المجتمع مهمة الحكومة فيه ميسرة غير شاقة فهي مهمة تمثيل الجماعة، في حركتها في ذاتها، وفي معاملاتها مع مفرداتها والجماعات الأخرى. إنه الحياة في الفرد الواحد بأعضائه وحركتها، وذاته وتنقلاتها، ووضع أحشائها الداخلة من حركتها الظاهرية.

أما الفرد الحي وهو مجتمع عبر الزمن فقد جعل في الأديان أساسها بقيام الحق على مفردات الناس بما كسبوا. أما إذا صلح المجتمع ليكون فردا فهذا أيضا له وضعه في الدين، وهو تأسيس الدولة المستقيمة الذي يتبع قيام مجتمع مستقيم أسسه مؤسس الحكمة ومؤسس الجماعة. وقيام مثل هذا المجتمع يعتبر فيه معاني البعث لمفردات الأرواح في العصور السابقة وهو معنى الساعة إذا كان المجتمع مدرك لمعانيه من الوحدة، ومفرداته مدركة لما قدمت وأخرت في سلوكها وتطورها على نطاق واسع، وهو ما قام قديما في الهند، وأنتج فرق البراهما، والسيخ، والطبقة الوسطى المختبرة. ووصف بخروج آدم من الهند إلى منطقة الشرق الأوسط، ليكون أبا لأنبيائه. وهو ما اعتبرت الأمة المحمدية بالرسالة الفطرية الأخيرة بداية فيه لأمر يجمع البشرية يوما إذا ما تجدد لها الإنسان المحمود في قدسي فطرتها. ونرجو أن تكون الصلاة الروحية التي تنتشر لتعم البشرية بشري وحدة الإنسانية على أمر واحد في شئوننا

الحاضرة والمستقبل بوحدة ماضيها، محققة في عالم الروح، مبعوثة بالحب في أبنائها من عالم الشهادة. وهو ما سوف تبرزه الصلات الروحية من وقوف الأنبياء صفا في قضية السلام على الأرض.

استشراكك للحق هو قيام لك في قضايا الدين

إن كشف القناع عن أسرار الحياة في الفرد والجماعة هو أساس الأديان جميعا. وتحقق هذا الكشف في سلوك الفرد وفي عقائد الجماعة هو معنى الحساب والساعة والقيامة. واستمتاع المحصلة للفرد والجماعة هو ما نسميه الجنة عرفناها وقطفناها. وقيام المحصلة لحيواته بالجزاء هو إبراز الجحيم لأهلها ومستحقيها. إن الإنسان لا يجزى بالنعيم في حياة القيام عن فعل يأتيه في هذا القيام - وإن تحقق النعيم - وكذلك لا يجزى بالجزاء عن فعل يأتيه فيها وهو فيها - وإن تحقق البلاء - إن كل ما يشعر به الإنسان في حياة القيام من نعيم أو بلاء إنما يقوم على أساس من الاختبار، ولكن هذا الاختبار في الوقت نفسه له رباط بماضي الحيوات لصاحبه، يقوم على أساس من قديم أفعال له يمثل معها بحاله الآن معاني العطاء ومعاني الجزاء. أما فعله في الحاضر فسيكون أساس اختباره في حياة لاحقة تسمى عند قيامها بمعاني البعث لحاضره بالعطاء والجزاء أيضا. واليقين بالآخرة عند من قام اليقين عنده إنما يقوم على أساس من إدراك معنى الآخرة لما هو فيه من الحياة بالنسبة لحياة سبقت، دخل اليوم هذه الحياة بكتابه الذي سبق أن خطته يمينه، وهو الكتاب الميسر له نفاذ ما جاء فيه.. لم يظلمه ربه ولكن هو الذي خط كتابه وظلم نفسه فيما لا يجب بما سبق أن أحب، وأنصف نفسه عطاء غير ممنون بما كسب فما يسره بما سبق أن صبر له.

المجتمع المثالي تقومه الروحية والشبكية في اتصال متصل ووحدة لا تنفصل

إن المجتمع المثالي الذي تعرف فيه مفرداته مواضعهم من الجماع، وتعرف الجماعة قيم مفرداتها منها، هو ما ينتظره مستقبل البشرية. وهو ما يعني بلوغ البشرية لسن الرشد. وهي بهذا الرشاد يستبعد عندها معنى السماء والأرض لما يقوم في الوعي البشري عن المعنى الإنساني يعمر الكواكب ويقوم العوالم الروحية، وبذلك تصبح الأرض موصوفة بالسماء على ما يجب أن تعلم كما تصبح السموات بأجرامها في معاني الأرض كذلك كما يجب أن تدرك. ويتطور الجنس البشري على الأرض كما تتطور بشريات عوالم الروح إلى حال يصح فيها اتصال واجتماع هذه العوالم بأحوالها ودرجاتها ومعارفها، يجتمع كل على شاكلته. وينتظم أمرها في الظاهر والباطن على من تأتمر بأمره ممن يبرزه قانون الرد للأعمال على أساس من معدلات جماعاتها، أوادم بعث على أبناء في طريقهم لمعانيهم النورانية والكمالية ليكونوهم.

من هذا كله يمكن أن نكشف ما في الحياة في مجتمعنا على حاله من أسرار نفيد من معرفتها لأنها تنظم سلوكنا في قائم أوقاتنا. ويمكن أن نحصل بعملنا على نتيجة مشجعة من كشف بعض أسرار السلوك، وهو ما تحاوله الرسالة الروحية في هذا العصر بنخاطبتها للعقل والضمير الإنساني، وما تهيئه للنفس من تلقي لهذا الخطاب في صورة انفعالات، ومشاهد، وإلهامات منظمة معللة، وهو ما تقدمه المدرسة الروحية كمعرفة في مطبوعات ميسرة منتظمة واسعة الانتشار. ليس المهم أن تقرأها ولكن المهم أن تحقق لنفسك شيئاً مما يشار إليه فيها.

إن رقي الحياة وانتظامها في المجتمع البشري هو وسيلة فعالة لرقى الحياة الروحية له في مجتمعه الروحي. إن الحيات الروحية للمجتمعات إنما هي مواصلة لما هي عليه أو لما كانت عليه في الحياة الأرضية. وليس لها تطور في حياتها الروحية عن طريق مواصلة إلا عن طريق الصلات الأرضية بالبعث الذاتي أو البعث الاتصالي حسب الأحوال، ولا يخلو مجتمع من مدركين لقيمة العودة بالبعث الذاتي أو البعث الاتصالي كذلك. والبعث الذاتي هو العودة الكاملة للروح في جوار شخصيتها الجديدة. أما البعث الاتصالي فهو عن طريق الهيمنة على شخص من عالم البشرية عن طريقه يمكن للروح الارتباط بالحوادث الروحية الأرضية من الاتصال والتبعية بمن تنتظره مستويات عوالم الروح ما دون الملاء الأعلى من أودم في كمالها تتواجد بإرادتها على ظهر أرضنا، يرون فيها وجه الله من أهل الملاء الأعلى.

فليكسب الفرد معاني الحياة

وإذا كان هذا هو حال المجتمع، لكسب مستوى من مستويات الحياة السرمدية فإن حال الفرد لا يخرج عن هذا القانون. فإنه يأخذ معه في الحياة الروحية ما يحيا من أعضائه وقلبه وضميره. ولا يحيا فيها إلا بما يحيا من صفاته حية في أبعاضه من ظاهر وباطن جهازه. ولا يحيا فيها بوصف الإنسان إلا بإحياء كامل مفردات ذاته التي قد يحييها متجمعة من حياة أبعاضها أو يحيا بأبعاضه في حيوات متعددة.

قد يستغرق إحياء حاسة النظر في الكائن البشري حياة أرضية كاملة، وكذلك حاسة السمع أو الشم أو الحس وما إلى ذلك. وقد يتواجد في الحياة البشرية بإحدى هذه الحواس أو الجوارح حية من قديم حياة له وهو ما تسميه المدرسة الروحية وسيط موهوب. وقد يحيا هذه الحاسة أو الجارحة عن طريق المجاهدة والتدريب وهو ما تسميه وسيطة كسبية والحقيقة مع كل كائن بشري. وكل كائن بشري يصلح لأن يكون إنساناً كاملاً. وكل كائن بشري صالح للحياة. والحياة القائمة للبشر إنما هي

حياة موقوتة ومعاراة من جوهر الحياة قامت بأوادم البشرية. وجوهر الحياة هو ما عرفتة الرسالات الدينية وعرفه مؤسسوها تحت عنوان (الله) بمعنى القيام الشامل الموجود الراعي الذي لا يغيب. فإذا تعرّف الكائن البشري إلى نفسه فعرفها، وظهرت له التزاماته وواجباته فأداها، وتكشفت له معانيه وحقوقه فاستمتعها، فحرص على جوهر كيانه المدرك له، فقد سلك مسالك الحياة، وبدأ قيام الحق في نفسه، وبدأ انتشار العدالة في جوارحه وحسه. إن فعل ولهذا حقق صلح به لمحيطة مثالية للمثل الأعلى، وأصبح نبراسا يحتذى لمتابعيه من أهله ومن أهل الطلب للمثالية المرتضاة، متواصيا بالحق في معاني حقه، فينتشر الحق على هذا التصوير، ويقوم العدل في هذا التدبير.

ما هو الحق في طلبنا ؟!

إن هذا الذي أشير إليه وأشير على إخواني به، يجعل من الإنسان في كيان نواة للحق أو نواة لكبير حقه. ويجعل للإنسان في وجوده كينونة أو نواة لكبير كونه. يقوم فيه الحق ويقوم به، وينتشر فيه العدل وينتشر به. فعن أي حق تريدون أن نتحدث اليوم وعن أي عدل؟ أعن الحق المفقود في الوجود الأرضي، والمرسوم في الخيال، والقائم في الأوهام! أم عن الحق والعدل الموجود في الإدراك للمدرك، وفي العقل للعقل، وفي النفس عند النفس الزكية، التي ما خابت في مسعاها، وما شقي من زكائها، وما حيا من دساها!

عن أي حق تريدون أن نتحدث؟ وعن أي عدل تريدون أن نتناجى؟ وبأي أمر تريدون أن نتواصى؟ أعن الحق في مملكة النفس من ذات الإنسان، وهو في عقله وروحه وكيانه وحسه، به فيه يشهده على مرآة الوجود، أينما ولى فثم وجهه، وكلما أدرك نفسه آيته الكبرى، أدرك ما حوله من آياته، وكلما أدرك مظهر إرادته فيه وقدرته به، أحس بشمول إرادته، وعظمة قدرته من حوله، وعلم أنه ما علم فيما علم إلا من حكمته، وما نعم فيما نعم إلا من نعمته؟

إن إدراك الوجود قائما بالحق، وإدراك حركته قائمة بالعدل. الحق الذي لا يخلقه خلق، والعدل الذي لا يقوم عليه سلطان من شيء حق الله وعدل الله، كل نفس فيه بما كسبت ضئيلة، وبما اكتسبت رهينة. وإنما هي أعمال الناس ترد إليهم بعدله في حدود عملهم وكسبهم من حقه، قائما على كل نفس بإحاطته ورحمته، ومن وراء كل نفس محيط بوحدانيته وحكمته. إن في معرفة الوجود بالحق والعدل، معرفة للحق المجرد والعدل المجرد. وعن هذا الحق وهذا العدل يطيب الحديث، ويذكر جوهر الحق والعدل وهو الله.

هذا هو الحق المحيط المنتشر، وهذا هو العدل القائم الذي لا يغيب ولا ينتظر. أما عن الحق والعدل يبدعه الخلق على مراد الخلق في غفلة عن إلحاق أنفسهم بحقتها، وعن إقامتها بقيام الحق عليها، فهذا وإن حملوه اسم الحق والعدل فليس هو منه في شيء. ولكنه ألوان من أنفسهم في غفلتها، تبرز به بؤسهم سطوتها لغاية من إشباع لشهوتها في عاجل من غريزتها مفرطة في أمرها من حقيقتها. وذلك إلى حين. وما ذلك في حياتها الحقيقية إلا غفوات من الزمان تقابلها لمحات للمعرفة.

يتجمع الناس حول معاول هدم الحق والعدل الحقيقي باسم الحق والعدل الزائف من رجال احتراف العقائد واحتراف الاجتماع فيضلون طريق الحياة مع الضالين عنها، ويتخلون عن إدراكات عقولهم الفطرية إلى وهم مغامم ووهم محارم. فلا يهتدون إلى أنفسهم صوامع للحق المنفرد بالوجود والعدل الدائم للشهود. وبذلك تصبح معاول هدم الحق والعدل منابر لإقامة موهوم الحق والعدل، وسيط تسوق الناس إلى ساحة وهمية للحق والعدل، فيشهد المتأمل انفراد الحق والعدل المجرد بالقيام والعمل في الحرمان، انفراده في الوهب والإحسان كما يشهد ما يصدر من النفوس المنحرفة عن الحق والعدل مهما انحرفت، وما يصدر عن النفوس المستقيمة مع الحق والعدل، يتلاقى في النهاية على خدمة الحق والعدل إقامة وبيان لأن الحق العام لا يغلب ولا يظلم ولا يخفى ولا يضيع. فهو القيام على قيام الجميع في حدود ما يريد هو لخيرهم، وما يقوم بين الناس من مصدره في القيام عليهم إنما يقوم في حدود من روابطهم معه ومع الحق الأكبر في حدود تشريعه النافذ المرعي، (كيفما تكونوا يوئى عليكم)^٢، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)^٣، (رحمتي غلبت عذابي)^٤

لنعمل من أجل اليقين ولإقامة الدين

فإذا تأملنا في هذا وتفكرنا فيه، كانت عناية الفرد فينا والفرد منا وحرصه على رباط الحق يقوم معه، ويقوم عليه ويقوم به، ومحاولته كشف قناع الحق فيه لنفسه بإرجاع البصر والبصيرة كرتين، مرة إلى داخله وأخرى إلى خارجه، مرة إلى ماضيه حتى إلى ما قبل وجوده وأخرى إلى مستقبله حتى إلى ما بعد وجوده، مرة إلى نفسه منعزلة عن الناس وأخرى إلى نفسه موصولة بالناس جزءا من الناس، لوجدنا أن الحقيقة إنما هي في إدراك الإنسان لا في ماديته، وعرفنا أنه لا يدرك من الحق في حاضره إلا بقدر ما أحاط به من الحق في نفسه، وأن هذا الذي يدرك قابل للنمو والزيادة دائما، وأن زيادته في كشف القناع عن المحاط به منه في قيامه، فهو الذي به ينمو إلى غيبه ومجهوله عليه، فليعمل على كشف قائمه لينمو، وليعمل على نمائه ليصفو، وليعمل على توثيق الوصلة والصلة بين قائمه به وقيامه عليه لينمو ما فيه من الحق فينتشر منه ويقوم به على طالبه. فإن فعل صلح لنفسه، وإن صلح لنفسه صلح لمن يعول من بيته، وإن صلح لمن يعول من بيته صلح بيتا لجمعه وقومه وأمته وبشريته وإنسانيته،

صلح لآبائه، صلح لأبنائه، صلح لأخلائه، لأنه للحق نسب وبالحق قام، وللحق عمل، وبالحق انتشر، وعلى الحق اجتماع، فعلى الحق جمع. لقد صار للحق وجهها، وللحق بيتا، وبالحق أمة.

نؤذن للصلاة بإقامة وما أقمناها. ونؤذن للفلاح بقيام وما قام. إن الصلاة صلة بين العبد وربّه. وليس عبدا من لا رب له. وليس ربا من لا عبد له. فمن عرف نفسه عبدا وجب عليه أن يطلب ربّه.. أن يطلب ربّه في نفسه تضرعا وخيفة. فإن طلبه صادقا في نفسه تضرعا وخيفة فقد أدرك سبيله، وقام في الحب دليله.. فإن لبّاه - وهو ملبيه - فليكن أمره حتى يبلغ رشده، فلا يجهر بالقول، ولا يخافت به، وليكن من أهل الإشارة، وإشارته بذاته قائمة بصفاته، وليبتعد عن العبارة ففيها فساد الأمر والخسارة.

إن تجمعنا ذاكرين للحق معنا، عالمينه الذي فرقنا منه قديما، وفي قابل يجمعنا، أدركناه لنا في حاضرننا، وأدركنا له بحاضرننا، حي في حياتنا، قيوم في قيامنا، نحن فيه للغافلين أعلامه، وللسامعين كلماته وكلامه، وللبصيرين وجوهه وسلامه، وللمتأملين آياته وقيامه.

عرفنا عبادته لوحدايته من ورائنا محيط، وسعدنا به أقرب إلينا من جبل الوريد، وقرأنا كتابه قائما فينا بصفاته، فعرفنا وبالأكبر عرفناه قيوما على الكل وجه ذاته، قريبا من الكل روح حياته فقدرناه واسعا بعظمته معلما برحمته يتسع ولا يتسع له بالأكبر، ويعلم ولا يحاط بعلمه في الأعلّم. إذا نحن بهذا لأنفسنا لم نسوّفه، وإذا نحن عن أنفسنا لم نعبده عرفنا أننا حملنا أمانة حقه بأمانة إقامة الحق في حياتنا.

يا أيها الناس. يا أيها الزملاء. يا أيها المحامون. يا أيها الأخوة. إنكم تحملون أمانة الله. أنتم كلمات الله، أنتم أرواح الله، أنتم أقباس نور الله، أنتم هياكل ومعابد وبيوت ومدائن الله. إن ذواتكم إنما هي هياكل ومعابد الروح.

طلب آدم منشود عوالم الروح وعالم الأرض

إن عوالم الروح تعبد الله كما تعبدونه، وتطلب الله كما تطلبونه. ولكنها تعرفه قريبا، وتحسه مجيبا، ولستم غيرهم بنفوسكم. وعالمكم ليس مغايرا لعوالمهم بصلتكم. وإمكانياتهم من إمكانياتكم. وإمكانياتكم من إمكانياتهم. وبينكم من هو مطلوبهم لمرتقاهم. وبينهم من هو مطلوبكم لمرتقاكم. إن أودام عوالمهم مطلوبكم لمرتقاكم. وأودام عالمكم مطلوبهم لمرتقاهم. ليس كل من في عالم الروح مجتمع على آدمه. فالسعيد منهم من عرف واجتمع على آدمه فأصبح له بيت، وأصبح له مأوى، وأصبحت له حياة.

وغير المجتمع على آدمه من الأرض لا يجتمع عليه في عالم الروح. فالحياة الروحية مواصلة للحياة الأرضية وتجمعاتها في قيود من الكسب والوهب فيها. فهي عالم البدء للحيات الروحية.

أما البعث من الحياة الروحية إلى الأرض فإنه يقوم متصلاً باليقظة إلى ضرورة الانتساب إلى بيت لآدم معروف عند طالب العودة أو العودة في غفلة عن هذا إلى الاعتماد على النفس في الاختيار والركون إلى العمل في التواجد. وفي هذا يكون تكرار للتجربة، ومواصلة للمجاهدة وإن لم يضع الجهد في النمو الذاتي وكسب بعض الصفات.

وبذلك كان التجمع على النجوى في الله في هذه الأرض أو في عوالم الروح أهم ما في العالمين من السعادة والكسب وتلمس الطريق القويم. وكان اجتماع المفردات على أوادها في هذه الأرض، أو معرفة الأرواح لهذه الأوادم مشرقة من الأرض ببيتها، واختيار هذه البيوت لأنفسها للتوالد منها في طريق العودة والبعث لاستكمال مقومات الكينونة، هو أثمن ما في العالمين عن كسب الحياة وورود أحواضها. وكانت الوجدانية في الحقيقة هي في الوجدانية مع آحاد العباد من أوادم الحقيقة وأسماء الله.

أنتم قيام الحقيقة فلا تقطعوا أنفسكم عنها

اعلموا يا إخواني أنكم لستم الهياكل، ولكنكم العباد في الهياكل. إنكم لستم ما هو ظاهركم ولكنكم ما هو معناكم المالك لظاهركم من ذواتكم وهياكلكم. إنكم روح الله، إنكم أسماء الله، إنكم أعلام الله. إني أعطيكم عندي هذه المعاني على إطلاقها، لأنها قائمة بكم على إطلاقكم. إن الله لا شريك له وأنتم عند المؤمن به لا تشاركوه ولن تشاركوه بقيام يقوم رغم إرادته، ولا تخالفوه ولن تخالفوه بحقيقة منعزلة عن حكمته. جعل في فعلكم إرادته وفي إدراككم حكمته. لا طاعة ولا معصية فيه، ولكن الطاعة والمعصية من أوصافكم فيكم.

الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية

إنكم أطعتم أم عصيتم في نعتكم فإنه يعلم سركم ونجواكم، وهو في كل أمر يتولاكم. إن الذي ينهبكم إليه أن القطيعة منه والعزلة عنه هي ما يحذركم منه، فإنها تسير بكم في طريق خاطئ، طريق الشرك به - ولا شريك له - وهو ما لا يغفره. إنه المربي الكبير، إنه المعلم الهادي لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة. ولكن المعصية تضر آتيا إن لم يكن له فيها كسب الحكم على النفس بالنقص والقصور، والحكم للرب بالكمال والغفران. والطاعة تنفع صاحبها ما لم يشبها ما يعيبها من نسبتها إلى الوجود الناقص للنفس دون الوجود الكامل لها بالقائم عليها. فلا تغرّم طاعتكم إن أطعتم، ولا تنسبوا إلى

أنفسكم بما قدرتم، فإنه أظهر وصف الطاعة من معنى الخلق فيكم ليعلمكم أن كل ما في السموات والأرض إلا آتيه طائعا مسلما، يوم يأتيه في الاجتماع على عبده مجتمعاً فيه كل من في السموات والأرض.

معكم أينما كنتم

وهو إذ يترككم إلى حين، تظنون أنكم قد اخطأتم السبيل، وفقدتم الدليل، فأسأتم المسلك وغابت عنكم الحكمة والتعليل، فهذا من حكمته بكم وهديه لكم. فإنه ما ترككم ولن يترككم أبداً. فما تخلى عن وجودكم وجوده أبداً. فما تخلى عنكم يوم ناداكم من آدم إليه فأجبتكم ويوم ناداه منكم فأجاب. إنه معكم أينما كنتم. إن زلت بكم القدم من أنفسكم هاوية إلى أعماق الأرض فهو معكم. وإن تماسكت فتصاعدتم إلى عنان السماء فهو معكم، يبدل بكم الأرض غير الأرض، ويغزو بكم السماء ويبدلها لكم غير السماء، ويسجد لها وأهلها لكم خلفاء في الأرض، بسمو عقولكم سموات أعلى، وبقدرات أرواحكم حقائق من كماله إلى أكل فإنه لا يفارقكم بمعيتة، ولا يتخلف عنكم برحمته، فما خلقكم إلا لنفسه ومعانيه من قربته وتعاليه، ولذاته بالفناء عن غيره، والبقاء به فيه. وهو بالغ فيكم أمره إلى ما يرتضيه. لا يفارقكم بهديه، ولا يخرجكم عن رحمته، حتى إذا ذهبت بكم الأوهام كل مذهب فوهمتم كل ذلك لكم دون تعبيد أنفسكم له. فإنه معكم أينما كنتم وكيفما كنتم.

لا تتوهوا الاستقامة أو تكونوا من المتكبرين

ولو شاء في يومكم لهدى الناس جميعاً. فلا تستعلوا على الضالين وإن نشروا ضلالهم جاهدين وبظلام أنفسهم مستكبرين. واخفضوا جناحكم لهم هادين إن وفقتم أن تكونوا بنوره سارين، وبروحه هادين، وبوصلته عاملين. وأشفقوا بإخوانكم من العابثين لأن دورهم في الاهتداء والهداية سوف يأتي بعد حين. ولا تيأسوا منهم فقد يأتي على يد المصلحين، فأصلحوا أمركم، وأصلحوا بين إخوانكم في محبة وإشفاق ولين، وتخلقوا بأخلاق رب العالمين، ظاهرة في كل رسول أمين، وعبد بالعبودية قين. استمعوه يخاطبكم إذ يقول لموسى وهارون {اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى}°. إن اللين هو سيف الله المسلط على الكبر في المستكبرين وماء الحياة من الله للخاصين.

إن الله لا يحب المستكبرين المتعاليين فهم عنده السافلون الأسفلون، ويحب المتواضعين وهم عنده العالون المرفوعون. أما عظمتهم ففي كونه في عليين، هو في أسفل السافلين. إن الله مع كل كائن، ومع كل وجود، وفي كل حين. وهو في عليين من كانه، وفي أسفل سافلين من سوف يكونه. وإن الملاء الأعلى يطلبونه كما يطلبونه، والملاء الأسفل يفتقدونه كما تفتقدونه. وما تواجد في الوجود شيء

دونه. فإن عرفته ربا ففبك. وإن عرفته إلها فإليك. وإن عرفته حقا فخالك. وإن عرفته الأكبر فآلك. لا تغيبه عن وجودك. ولا تغيبه عن شهودك. فهو غيبك إن حضرت بعبوديته، وأنت غيبه إن ظهرت بوحدايته. إنه ظهور الماضي بالحاضر، وغيب الحاضر بالآتي، وظهور الآتي في الماضي. إنه دورة الحياة ودورة الزمان. إنه غيب الإنسان وحاضر الإنسان بقدر ما أقام الناس أنفسهم فيه بوعيم عنه، طالبين قيامه بأنفسهم لأنفسهم بوصلتهم بمن قامه من أنفسهم عاملين جادين حتى يرزقوا الصفاء ويلحقهم الاصطفاء.

{أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت}، هذا هو الحق الجدير بالطلب. وهذا هو الحق العزيز على الطلب. وهذا هو الحق الميسر للطلب. هذا الذي أقرر هو بين أيديكم في كل كتاب قدمته السماء على لسان رسول من رسلها، بعث بينكم بقديم تجاربه. وهذا الذي أقدم لكم إنما هو من ثمار الفطرة، وتجول الحكمة، وثمرة العمل، ووصف المعرفة، وقيام الوعي يسنده العلم والمنطق والتبليغ والسنة. ولا أريد أن أسند هذه الحقائق للحق والعدل الإلهي باقتباسات من منقول القول في الأديان ابتعادا عما يثير أعاصير التعصب الأعمى في قفار النفوس المظلمة. ولكني أريدكم أن تعملوا معي عقولكم فيما تسمعون اليوم، فتأخذوا بالمعقول لكم الآن، وتتركوا إلى حين ما تقدرون اليوم أنه لكم غير معقول. فليس فيما أقول إلا ما لا يتعذر على العقل قبوله، ما انطلق من سجنه سجيناً في رؤوس الآخرين الذين لا يعملون عقولهم، ويطلبون ويعملون على متابعة الناس لهم، ويفتحون للآخرين رؤوسهم، بما حوت من غث أحيته وثمر جيفته، ويتصيدونهم في السجون الحية من رؤوسهم.

تحد البشرية في المظهر وتختلف في مراتب الجوهر

إن ما هو معقول عند كائن منا، قد يكون غير معقول عند آخرين من الكائنات البشرية منا. أي أن ما تدركه نفس قد يكون غير مدرك عند نفوس. إن الكائنات البشرية وإن اتحدت أو تساوت في مظهرها من مصدر الجلباب من الأرض إلا أنها متلونة ومتعددة في الصفات والإمكانات بألوان مصدرها من ضوء الطيف الشمسي الذي امتصته مع ما صدر منها من أعمالها المردودة عليها بقوانين الحجز والرد من طبقات التآين المحيطة بالذات الأرضية، وردها للطاقات المنبعثة من مصدر الحركة والحياة الأرضية إلى منبت صدورها من مجمع تجمع الذرات المتحركة في عوالم الكائنات البشرية من ذوات نفوس الإنسانية القائمة في وحدة الحياة الأرضية.

وهذا هو سر تلوين الكائنات البشرية في الصفات وتعدد هذه الألوان، كما هو سر تفاوتها في قدراتها وفي نوع الطاعة الصادرة عنها على انتظام وتناسق ونمو في القابلية والصدور. نعيش في مجتمع منبسط

على سطح الأرض الممهدة من حيث الذوات، وفي صورة هرمية متصاعدة أو غائرة في بطون الأرض من حيث عقولنا ونفوسنا. تجمعنا وحدة متماسكة من حيث حقيقتنا الخلقية بآدم والحقية بالإنسان، أبناء وبنات له في تزواج خلقي، من حيث الذات والنوع، وتزواج حقي من حيث النفوس والعقول. فلا يصح ولا يجوز ولا يمكن أن ينفرط أحدنا عن الآخرين، أو ينكر عليهم معاني الصلاحية لما صلح به إن صلح، ولا يبخل عليهم بما عنده من صفات ومعاني الحياة إن وجد.

إننا نتعارف بما عندنا بما يظهر على كل منا في المعاملة والحديث. فلنحسن في التعامل بصفات الإحسان من صفاتنا الإنسانية، ولنتحدث بمعانينا من العرفان عن المعروف بظهورنا في وجودنا من وجوده.

لا منافقين ولا مداجين ولا مختالين، ولكن في تواضع الصادق وإيثار المتحقق. ولتواصى على الحرص برباطنا من الحق وما يقتضيه تحقيقه من الصبر.

إننا إن فعلنا ذلك فقد طلبنا الحقيقة وتاجرنا معها بعنا واشترينا، بعناها أنفسنا واشترينا أنفسها، فحصلنا بما كان في ملكيتنا وبما هو من مكنتنا على ما هو في ملكيتها وما هو من مكنتها، حتى تتوحد فيها اسما لها وإنسانا لحضرتها.

إننا إن تواصلنا بذلك وتقاربنا عليه وتحابنا فيه وعملنا به، كما مواطنين صالحين لوطننا، وكما وحدة صالحة لأمتنا، وكما مفردات وجماعات مثاليات صالحة لبشريتنا، وكما حقائق ووجوها للحقيقة للحي القيوم فينا، لعالم إنسانيتنا. وبذلك نكون جنودا للحق، وجنودا للعدل، وأعلاما للحقيقة الإنسانية، وللعادلة الفطرية.

حديث للقلوب والعقول والنفوس

إني أتحدث إليكم الآن حديث قلب لقلوب، وحديث عقل لعقول، وحديث نفس لنفوس. وحديث القلب إلى القلب أدبه الصفاء مع الحقيقة، وأدبه الإيمان بالحقيقة، وأدبه الاعتماد على الحقيقة. أما حديث العقل إلى العقل فأدبه أن لا نتناكر على معارف بعضنا البعض، وأن يتقبل كل منا معارف أخيه على أنها معرفة تؤدي إلى مزيد أو أخطاء تؤدي إلى يقظة، وأن يكون هدف المتحدثين نشدان العلم. والعلم والجهل خلق قائم في الإنسان يعرف أحدهما بالمقارنة بالآخر. والإنسان في حقيقة أمره فوق العلم والجهل إذ هو مصدر لهما، وعنه يتواجد كلاهما. أما حديث النفس إلى النفس إن صلح، فأدبه الغيرة على الحق. والغيرة على الحق تقتضي العمل على إقامة الحق، القائم في النفس في نفوس الآخرين بالرغبة والسؤال والمجاهدة، كما يقتضي رغبة النفوس في التعجيل بإقامة الحق فيها على ما

شهدته في غيرها، سواء صدقت النفس أو صادفها التوفيق فيما رأته من الحق بها، أو تعثرت في ذلك، وكذلك النفوس المجاهدة صادقة فيما شهدته من الحق في غيرها، أو فارقتها التوفيق في محل هذا النظر. فإن صدقت النفوس فيما هي فيه، فيكفيها كسبا صفة الصدق فيه، وإن بدا منها التنافر، فهذه الخصومة مرضية - ما كانت النفوس صادقة مع نفسها في الخصومة - . فالخصومة في هذه الحالة تحلو ولا تقسو، لأنها تكون مشربة بحبة خفية لنصرة الحق ونشره من المتخاصمين، وهذا ما ينظم هذه الخصومة، ويجعل فيها لنا ورقة، لسلامة الهدف فيها، مما ينتهي بها إلى تلاق على حب، واتحاد على تناصر في الحق. ومن هذا القبيل ما كان بين أصحاب كل رسول من خصومة ومظهر تنافر في حياة رسولهم أو من بعده...

كل هذا يقوم في الناس، وكل هذا قائم في الناس فعلا. كل هذا دائم في الناس. كان بهم قائم في هذه الدار من دور الحياة، وما زال بهم قائم بعد أن غادروها لغيرهم، وخلف فيه خلف هو بهم قائم وعندهم لن يزول. ويخلفهم عليه خلف بهم يقوم، دوايك في سنة الله لا تبديل لها إلا ما بدل الإنسان في نفسه من أحواله يجها إلى حال يطلبها.

فالناس يتجمعون فيتصلون ويتنافرون على أساس من هذه المعاني في مختلف معنويات الحياة. فإذا قاموها في تعاليم دين يؤمنون بمؤسسه وما حمل إليهم من حكمة ووسائلها، تواجد بهم مجتمع صالح للحياة وبداياتها ومواصلتها. مجتمع متماسك على اختلاف ألوانه. متكامل وإن اختلفت اتجاهات جذرائه. متناسق في ازدواج أركانه. متعالي في تصاعد طبقاته. متداني في حرية لبناته.

إذا صدق الناس أنفسهم في دينهم، فالحق واحد لا تعدد له. والقادر قدرته شاملة، بها قام كل قادر، وإليها لجأ كل فاقر. والديان واحد، قائم في ضمير كل متدين. هو معاني الحياة في كل حي. وهو فيض الحياة من القيوم على الأحياء من مظاهر الحياة.

كل حديث أو دين هو وعي مؤسسه ومحصله عصره

جاءت كتب إنسانية السماء لإنسانية الأرض في لبنات بيت الحق من الحكماء والهداة، والأنبياء والرسول، والأئمة، بزوايا البيت المتزاوجة في أولي العزم منهم. كما جاءت حقائق الصفات الإنسانية وألوان المعاني للحياة الواحدة المتواصلة في البعض الآخر. فجاءت كل رسالة بشيء من الحق يتناسب مع عصر مولدها، وقيومية مؤسسها، وقابليات قومه، وفيوضات قيومه، وقابلية همته، وسعة ربوبيته، وصفاء عقله، وحصيلة معقوليته. وبمحصول هذه الحقائق في الرسول يقوم الحق عليه، ويظهر به ويتصل منه.

فما جاء به كونفوشيوس، وبوذا، وحكماء الشرق من الصين والهند إلا وجه من وجوه الحق. وما جاء سقراط وأفلاطون وحكماء الغرب إلا بوجه من وجوه الحق. وما جاء آدم ونوح وإبراهيم وأبناءؤه من الكتب والكلمات إلا وجوها من وجوه للحق. وما كان عيسى إلا وجهها من لانهائي وجوه للحق. وما قام محمد إلا أمرا جامعا لأموال للحق.

البشرية كظاهر لباطن من الروح، تجمعها وحدة الإنسان، عالم الغيب والشهادة، في ذاته من الظاهر ونفسه من الباطن، إنما هي جماع هذه الحقائق، وفي تجاوبها بالحديث والرأي قامت هذه الرسائل. فعلم الإنسانية عن نفسها هو علمها عن الحقيقة. ورسالات الأنبياء، والعلماء والأئمة والحكماء، هي الصحو الجزئي في مفرداتها، بعامل التوجيه من المعنى الكلي لها. ولا يختلف في هذا نبي عن نبي، أو إمام عن إمام، من حيث المبدأ، وإن اختلف من حيث القسط من الوعي والهمة من العمل.

رسالة الفطرة ورسالة الكتاب

ولكل رسول رسالة كتابية، ورسالة فطرية، وما الكتاب إلا وعيه الذاتي وما الفطرة إلا أحواله التقديمية. وليست أحواله التقديمية المنتجة لوعيه القائم، إلا بعث قديم حيواته، بتجاربه ومشاهداته، من خلال فطري ذاته، قدوة وأسوة لعصره وما يليه، حتى يتجدد من الناس للناس جديد بمزيد من معانيه. بدأ آدم النبوة رسالته لنفسه بنفسه من نفسه، وتابعه عليها أبناءؤه لأبنائه حتى إبراهيم الخليل لأبيه آدم، إذ جعلت النبوة والكتاب في بيته، حتى ختمت بعيسى من ولد اسحق قيامة لبني اسرائيل، وبمحمد من ولد اسماعيل، بدءا وتمهيدا لدورة إنسانية، وبعثا لآدم في دورة آدمية، وقياما لمعاني العبودية الحقية للكافة، بسماع الحق الإنساني لنفسه بالاجتماع على من يطلبه حق طلبه من عموم الناس من البشرية والجنية.

وما جاءت النبوة قبل عيسى ومحمد إلا برذاذ بالنسبة لما تساقط على البشرية من بعدهما من المعرفة، سواء عن الذات البشرية وما يحيط بها من ذات الكون، أو عن غيبات الذات البشرية، وغيبات الذات الكونية. فأنبياء البشرية من العلماء الذين حلت فيهم روح القدس، ففاضوا بكشف أسرار النفس وأسرار الوجود، قدموا للبشرية وللزمن كل جليل من الحقائق عن قدسية الوجود، وعن قدسية الإنسان وحقيقته. وما كان جهادهم إلا مواصلة لقديم الجهاد المتصل من الإنسانية لكشف القناع عن بصائر الجنس في مفرداته وجماعاته، تمهيدا لوحده على الحق في معناه، وتمهيدا لقيامه بالعدل على مفرداته وجماعاته.

فالرسالة الفطرية المنبعثة من الجنس الإنساني إلى مظهره بالبشرية، والتي جردها محمد بقيامه أسوة للناس، وبتعاليمه طريقا للكافة، وبأتمته جديدا له وقياما به، وقامها عيسى آية للناس، ولما يفعل الحق لطالبه في مفرداتهم، رسالة لا يلحقها الموت، ولا تبلى بمرور الزمن. ولكنها تتجدد مع تجدد الناس، وتتطور أساليبها مع تطورهم...

فالربوبية في رسالة الفطرة هي الملاء الأعلى بقيامه على هذا الملاء. وهذا القيام يأخذ صورة الرعاية والتولي بالعناية، بوصف السيد على المسود، في أقرب صورة للبساطة، وبوصف المعلم للمتعلم، وهي صورة أرقى من صفة السيد بالمسود، وهي صلة أكثر طمأنينة وأقرب وداء، أو صورة الأصل مع الفرع ممثلة في صورة الأب مع الابن، وهي صورة أوثق في الصلة، وأكرم للمدعو وأرحم من الداعي، أو صلة الاتحاد ظاهرا لباطن بالوحدانية.

فإذا كان الأصل هو الحق، والأصل لا يتعدد، كان الفرع هو العدل، والفرع قابل للتكاثر والتعدد، وهو بتعدد محله لحقه لقيام العدل بين مفرداته. فإذا قيل لنا (كل مولود يولد على الفطرة)^٧، أو قيل لنا (العقل أصل ديني)^٨، أو قيل لنا الإسلام للخلق دين الفطرة، وأن الحق من وراء الكل محيط، وأقرب لكل نفس من جبل الوريد، كان في إقامة العدل من الفرد على نفسه تمهيدا لظهور الحق له فيه، ولظهور الحق به لعانيه، من الكون والحقيقة. فالضال يهتدي ما استهدى، واليتيم يؤوى ما طلب أبويه، والسائل يسقى ما أدرك حاجته للحياة - ومن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه. ومن أُووي فإنما يؤوى لبداية من أصله. ومن يسقى فإنما يرتد إليه مرضي عمله. فن ذكر ربه في نفسه ذكره ربه بنفسه أقرب إليه من جبل الوريد. لا يفتقده بحسه، ولا يجهله بعقله، ولا يفتقره بإدراكه، ولا يشرك به، ولا يتعدد معه، ولا ينفصل عنه، ولا يتصف عنده، ولا يحاط به، ولا ينفك عن إحاطته به، موجود لا يغيب، وغيب لا ينقطع. الحق وصفه، والرحمة قربه، والعدل شيمته.

إن الذين يؤمنون بالفطرة قياما، وبرسالتها دواما، يؤمنون بأنها الحق وراء كل رسول، وأن رسالتها لرسالات الرسل جماع، وأنه لا ييأس من الروح متصلا مخاطبا مبينا هاديا معلما إلا القوم الكافرون. وها هي الفطرة وراء رسالة الروح تظهر وتنتشر.

الرسالة الروحية اليوم هي رسول الفطرة لنا جميعا

إن رسالة الروح رسولا للفطرة اليوم لا تفرق بين أحد من رسلها، ولا بين كتاب من كتبها، ولا بين أحد من أنبيائها. فالحق عندها، والحق بها، لا يتسع له عصر واحد، ولا أمة واحدة، ولا كتاب واحد، ولا تبليغ واحد، ولا تجربة واحدة، ولا محنة واحدة، ولا رسول واحد. فنهاية المعرفة إلى

بيوت الأحاد من الحقائق، الظاهرين بمعانيهم من معاني العبودية، للانهائي رحمته ولانهائي العلم عنه، من حقائق معانيهم، من لون قيامهم به، اتحادا يمسح الشرك ويحقق المغفرة ويدرك الوحدانية. يشهد به المؤمن (الإياك) نعبد في عين الأنا ممحوة أو مسيحة. ويرى القبح في الشرك بالأنا، والجمال لبديع السموات والأرض بوحدانية الهو، فتتحد الغاية من الدين وتستقيم الطريق إلى اليقين، إذ نعرف أننا بنا مخطئين. وأننا به مصيبين. وأننا إلى الحق في جلبابه من أنفسنا سارين. وبرسوله في عقولنا مهتدين، وبوحدانيته في ضمائرنا موقنين. وأن الهلاك في عزلتنا عنا، وأن الحياة في اجتماعنا بنا، وأن من سبقنا إليه فيه هو لنا قبلة، ولنا بيت، ولنا له وجه، ولنا معلم، ولنا يد ممتدة لمعاني جماعنا في حال اجتماعنا، ولنا مرآة لأنفسنا.

إن رسالة الروح، رسولا للفطرة اليوم، تفتح لهذه البشرية باب الرجاء وتغلق دونها باب اليأس والقنوط، كما تهئ لها طريقا مستقيما إلى غايتها من الحق تبحث عنه بغريزتها أصلا له وفرعا عنه، وتكشف الستر عن أرض البدء.. أرض ما قبل آدم.. مجتمع البشرية.. مجتمع الناس.. مجتمع ما قبل آدم.. مجتمع الطلقاء المكلفين.. مجتمع العلواء الجاهلين.. مجتمع الجهلاء العالمين.. مجتمع الطبيعة.. مجتمع الفطرة.. مجتمع هو أرض آدم، منه يصطفي بذرته، وفيه تزرع شجرته حب الزرع وحب الحصيد، مقبول فعله، مستور عيبه، مغفور ذنبه. منه يتواجد آدم، وفيه يبعث آدم، وبه يتحقق آدم، وعنه ينشق آدم، ومنه يأخذ آدم ملاء حضرته، وإليه يعود آدم وملؤه. فهو لآدم بدؤه، ولآدم كماله، ولآدم أبده وأزله، ولآدم جدته، ولآدم كنزيتته. به يتحقق لآدم للغيب عبوديته، وللشهادة ربوبيته، وعن الكون ألوهيته، وعلى الكون عظمتته، بتجديد إنسان صورته. به يبرز جلباب ذاته، وجلابيب صفاته، ليقدم رحمة أبوته، ويمتد بلدني علمه، فيوحي في الأرض أمرها، وفي السموات أمرها، قائما بعظمة عبوديته في مملكة عطائه، جمالا لقيومه، وكلمة من قديمه، هي وجه لمستديمه.

مجتمعنا هو مجتمع الفحم والماس. الخلق والحق. الناس والمحمدية

هذا المجتمع البشري على هذه الأرض هو مجتمع الظلام الدامس بين مجتمعات النور المتألهي، من سكان الكواكب وعوالم الروح، هو مجتمع سر الألوهية، ومجلى الربوبية، وعظمة العبودية، وتفاهة الغيرية، وسر ما وراء الشئئية، وأصل وكتاب الكونية، وقدس وشرف الوجودية، وظهور وجمال العلمية على معلوم الإنسانية، والتعريف عن رحابة الروحية، وسعة الألوهية، وعلى شمول الرحمة، وعموم النعمة. إنه منجم الفحم والماس للإنسانية. لقد جعل في خاتم النبيين وأول العابدين، وذكر الله ذاتا، وبيتا، وجمعا، ووجه جلاله وإكرامه وكرمه للناس كافة، ومظهر معنى ذات الحق، وروحه من الله للعالمين، عبدا لربه من الله، وربا للعالمين من الناس، مثالا لما يخرج من منجم الفحم من جوهر

الماس سراجا في زجاجة تعكس وتشع من نور الإطلاق من موجود الوجود من الله، علما عليه، ورسولا منه، وعبدًا له. جعل فيه أسوة للكافة، وطريقا مستقيما لا يختفي عامله، ولا يضل أمره، ولا يفتن صادقه، ولا يرجع عنه طارقه، ولا يتوقف عن الرقي سالكه، ولا ينتهي عن الامتداد صاحبه. أساسه قيام الله على كل نفس، وكسبه قيوما بقيامه بكل نفس، مذكورا في النفس من كل نفس، لا شريك له، ولا وجود بحق لغيره. يعرف ربا لعباده، ويعرف منزها لموجوديه بتوحيده ووحدانيته.

هذه هي رسالة محمد بالفطرة، كانها، وقامها، وتجدها، وتكاثرها. تكاثرها قبل ظهوره رسول الله وعبدًا لله، وتكاثرها بعد ظهوره دواما لرسالته بوجهه، وتكاثرها في قيامه بعثا لقديم عبوديته، وانتشارا لرحمته، رحمة من لانهائي ربوبيته.

هذه رسالة الفطرة قديما مع آدم تجددت مع قدمه محمد، عرفها بكتابه وسنته. فيها يولد كل مولود على الفطرة لا يسأل عن فعل الآباء والأمهات. ضرب فيها ابن مريم مثلا لمن يرتضي الله من عباد يكرمون ويرتضون من الله ومن الناس، فيتابعون متابعة للحق الظاهر من الحق الرسول لإنسان ورب العالمين. فالكل للحق من العبودية الإنسانية أبناء. الكل لإنسان الله أبناء. الكل للأبوة الإنسانية أبناء. فتعالى الانهائي عن الصاحبة والولد. أما البيت به يذكر اسم الله فهو بيت الإنسان، فيه حقائقه وحوله لطائفه ودقائقه.

الله هو السلم وهو السلام وهو في أعماق كل قيام

هذا هو الحق على ما يجب أن يعرف لنا في أنفسنا ومن حولنا. وإن ما نرانا من الحياة فينا ومن حولنا، ماثلة في الأحداث الصادرة منا والصادرة ممن حولنا، وما نقع تحت تأثيره من نزوات زاعمي السلطان الظاهر، وأدعياء التوجيه الصالح، تجعلنا في حرمان شبه كامل من عوامل الحياة المستقيمة. وهذا فيه التعليل الصحيح لعل ما نراه في عالم الحاضر من قلق شامل يقض المضاجع وينزع السكينة من نفوسنا، يحرم عقولنا ما يصح لها من الأمن والطمأنينة، ويجعل سفينة الحياة التي نسافر عليها إلى دار مرجوة الخير مضطربة المسير، لا تتحسس أنظارنا لبحر الحياة شاطئ سلام، أو بر أمان. فما بالنا وقد دب بين ركابها الخلاف والخصام، وأصبح السلام بعيدا عنها وعن مجتمعها في حال سفره، وأصبح الخطر من عوامل العدم يهدد عوامل الحياة والنجاة لها من الداخل ومن الخارج.

إن هذا الذي يمتنع علينا توفير أسباب السلام من حولنا وفي أنفسنا إنما يرجع لتعطيل عوامل الحق والإخلال بموازين أنفسنا فاختلت العوامل والموازين من حولنا، لأن الإنسان كما هو صفوة الحياة هو

أصل الحياة أيضا، والكون بماديته خاضع لقوانين الطبيعة، وهذه بدورها خاضعة لتدبير الحكمة، والحكمة مصدرها مظهر الرحمن، وظاهره من الإنسان العلم على المعلوم من الحق من الله.

حقائق الله دائمة التواجد فاعملوا لكسبها

فلو كان لنا إلى معاني الحق فينا أهداف، لتجدد فينا سليمان بحكمته وسلطانه، ولتجدد فينا عيسى بوصلته وعنوانه، ولتجدد فينا محمد بسنته وبيانه، ولتجدد فينا موسى بسماعه وآياته وإبداعه، ولتجدد فينا إبراهيم بخلته ونبوته وأبوته، ولتجدد فينا نوح بسفينته ونجدهته وخلاصه، ولتجدد فينا آدم ببيته وقديسيته، ولأدركنا بعث كل هذه المعاني والحقائق في طالبها ومعتقديها من جميع الناس في كل وقت وعلى صورة الدوام، فشغل الناس أمر أنفسهم بدل أن يشغلهم أمر استغلال غيرهم وهم في غفلة عن الانتفاع بأنفسهم. ولكن الناس هم الناس، كلما جاءهم رسول من أنفسهم استكبروا، فريقا كذبوا حتى إذا فارقوهم بالموت يصدقون، وفريقا قتلوا حتى إذا ما واروهم التراب عادوا يولولون.

إن الناس هم الناس على ما أخرجتهم الأرض، كلما جاءهم ذكر محدث من أنفسهم، حصيلة أعمال الصالحين من آبائهم ترد إليهم عملا مرضيا من عنوان الحياة بهم، يعرف الله وينطق به ويعنون معاني الحق منه، استكبرت أنفسهم بما فيها من ظلام الأرض، يعبدون أنفسهم ألفاظا ورسوما، ويغفلون أو يتغافلون عما فيهم من معاني وجواهر الحياة، يفقدونها بعزلتهم عنها، وإنكارهم عليها وهي الحق من الله لهم.

الله هو الحياة. الكل له وجه على ما نعتقه ونحياه

إن الحي القيوم من الله بالإنسان هو معاني الحياة، يحياها كل حي من الناس من الأصل الإنساني القيوم عليه بالحياة. فالإنسان بقيوميته وبحياته وحدة للحياة لا ترسم برسم، ولا تعنون باسم، ظاهر المعروف بلا اسم والموجود بلا رسم. إنه الحقيقة لا يتميز فيها صاحب سلطان بسلطانه - وإن عدل - أو صاحب علم بعلمه - وإن وصل - إذ الله من وراء الكل محيط ولا يفقد معناه منها جاهل - وإن ظلم -، ولا عاص - وإن أظلم - فالكل له وجوه، نضرت أو قترت، نارت أو أظلمت، فهو القائم على كل نفس بما كسبت علما على ما علمت وعلمت، علما على ما قامت وأقامت.

إنا نطلب الله واحدا لا تعدد له، ونعبده في وجهه من كل إنسان، ولا نعبده في فرد وإن وضع الرأس تحت الأقدام، فله وحده عنت الوجوه. والأيام يداوها بين الناس للاختبار وظهور الإحسان. فهذه هي عبادة الله على ما يليق بعبادة الله. إن نظرنا وجوها متميزة تابعتها وأحببناها فعباد معلمين، وآباء راحمين، وأخوة قانتين، يفتحون لنا كنوز قلوبنا لنرى الله معنا. هذا دين الفطرة

جاء به الأنبياء ومن قبلهم ومن بعدهم الحكماء والعلماء، دينا لا يعرف دين السلطان، ولكنه يعرف أن السلطان كله للرحمن. ويعرف أن العبودية لله هي كل السلطان وكل الإحسان وكل الدين. فلا ضعف ولا استكانة ولا ذل مع غيره، وأن العزة والقدرة والشرف والكرامة في كل ذلك معه. الحاكم والمحكوم له وجوه وله سجود. لا شريك له من موجود، ولا ينظر معه غيره في الشهود، أينما نولي فوجهه. هذا حقه والاستقامة عليه كسبه، والغفلة عنه فقده، وفي ذلك حكمه وعدله.

لا تعمهون عن حديث الله. فتناجوا بينكم فيه تكتب لكم النجاة

إن الله بحقيقته هو المتكلم على لسان كل قلب يقظ، وكل عقل مشرق، وكل نفس زكية. إن الله هو المتكلم في كل حكمة سديدة أو فكرة رشيدة يمكن أن تدرك، أو أن تقوم مدركة بين الناس. لقد أضعنا رسالات السلف من الأنبياء ورسالات المتجدد بيننا من العلماء، كما أضعنا كلام الحق من الإنسان إلينا، بتجاهلنا أو جهلنا أن الله هو المتكلم في كل علم، وهو الظاهر فيما أظهر من أسرار الوجود.

الإنسان بين معاني الشرق والغرب إنما يتقلب بين البدايات والنهايات

إننا نشهد ما يقدم بين أيدينا الآن من حكمة الغرب مبعوثة فيه من الشرق الذي قبرها بعد أن عنونها زمننا. ونشهد من علوم الغرب ما يعطي بياناً لما أنزل على أسلافنا نحن أهل الكتاب من حكمة مع رسله منا، وعباده من بيننا، فلا نلتفت لذلك، ولله المشرق والمغرب، وشجرة نوره من الجنس لا شرقية ولا غربية، ولكنها أمة وسطا به عدت عريية، جديداً لقديم من آدم البشرية. فإذا أظهر رب المشارق والمغارب حكمته مشرقة من مغرب جعله مشرقاً، فلا تغشي عنها إلا عيون قلوب منقبرة بما توارثت من غفلات الآباء، عما كان حقاً مدركا عند آبائهم من الأجداد. فهلا استيقظ الأحفاد، فتجاوزوا الآباء إلى الأجداد، فأحيوا منهم الأبدان والأبناء؟

في الشرق الغث والثمين، وفي الغرب الغث والثمين. لقد أخذ الغرب منا يوم سدناه الثمين، وترك الغث، فسادنا بما أخذ منا. فلما سادنا أخذنا منه الغث وتركنا الثمين، فما زلنا نتعثر في خطانا.

ها نحن نرى في كل ما يصدر عن الغرب من مستحدثات الصناعة في المواصلات والطب والحاجات المعيشية المختلفة، ومجالات الثقافة والتسلية الدقيق العجيب المعجز، وهو ما يذهب وجه العجب منه ويدخله في دائرة الإمكان العلم والتطبيق والصبر على التحصيل والتجربة.

ولكل وجهة هو موليها

إن للغرب رسالة كما كان للشرق رسالة. إن رسالة الغرب تقوم في تبين الحق في ظاهر الحياة، وإقامة العدل بمقاييس الحق من ظاهر الحياة. كما كانت للشرق رسالة تقوم على معرفة الحق باطنا لظاهر الحياة، وإقامة العدل على تناسق الظاهر مع الباطن من الحياة. وإن للشرق والغرب رسالة يوم يجتمعان على الحق في الحياة بشقيها من ظاهرها وباطنها، فتدعى عوالم الكواكب إلى مشاهدة ما قام من الحق على الأرض، ويتمكن أهل الأرض من نشر معارفهم وحققهم في أهل الكواكب لوفرة قسط الأرض من الحق فيها وفي أهلها.

إن الإنسان على الأرض يحيا في أحد مدينتين، المدنية المادية والمدنية الروحية. والمدينتان تعيشان على الأرض بلا غيبة لأحدهما. ولكن إنسان الأرض بما فيه من غلبة التراب والظلام يندفع إلى أحدهما دون الآخر. والمدينتان ضروريتان لرقى الحياة فيه، ومعناه جامع لهما في اجتماع غيبه على شهادته من اجتماع روحه على جسد لها، أو اجتماع جسده على روح له، ورقبه الذاتي ورقبه النوعي في تجمع مفرداته على المعنى الجامع لها مع وجه له، فيجتمع بذلك غيب المجتمع على شهادته فيصلح بشقيه من الغيب والشهادة، وهذا هو الحق المطلوب التعريف به، والعدل المطلوب للتذكير بضرورة إقامته.

إن الإنسان بشهادته أصبح ينتقل بسرعة الصوت والضوء. وهو بغيبه يرى في هذا بطئا في الحركة لأنه يستطيع الانتقال بصورة أسرع من ذلك لو تحررت إرادته من سلطان الطبيعة من جاذبية المادة وجاذبية النور، وتحررت من قيود الضعف من غريزة الطبيعة إلى صفات ومعاني الإنسان.

إن الإنسان بشهادته أصبح يعلم الكثير من أسرار الطبيعة، فأصبح يكشف لنظره ما يخفى على عينه بالتصوير تحت الأشعة الحمراء، وبالنظر لما تحت الأشعة السينية، وما شاكل ذلك مما تخفي أرض الأجساد أو أرض القيام من أحوالها، وما إلى ذلك من إمكانياته. ولكن الإنسان بغيبه ما زال يرى قصور شهادته. فهو لا يستطيع أن ينفذ إلى ما وراء الطبيعة سواء قبل قيام الطبيعة أو بعد قيامها، وهذا من صفاته لأنه بمعناه ما قبل الطبيعة وما بعدها إن كشف لنفسه سر نفسه.

إن الإنسان أجهد نفسه لتوفير أسباب الراحة لحياته القصيرة بالجسد. ولم يجهد نفسه قليلا لتوفير أسباب الراحة لحياته الطويلة بالروح. ولو أجهد نفسه لعرف أنه يستطيع أن يجعل من الجهد المبذول لراحة الجسد طريقا لسعادة وراحة الروح. فالحياة الطويلة ليس فيها عملة للتبادل إلا العلم والمعرفة. ووسيلة الحصول عليهما من الأرض أيسر، ومناهما فيها أقرب. والمواصلة بالحصيلة أنتج وأثمر حيث عالم تقيمهما.

لو عرف الإنسان قدر نفسه لسعى إليه الصلاح والفلاح ولعاش مع سيد الطبيعة

إذا كنت أيها الإنسان قد وصلت بعلمك وبمكنتك إلى ما وصلت إليه، فكيف بمن هو معك وأقرب إليك من جبل الوريد، أينما كنت، وكيفما كنت، والذي مهدّ بما علمك لما سوف يعلمك؟ إن هذا هو النوع من الذي يجب أن نتحدث فيه، ومن العدل الذي يجب أن نوفره لأنفسنا، منصفة منا، حتى إذا ما صلح منا صالح به، وإذا ما انتشر هذا الصلاح فينا، كما قوما صالحين بالحق، انتشر منا الحق في عالمنا وعلى أرضنا، فبدلت بنا الأرض غير الأرض، وبدلت لنا السموات غير السموات.

إننا نعيش على أرض لا تملكها وهي تملكنا. تملكنا لأننا تحت الطبيعة، ولأنها الطبيعة. وقد أوجدنا سيد الطبيعة فوق الطبيعة لأننا منه وإن أظهرنا من الطبيعة وهي مظهره.

فإذا قلنا نحن خلقنا لنكون عبادا لله، فلائي رب، ولائي حق؟! للواسع العليم، للكبير المتعال! إن الدين يطلب منا نحن الذين نقوم تحت الطبيعة، وقد خلقنا من الطبيعة، أن ندين بالولاء لسيد الطبيعة، فنسودها بطبيعتنا، ونقومها بنفوسنا وجبلتنا. فإن قام فينا في الله قائم به ما كان الله ليعذبنا وهو فينا، وإن أدركنا حكمته من خلقنا لكونه فاستغفرنا من قيام أنفسنا مع قيومه، ومن قيامنا غافلين إلى قيامه موحدين، أمهلنا ما عذبنا ولا أهلكتنا. ألم يقل لنا في كتاب إحاطته مع تام كلمته {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}؟ ألم يقل لنا كلمته وعنده عيسى (لا الدينونة الآن على من دخل في قلب يسوع)؟ ألم يعرف أنه من الحق والمؤمنون به منه فهم به من الحق، وهو في الحق وهم فيه، فهم به في الحق! فالناس بإيمانهم في كلمات الله وكلمات الله المخرجة هي من الله، والناس بها من الحق من الله. والله أكبر دائما. الله الأكبر من الروح، والأقدس من الذات في دوام من المعارج، ودوام من الرقي، وفي دوام من الطلب عند الملاء الأعلى وعند الملاء الأدنى.

لماذا تعطلون فعل الله وفعله ثابت لا تشابهه أحداثكم

إن الذي كلم موسى وجعله كلمه ما عجز عن مكالمتنا وجعلنا مكلميه. وإن الذي آوى محمدا وجعله يتيمه ما عجز عن إيوائنا يتاماه. وإن الذي نفخ في عيسى من روح القدس وجعله كلمته ما عجز عن أن يؤيدنا بروح القدس ويجعلنا كلماته. وإن الذي اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران فجعلهم عباده ما تعطل له فعل باصطفاء لآدم وآل لآدم، وأن يذهب الرجس عن أهل بيت لآدم، وأن يكرم أبناء لآدم، يرفع ذكرهم، ويعلي أمرهم، ويعقد جمعهم، ويؤلف بين قلوبهم، ويمتد فيهم بروحه وبنوره، ويتمهم ويتوفى نفوسهم ويمسكهم بيده.

هذا هو الدين على ما جاء به كل مؤسس للدين. وهذا هو الحق على ما جاء به كل وجه للحق، قام بين الناس رسولا من أنفسهم. فهل مجتمعنا البشري على ما نراه في هذا العصر مدرك لذلك أو بقسط

وافر منه، أو مدرك لضرورة طلب ذلك والطواف حوله؟ إننا إن طلبنا ذلك وعملنا له، والحياة متعددة من حولنا، وهي أشد ما تكون حاجة إلى الحق والعدل، فهو السلام ننشده وهو السلم نفتقده.

لصالح من هذه الحرب المشبوبة.. ونحن لا نملك السلاح ولا نحسن الدفاع؟!

إننا في حالة حرب مشبوبة في أنفسنا، قائمة بلا هوادة بين أبعاضنا من الضمير والوعي المصلحي، والعمل والاستسلام، والضعف والمجاهدة بين الرجاء واليأس، بين الحياة والموت، كما هي مشبوبة في بيوتنا بين الأب والابن، بين الزوجة والزوج، بين الأخ والأخ، كما هي مشبوبة في مجتمعنا بين الحاكم والمحكوم، بين الراعي والمرعي، كما هي مشبوبة في مدينة دنيانا المادية واقتصادياتها، ومدينة دنيانا المعنوية وألوانها وبين عقائدنا وعلومنا ونظمنا. نحن أحوج ما نكون لجنود الحق ولجنود العدل. نحن أحوج ما نكون لاستخراج الحق المطمور بين جوانحنا والعدل المفقود بين جوارحننا. لقد تعلمنا عن طبيعة الكون وكشفنا خوافيه، ولم نتعلم بعد عن طبيعة أنفسنا فنكشف شيئاً عن خوافيها. عملنا للكفاية الذاتية للدولة الواحدة والوطن الواحد، ولم نعمل شيئاً لخدمة قيام الكفاية الذاتية للكائن من الفرد البشري الواحد. تعلمنا وعلمنا كيف نحمي الشعب من نفسه والوطن من ضعفائه، ولم نتعلم أو نعلم عن حماية الكائن الفرد من نفسه ومن ضعفه. شغلنا ما لا نملك مما حولنا، ولم يشغلنا ما نملك مما فينا. ملكنا ما حولنا مما لا يخلد، وفقدنا ما فينا مما هو خالد.

تصارعنا على المعدوم المستهلك لنحوزه، وأفنيانا الخالد من نفوسنا في سبيله. ولو تصارعنا على المعروف الخالد لنكونه وننشره، لأحيينا الخالد من نفوسنا، وأسلكناها سبيلها، بالدفاع عن الحرية في كل مجتمع كاملة شاملة عاملة. إن عقولنا لا ترفض الحق ولا تأبى العدل ولا تجهلها في أي مستوى من مستوياتها، ولكن نزوات النفس والذات منا في سجن الأنانية ترفض الحق وتأبى العدل. وعلى أساس من هذه النزوات تقوم نظمنا وتنظم مجتمعاتنا.

إن الكفر بالله، هو الكفر بالناس. وإن الشرك بالله هو الانفراد بالعمل دون هديه. وإن الحرب معه، هي الحروب بيننا. وإن السلام معه هو السلم ندخله في مجتمعاتنا. وإن الدين مقامة أركانه إنما هو في نشر السلام والمحافظة عليه، ومقوضة أركانه في هدم السلام باسم الحمية للدين أو للقومية أو للوطن أو للكرامة. واليوم نهدم السلام باسم السلام. مقولات لا موقع لها من قلوب القائلين بها، ولا موضع لها فيما يصدر عنهم من أعمالهم.

إخواني سادتي

لا تغيبوا ما عرفتم من أمر الدين. ولا تغيبوا الله ولا تسوفوه. ولا تغيبوا الجزاء ولا تسوفوه. ولا تغيبوا قيومية الحق عليكم ولا تسوفوها. ولا تغيبوا الساعة ولا تجاهلوها. فالساعة إن سعدتموها هي في قيامكم لحظة يقظتكم، وإن شقيتموها هي لحظة حياتكم، من عديد حياتكم ستشهدوها وقد فقدتموها.

إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها.. وليكن الله هدفكم ومبتغاكم

إنكم من الله، وإنكم إلى الله، وإنكم في الله. وما هذه الحياة البشرية اليوم إلا ما قبل إنسان الحق يفعل بإرادة الظهور فيظهر، وما هو إلا إنسانكم. هذه الذوات جلايب مظهره يوم تحيا القلوب بهذه الصور لمتصورها، تتواجد به حياتها وحركتها، وفي هذا ظهوره من غيبه، وسفوره من كنزيتة. فلا تضيعوا هذه الفرصة، وتعرضوا لنفحات الله من بينكم، وازرعوا كلمة الله ما شهدتموها في أرض ناسوتكم من القلوب. واذكروا الله كثيرا في أنفسكم بها، تُجلى قلوبكم من ظلامها وتُطهر من رانها.

هذا هو الحق يا إخواني على ما أريد أن أتوصى به معكم، وعلى ما أحب أن تدركوه في أنفسكم. وإن ما أريد وما أحب، وما تريدون وما تحبون إنما هو من إرادة الله ومن حب الله. ولو تركت الأمر لقلبي يتحدث إلى قلوبكم ما توقف هذا الحديث بيني وبينكم، لأن القلب لا يعرف التوقف لفعله، كما لا يعرف البدء أو الانتهاء لإرادته، ولكنه يعرف البدء والانتهاء لظهوره. وإن في حديث القلب إلى القلب تقوم الصلاة، ويقوم الفلاح، وتقوم بالامتداد الحياة، وما قام بالقلب متصل لا انقطاع له لانهائي، وما يبرز منه من الحق لانهائي، وما ينتشر من عدله في وجوده لانهائي.. لا نهائي في عظمتة وسعته، لانهائي في قيوميته وقربه.

أمرنا في الله هو الأمر الجلل وهو لب اليقين

فأمر الله معنا ميسر إدراكه، وغير خفي شأنه، وليس من العسير كشفه. فلا تعقدوا أموركم معه لأنفسكم. ولكن الأمر الجسيم، والشأن الخطير، والوضع الدقيق، إنما هو أمر النفس فيه، وأمر كيان الناس من كيانهم، وقيامهم من قيامه، ومعناهم لذكركه، ومعناهم لإرادته في كونه، وقيامهم بأمره، عباد قدسه وأعلام الأقدس في لانهائي وجوده.

والعمل للعلوية على الأقدس هو العمل لكسب العبودية له والقيام بحقيتها فيه. وهذا هو طريقنا المستقيم لا يسلك إلا باختيارنا وإرادتنا مظهرها لإرادته وحكمته. وهذا هو طريقه المستقيم ما عرفنا منه وما قننا به. وهذا أمر جليل تدور عليه حياة الفرد والجماعة والبشرية في جميع صورها وأزمانها وبقاعها. وما سميت هذه البشرية باسمها إلا بشئ بكسب معنى العبودية لقدسها في الأقدس من قيامها.

لا إكراه في الدين وبصيرتك فيك هي مفتاح اليقين

من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. فما مشيئتنا بالكفر أو الإيمان إلا مظهر مشيئته على ما أحكم من أمره في أمرنا. أفأنتم تكرهون الناس حتى يكونوا مؤمنين! لا إكراه في الدين تبين الرشد من الغي. حرية الناس أساس استقامتهم في الدين. واستقامتهم في الدين أساس انتظامهم في المجتمع. وانتظامهم في المجتمع أساس قيام الحق فيهم وانتشار العدل بينهم. أعطى كل شيء خلقه، وهدى كل شيء سبيله.

نحن المحامون، جنود الحق وألوية العدل. ليكن هذا رائدنا فيما نقوم به من عملنا، ليكن هذا لب صلواتنا، ولتكن مكاتبنا صوامعنا ليستقيم به عملنا، ويطيب ويتزكى به رزقنا، وتنمو به عناية الله لنا، وتنتشر به عناية الله منا. به تستقيم أفعالنا في مجتمعنا كرواد له، ومعلمين فيه.

هذا هو الدين في المعاملة، وهذه هي الصلاة في الصلة، وهذا هو الحق في الخلق، وهذا هو الكل في الله. إن الله وراء الناس ما نظرناه، وإن الله في مواعين الأنفس ما لاقيناه.

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بوهم الدين، وبوهم اليقين وبوهم المعرفة، وبوهم الصلة إذ يعرفون سبيل الله كلاما تلوكه الأفواه وتقبله الأذان، أضل أعمالهم وفتن الضالين بهم، ومسخهم على مكائهم فما استطاعوا مضيا في أمرهم، ولا إلى أهلهم يرجعون بكسبهم. ومن يضل الله فلا هادي له، ولا ولي له، ولا مرشد له. والذين آمنوا بما أنزل من الحق وهو الحق من ربهم ممتدا، منتشرا متكاثرا ما ينسخ من آية يأت بخير منها أو مثلها، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم.

إن كلمات الله الطيبات هي شجرات جنسكم فاستظلوا بها

إن الذين آمنوا بكلمات الله لا انقطاع لها، ودخلوا في الحق ظاهرا بها، لا دينونة عليهم ما دخلوها، ولا خوف عليهم ما عرفوها، ولا حرمان لهم ما طلبوها، ولا احتجاب لها في أنفسهم ما جاهدوها. إنها كلمات الله المتصاعدة من شجرة الجنس البشري، كلمات طيبة من شجرة طيبة أصلها ثابت، وفروعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. وما الشجرة الطيبة الثابت أصلها، المتصاعد فرعها، إلا أنتم في معاني اجتماعكم ووحدةكم. وما كلماتها الطيبة كلمات الله إلا مفرداتكم أصولا للجنس وأوادم لبيوت الله ترفع ويذكر فيها اسمه في معانيكم.

فاحرصوا يا إخواني على كسبكم في دنياكم هذه، واكسبوا أنفسكم كلمات الله مع كلمات الله تترى بينكم، في أخوة مرشدة لا تنقطع. ولا تبقوا أنفسكم في عزلة بذواتكم، وأقيموا الصلاة بالصلة بها، واعملوا للفلاح بكسب صفاتها، واستعينوا بالصبر والصلاة ميسرا لكم في يومكم، بعيدا عنكم في غدكم.

هدانا الله وإياكم سواء السبيل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه: "...أعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه..." بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٢ حديث شريف: "كما تكونوا يولّ عليكم". رواه الديلمي والبيهقي.
- ٣ من حديث قدسي: "...يا عبادي! إنّما هي أعمالكم تُردّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.
- ٤ حديث شريف: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عَنْدهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي". صحيح البخاري
- ٥ سورة طه - ٤٣، ٤٤
- ٦ سورة الرعد - ٣٣
- ٧ الحديث الشريف: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ يَمَجْسَانِهِ" أخرجه البخاري، ومسلم مطولاً باختلاف يسير.
- ٨ عن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. المحدث: العراقي. وصفه أنه موضوع، وذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.
- ٩ سورة الأنفال - ٣٣
- ١٠ إشارة إلى الآية: "إِذَا لَا شَيْءٍ مِنَ الدِّينُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ. لِأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنَ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ". رومية ٨: ١-٢

(٢)

الإنسان عالم لعبد ورب

حديث الجمعة

٧ شوال ١٣٨٠ هـ - ٢٤ مارس ١٩٦١ م

آمنت بالله وجودا لا شريك له. وآمنت برسول الله إنسانا لا انقطاع له. وآمنت بعباد الله حقا ووجوها له. وآمنت بخلق الله عوالم قيام عبوديته في قيام له. تنزه ربي عن الغيبة وعن الاتصاف. وتنزه إلهي عن التعدد والوصف.

إذا لم يقيم الدين على معرفة النفس وربها بالإنسان غريزة وعقلا، وإدراك فعله وفعلها، وقيام وصفه على وصفها، وتخليها عن وصفها إلى وصفه، والتمييز بين فعلها وفعله، وتعطيل فعلها إلى قيام فعله، بتعطيل وصفها إلى قيام وصفه، ومقت فعلها وارضاء فعله، ومقاومة فعلها والتمهيد لقيام فعله.. إذا لم يكن هذا حاضرا من أمرها لحاضر من أمره، وحاضرا لقيامها لحاضر من قيامه، فلا دين ولا أساس لدين.

تأملوا هدي الرسول وهو يقول (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)^١، وتأملوا قول ربه على لسانه في كتابه.. وحسابه.. وبعثه.. وهو يذكر بقرآنه {فَنَ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}،^٢ تأملوه وهو يقول {أَحَاطَتْ بِهِمْ خَطِيئَاتِهِمْ}،^٣ وتأملوه وهو يقول {ووجدوا ما عملوا حاضرا}؛ فهل أحاط العمل بصاحبه أم أحاط العامل بعمله؟

إن الله لفظا وكلمة، وكلاما وعقيدة، وقياما ومعنى، وعلمها ووعيا وفهما، ومعرفة وجهلا، موحدًا في ذاته وروحه، ومعددا في صفاته وتجلياته، مباعدا أو بعيدا، مقاربا أو قريبا، بأي قسط من ذلك عنه من إنسانه للإنسان يكفيه. وأي لون به فيه يرضيه. فلا محل للجدل فيه ولا للشرك به، إذ لا محل للإحاطة به أو الاستئثار بأمره. فهو من ورائهم محيط بوحدانيته، ومن وراء الكل محيط بحكمته، وعلى الكل قائم. وعلى الفرد قائم.

صفته الهدي، وصفته الخلق، وصفته الفعل، وصفته القرب، وصفته التعالي. خلّق الناس بخلقه خلفاء له على أرض ذواتهم. وجمعهم فيه خليفة عنهم على أرض قيامهم. وأبرز منهم حصيلة أنفسهم رسولا منهم برد أعمالهم إليهم في افتقارهم إليه رحمة بهم منهم، هي رحمته في دوام أمر وفي دوام فعل على صورة من دوام فعله، ودوام صفاته، ودوام أمره بقائم ذاته وقيام روحه بدوام تجليه، بوجوه ذاته في دوام قرب به بلطيف روحه.

فإذا قال رسول الله (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)°، وإذا قال الكتاب {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}^، وإذا أشار إلى ما يحيط بالمرء من سوء عمله، وإلى ما بإحاطة المرء بعمله فقال {ووجدوا ما عملوا حاضرا}^ كان الفهم في الدين هو الفهم في النفس من حيث أمرها من أمر الله، ومن حيث بعثها في أمر الله، ومن حيث قيامها بأمر الله، ومن حيث فعلها صادرا عنها بنفسها أو بنفسه، ومن حيث فعله صادرا عنها برحمته أو بحكمته بفعل صادر منه - وإن صدر منها - وصادرا عنه - وإن صدر عنها - سواء اتصف الفعل بخير أو بشر-، فإذا نُسبت الأفعال إلى الله فلا شر فيها ولكنها توصف أنها له بعباء أو بجزاء، توصف له برضوان أو بحكمة، توصف بصالح أو طالح. أما إذا نسبت الأفعال إلى العبد فإنها عن علم أو عن غفلة توصف بمعلوم مرضي أو بمجهول غير مرضي، توصف مضافة إلى الله في إيمان به أو توصف مضافة إلى النفس في مخاصمة له، كما قد توصف في وهم المخاصمة له أو في مظهر الطاعة له من حكمته. وفي إضافة الأفعال إلى النفس مع جهل بارئها وصف الشرك وإن صلح العمل.

فإذا ما تجمع الناس متواصين بالحق، متواصين بالصبر على مثال من ظاهر ما تفعلون اليوم في هذه الدار.. ترجون وجه الله، وتسألون رحمة الله، وتقومون بوحدانية الله، وتذاكرون بقدرة الله، وتتحلون عما في أنفسكم من أوصاف القطيعة والجهل، وتحلون منه برحمته ومن فضله بصفات الكرامة والرحمة والقرب والوصل.. إن هذا الذي تقومون فيه منتج لآثاره بقيام وحدة منكم وحصيلة لوصلتكم، ترد إليكم فيظهر لكم خروجكم من قطيعتكم، وقيامكم في اتحادكم، بوحدتكم في وصلتكم.

يظهر الله لكم فيكم برسول من أنفسكم فردا هو جماعكم، ويهيئ لكم من أمركم رشدا في اجتماعكم، منكم جماعتكم فردا يجمعكم.. قلوبا متجمعة على قلب تحييه ويحييها، قلبا يرتد به إلى القلوب عملها، ويتم لها بقلبه بيت طواف، وقبلة حب، وصلة وصلابة باجتماع إنسان هي فيه لها مرآة مفرداتها روحا لله، وهي له مرآة فردا به عبد الله يرى الله في صفاته في رؤيته لحقي وجوها وجهها لربه ووجها له، ويرون على مرآة صفاته معانيهم من وحدتهم في أحدهم من الله مرآة لما في قلوبهم.. مرآة لهم على وجهه بمرايا له، فيتنافرون مع أنفسهم في التنافر معه، ويتوaddون مع أنفسهم في التواد إليه، ويتخلفون

عن سداد خطاهم في مستقيم طريقهم في التخلف عنهم بالتخلف عنه، ويواصلون طريقهم طريق الله مستقيماً في متابعتهم لهم في متابعتهم.

الموحد من توحد معه. والصدّيق من صدّقه. والصادق من صدّقه. والفارق في الأمر هو الفارق في وصفه من فرق البحر معه ليتابعه ومعه في الحق يجمعه. في خلاص من اتصفت نفسه بالطمأنينة فدخله فتخلّص، ومن أوزار نفسه خلّص. والناجي من ركب سفينته. والعارف من دخل مدينته. والمشرق من بنوره نار قلبه بامتداده إليه وبقائه معه من نور الله بحضرته.

قامت قيامة من اجتمع عليه فعرفه. واجتاز ساعته من أحبه فشرفه.

إنه طالب لمن طلبه، غير مجاف لمن قلاه وفقده. تأملوا هدي الرسول وهو يقول (إن الله يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه)^٨، وما الله الباحث عن عبده إلا رسول الله الباحث عمن يصدقه، وعمن يوحدّه، وعمن يقبله حقاً من الله مرسلًا. والعبد الباحث عن الله ليس إلا رسول الله في كريم عبوديته لربه.. بحث عن الله فوجده، وأدرك جهله عن معية الله فعله، فعله الناس وجوها له، وعرفه الناس قرباً منه، وعرفه نفسه عبداً له، فحسنت خلقه، وكل خلقه، واستقام تخلّقه، وقام عليه ربه وحقه فقامه رسولا وعبداً موصولاً، فكان بذلك أسوة للناس، وكانت رسالته للناس وجوده، وشفاعته للناس اقتداؤه، ورحمته إلى الناس تجددّه، ومعرفته عند الناس بعثه فيهم وتواجده، وجماله عند الناس قربه وتوادده.

عبد الله.. ووجه الله.. ويد الله.. وقدم الله.. وطريق الله.. وحضرة الله.. وجنة الله.. ونار الحياة من الله.. ودنيا النعيم من الله.. وأخرى لقاء الله.. وغيب حضرة الله.. والرفيق الأعلى من الله.

هل شهدنا رسول الله؟ هل شهدنا لرسول الله؟ هل شاهدنا فيه وجه الله؟ هل علمنا به عظمة الله في عظمة عبد الله؟ هل أحسنا عملنا في اقتدائه وعقائده في اقتفائه؟ هل انتظرنا ارتداد عملنا إلينا ببحثنا عن حجاب ارتداده، نتأبن فيه أعمالنا فترد إلينا من قبلة صلاتنا إلينا في بيت لوجوده منا من بيوت تدانيه إلينا؟ هل قامت فينا أعمالنا مرتدة من حجاب وجهها له منا تحجب به عنا وجهها لله لنا، إلى حجابنا من ذواتنا تحول بين ما ورائنا من الحق، وبين ما بين أيدينا من حقي أنفسنا؟ هل عرفنا أن الساعة قائمة يكاد يخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى.. وأن الساعة نحن مقيموها يوم نكون من مدركيها ويوم نكون من المؤمنين بها، فنحاسب أنفسنا فترد إلينا أعمالنا فنقومها ظالمين لأنفسنا أو منصفين لها حتى نواصل الحياة على بصيرة - وقد كشف عنا غطاؤنا وقد تعرضنا لنفحات الله في أيام دهرنا على ما هدينا-؟ إذا لم يقم على هذا الدين، فلا دين لنا، ولا قيام له فينا.

ها أنتم قد صادفتكم عناية الله، بقدر منه، على مجهول طلب منكم إليه، أُجبتُم إليه بجمعكم هذا - وها هو صالح عملكم من قديم في آبائكم يرتد إليكم في يومكم، برسول من أنفسكم، حصيلة وجودكم على سنن مما قام يوما في دورة الزمان بأديم بحمد، إنسان الله من عباد الله أسماء له ووجوها لجلاله، بهم أحواض ربه وبحار مياه الحياة تتدفق من ميازيب سمائه على موات أرضه، قطرات حياة من لانهائي وجوده وجوده.

ها هي السماء تليكم في جمعكم، وتناديكم في إنسانيتكم وتقاربكم محبة، وتنتشر في الناس بكم مستجيبة - ها هي السماء بنورها ومائها بخيرها وملائكتها، بجنودها وروحها، بريحتها وطيبها، بأقداسها وقُدُسها، بظلل الغمام من رحمتها، بقيومها بقيامها، بأربابها بعبادها، بوحدانيتها بصفاتها، بكرمها وجودها، بدانيها بغيبها، تدانيكم في وحدتكم، وتنتشر منكم بوجوها تطلب بكم الناس لأحواض رحمتها، وتناديكم لحضرة ربهم في ربوبيتها روحا قريبا مدانيا لا يأس منه طالب أو مستجيب، كبيرا متعاليا يُرجى ويُسأل ويُطلب ويُسعى إليه، مع وسطائه ورسله، لا تدرك نهايته فلا انتهاء له، ولا يحاط به فهو المحيط بعباد إحاطته، لا ينتهي له طلب، ولا يتوقف أو ينقطع منه رغب، يطلب فيمن توفي من عباده بمن صلح من عباد لهم عبادا له. فهو المحيط بعباده محيطين بعباده أو بخلقه.. وما الحياة الدنيا من الناس في الآخرة منهم إلا متاع أهل الآخرة منهم، فما الحياة الدنيا من أهل الأرض إلا متاع أهل الآخرة من عوالم الروح. وما الحياة الدنيا والآخرة بما فيهما إلا في ملكية أهل وده من عباده من أهل رشاده، وأوادم وجوده، وآحاد معناه، وبدايات قدسه في لانهائي وجوده المكاني أو الزماني أو المعنوي.

إن الوحدانية فيه لا تكون إلا معهم، بالتوحيد مع آحاد عباده من تمام بدايات خلقه. إن أول العابدين يتوحد معه آخر العابدين، وما آخر العابدين في أحديته إلا أول العابدين في وحدانية المعبود منه من الحق الموجود في ساحة الرحمة، المقصود في لانهائي الله.

إن محمدا كان أول عابدين وأولية عابدين ومثالا لأوليات العابدين. من قبل محمد ومن بعده مئات وآلاف وملايين الآلاف من محمديات ومحمدين في لانهائي الله، وفي أحدية وجود الله ظهرت وتظهر بعباده من آحاد خلقه. إن كل من في السموات والأرض إلا آتية عبدا، إذ ما عرف أهل السموات والأرض في الحقيقة إلا عبد سيادتها، استوى بوجه جلال ربه على عرش وجودها، واتسع كرسي سلطانه لما فيها بسمواتها وأراضيها. تعالى أحد الوجود عن الاتصاف بمفرداته، وتعالى المحيط بالوجود عن قيام إحاطته بما تواجد فيه به من خلق. تعالى الغيب عن الشهود، وتعالى الموجود عن التواجد، وتعالى الكل عن الجزء. تعالى الله عن الوصف والاتصاف.

كل هذا جاءنا به عبده، وعلَّنا رسوله. فما علمه إلا ذو حظ عظيم، وما تلقاها إلا الذين صبروا. علَّم الرسول الحكمة فعلَها فكان حكيما. وتعلَّم الناس منه الحكمة فكانوا حكام، وكان لهم الحكمة، فعنوا من الحكيم إلى الحكمة، ومن الحكمة إلى المحكم، فكان أول حق، وأول وجه، وأول خلق، وأول كون، وأول وجود، وأول عبد عرفته بشرية هذه الأرض. كان لنا لكل شيء في الله، ومن كان لشيء لحق فلا آخرة له بعثا لأولية في شيء أو في الحق.

سنعرف عن محمد - وقد عرفنا عن محمد - وسوف نعرف عن محمد، وسنبقى مع كل معرفة في جهل بمحمد. كلما عرفنا عن محمد عرفنا عن أنفسنا فيه، وكلما عرفنا عن أنفسنا فيه عرفنا عن نفسه فينا. وكلما عرفنا عن نفسه فينا عرفنا عن الله علينا. وكلما عرفنا عن الله علينا عرفنا عن محمد بنا، وكلما عرفنا عن محمد بنا عرفنا عن محمد منا، وكلما عرفنا عن محمد منا عرفنا عن الحي القيوم بنا.

إذا قلنا لا إله إلا الله فيجب أن نقول معها أنه لا رسول إلا الله أيضا، ويجب أن نقول معها أنه لا عبد إلا الله كذلك، فإن لا إله إلا الله تشمل ذلك كله. فإذا دخلناها وعرفناها عرفنا أن الله أكبر. وكلما عرفنا أن الله أكبر كلما دخلنا في لا إله إلا الله، وكلما عرفنا عن لا إله إلا الله.

ولذلك قامت رسالة الفطرة وقامت رسالة الإسلام على عمدها الخمس في عمدها من آل بيت محمد الخمس.. عمودا واحدا في لا إله إلا الله.. في رب محمد قام به محمد وقام بمحمد في أهل بيت الله. وبأهل بيت محمد قامت أمة محمد، لا عد لها ولا حصر لها ولا توقف لها ولا تعدد لها. إنما هي وجوه في وجه الله، بوجه محمد وجهها لربه، وبوجه علي وجهها لربه، وبوجه فاطمة وجهها لكلمة الله وروح الله، وبوجه الحسن والحسين وجهها لحضرة من علي والفاطمة، وبوجه أبناء هي وجه لهم متعاقب، وبوجه محبين وعتره هي وجوههم.. وجوها لله. الله بمحمد من ورائها محيط.. (سلمان منا أهل البيت)^٩، (مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)^{١٠}، (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلوا أبدا، فإنهما لا يفترقان أبدا)^{١١}، (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)^{١٢}، أي يوم أقوم بينكم بالمقام المحمود من الله وجهها له، ذكرا جديدا، سوف تعرفونه لذكر قديم ما تجهل لكم ولكنكم تتجاهلونه.. ذكر يحدث من ذكر حدث لذكر تقادم يقوم ثمرة عنهما لوصلة الحديث بالقديم، في بيوت أذن الله أن توضع، من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن قيام ربهم وعن ذكر الله، قريبا من أنفسهم بعيدا عن إحاطتهم، محصلا ذكره بهم في حصيلتهم من قيامهم في دنياهم أو بمرجو قيامهم به في أخراهم.

هذا هو الدين في بساطة وعمق. من قامه مع من قامه فقد قامه. ومن لم يعرف من قامه فما عرفه. ومن لم يقمه مع من قامه فلم يدخله وما شرفه، (المرء على دين خليله)^{١٣}. فتعاليم الدين بينكم إنما هي

في إرشادكم لذلك وإلا فليست بتعاليم لدين. إن الدين عند من يعرف اليتيم وليست عند من يدع اليتيم، عند من يطلب مائدة المسكين وليس عند من لا يحض على طعام المسكين. ولا يحض على طعام المسكين إلا من يطعم من موائد المساكين.

إن الدين في اجتماعكم على من هو الدين من بينكم (فلينظر أيكم من يخال) ^{١٤}. وإن البعد عن الدين إنما هو في ابتعادكم عن من كان الدين في عصركم. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ^{١٥}، {إنا أعطيناك الكوثر...} ^{١٦} {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} ^{١٧}. {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث} ^{١٨}، {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} ^{١٩}، {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} ^{٢٠}. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ^{٢١}، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم} ^{٢٢}. الذين قالوا سمعنا لكل كتاب، وأطعنا لكل رسول، وعرفنا أن النقص من شيمتنا، غفرانك ربنا ضع عنا أوزارنا وإليك المصير.

ما فرط الكتاب في التعريف عن الكتاب. وما فرط الكتاب في التعريف عن الله. وما فرط الكتاب في التعريف عن الطريق إليه. وما فرط الكتاب في التعريف عن الألوهية للإله، وعن الألوهية للناس، وعن الربوبية لله، وعن الربوبية للناس، وعن الملك لله، وعن الملك للناس. ما فرط الكتاب في التعريف عن أم الكتاب. ما فرط الكتاب في التعريف عن الكتاب يكتبه الناس يأخذونه بأيمانهم أو يأخذونه بشمالهم. ما فرط الكتاب في الإبانة عن الكتاب يقرأه كاتبه تعريفا عن معرفته عن نفسه. ما فرط كتاب محمد في التعريف عن نفسه كتابا لمحمد أخذه بيينه، وقال للناس هاؤم اقرءوا كتابه، فكان رسول الله إلى الناس، وكان عين كتابه للناس أناجيل نفسه، وكان معناه هو الكتاب، وكان الكتاب إنما هو بيانه عن نفسه عنوانا للناس وأسوة لهم، فكان بذلك قدوة لكافة الناس ارتضاها الله لهم، وبقي أن يرتضيها الناس لأنفسهم. ويوم يرتضيها الناس لأنفسهم رضي الله عنهم. ويوم يقوم رضوانهم عنه مع رضوانه عنهم يقوم رضوان من الله أكبر.

هذا هو الحق أسأله لي ولكم متزايدا، وأسأله لي ولكم متواجدا، وأسأله لي ولكم في رحمة منه سياجها عزة به، وأسأله لي ولكم في عطاء منه بلا قنوط منا، ولا طغيان به على غيرنا. وأسأله لي ولكم في دنيانا، كما أسأله لي ولكم في أخرانا، وأسأله لي ولكم في بنائنا، كما أسأله لي ولكم في أرواحنا، أسأله لي ولكم في سؤال له دائم لا ينقطع أبدا ما تواجدنا بوصف عبده، وما تواجد فينا بوصف الرب لنا في تواجده بوصفه لا شريك له، إلى أن نلقاه في أنفسنا، يوم يكشف الغطاء عن معناه في معانينا بمعيتنا، وعن معانينا في معيته عبادا ووجوها له. لا إله غيره ولا معبود سواه.

أضواء على الطريق

من أقوال القوم: -

- بيني وبينك أني تنازعني فارفع بفضلك أني من البين. (الحلاج)
- رح يا أنا يا فاسد التركيب يا حائلا بيني وبين حبيبي. (عبد الغني النابلسي)

من الأثر:

- لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنته ولا فرق بيني وبينه ولئن سألني لأعطينه^{٢٣} (حديث قدسي)
- (القلب بيت الرب)^{٢٤}.

من هدي الكتاب:

- {يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها}^{٢٥} {وهو معكم أين ما كنتم}^{٢٦}
- {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}^{٢٧}
- {قائم على كل نفس بما كسبت}^{٢٨} - {أقرب إليه من حبل الوريد}^{٢٩}.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.
- ٢ سورة الزلزلة ٧-٨
- ٣ سورة البقرة - ٨١
- ٤ سورة الكهف - ٤٩
- ٥ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح.
- ٦ سورة الزلزلة - ٧-٨
- ٧ سورة الكهف - ٤٩
- ٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

- ٩ حديث شريف. أخرجه الطبراني، والحاكم في "مستدرکه"، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفه الصحابة"، والبيهقي في "دلائل النبوة".
- ١٠ حديث شريف أخرجه الحاكم في المستدرک بنص: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق".
- ١١ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقيلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.
- ١٢ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بالفاظ متقاربة.
- ١٣ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ١٤ نفس الحديث الشريف أعلاه.
- ١٥ سورة يوسف - ١٠٨
- ١٦ سورة الكوثر - ١
- ١٧ سورة الأنبياء - ٣٤
- ١٨ سورة الإسراء - ١٠٦
- ١٩ سورة الحجر - ٩
- ٢٠ سورة البقرة - ١٠٦
- ٢١ سورة الشعراء - ٢١٩:٢١٨
- ٢٢ سورة محمد - ٢
- ٢٣ استلهاما من معاني الحديث القدسي: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ". أخرجه البخاري
- ٢٤ عبارة دارجة عند المتصوفة يذكرونها كحديث قدسي يتناغم مع الحديث القدسي (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) الذي أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد.
- ٢٥ سورة سبأ - ٢
- ٢٦ سورة الحديد - ٤
- ٢٧ سورة البقرة - ١٨٦

٢٨ سورة الرعد - ٣٣

٢٩ سورة ق - ١٦

(٣)

الإيمان والشهادة بمن تؤمن، ولمن نشهد

حديث الجمعة

٢٤ شعبان ١٣٨٠ هـ - ١٠ فبراير ١٩٦١ م

أشهد أن لا إله إلا الله. أشهد أن محمدا رسول الله. على هذين الشقين من دعامة واحدة، عليها قام الإسلام وعنها قامت الصلاة، وانتظمت الزكاة، وتطوف الناس بالبيت العتيق يعنون إنسان رسول الله، وتشبهوا بمن استغنوا في أنفسهم عن كل ما سواهم من ملأ الله بالإمساك عما يقوم فيه الخلق من طعام بصيام رمضان.

بهذين الشقين من هذه الدعامة عليها قام الإيمان، وعليها قام اليقين، وعليها قام التوحيد، وبها قام العلم، وقامت المعرفة، وظهر قدس الله بوجه الله في الإنسان صبغة الخالق، وفطرة الخلق في الله، في دورة الحياة تدور في الموجود من غيب إلى مشهود ومن مشهود إلى غيب في الواسع العليم من الوجود.

إن الإيمان بالله، وشهادة أن لا إله إلا الله، يحمل المؤمن ويسير بالمشاهد إلى شهادة محمد رسول الله، تنزيها لله وإكبارا له، وإجابة من الله لطالبه، يطلب وجهه، فيؤمر وجهه أن لا تعدو عيناه عنه حتى به يراه.

وشهادة أن محمدا رسول الله، تحمل المشاهد لمحمد، قائما في قيامه مشاهدا فيه لعيانه، يقوم معه في الشهادة مثني، ويتوحد معه بالإيمان في الروح فردا، يقوم فيه متقلبا بالسجود لربه، ويقوم به جارحة له، يعمل بها في خلقه.

إن هذه الشهادة والمشاهدة لمحمد رسولا لله في نفس المشاهد، وفي عيان المشاهد، وفي قيام المشاهد، فناء منه عن نفسه، وطلبا منه لربه مع رسوله، تنتهي به إلى شهادة أنه لا إله إلا الله. فهما شهادتان تنتهيان إلى شهود واحد أو إلى يقين واحد، وإلى أمر واحد، وإلى إيمان بقيام الله الواحد. لا شريك له من نفس المؤمن به، ولا قيام لغيره في قيام الإيمان به.

ليس جديداً على النفس ما تأتي به الشهاداتتان، ولكنها فطرة الله فطر عليها الوجود والكائنات، وصبغة الله صبغ بها الوجود والكائنات.. {ليس كمثله شيء}¹ لأنه كل شيء.. إنه كل شيء ولا يستأثر بتمثيله دون الأشياء شيء.. إنه كل الناس ولا يستأثر بتمثيله على الناس فرد من الناس. ولكن الأشياء فيه، كما أن الناس من الأشياء فيه يتفاضلون، وفي قيامهم بصفاته يتفاوتون، وبنصيبهم من نوره يختلفون، وبمعانيهم من معناه يفترون، {فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم}²، وما تفاوتوا إلا بما عملوا من أمانة الإرادة {أعطى كل شيء خلقه}³ فخلقوا أنفسهم بإرادة أجهزتهم، وكتبوا ألواحهم في عوالم معانيهم بأقلام عقولهم {ن والقلم وما يسطرون}⁴ ثم هم اليوم لما كتبوا في ألواح قديمهم بجديدهم يبرزون، وهم في جديدهم اليوم لألواح مستقبلهم بنشأة أخرى يكتبون ويسودون في كتاب قلوبهم بما في ضمائرهم من نوايا لها يطوون ويكتمون، فلا يلبثون أن ينشروها فيما يجدون لأنفسهم من حيوات في قابل، كما فعلوا في قديمهم فأوجدوا أنفسهم في حاضر، في قانون الله المجيب ونظام الله المستجيب.

إن قديم الحياة في نظامه، وإن مرجو الحياة في انتظامه، لا يتحقق إلا في الإيمان بقانون قيامه. فإن حاضر الحياة له في ذاته أمره الجامع، وقوانينه الشاملة، ونظامه المستقيم، ومكنته المحيطة بخيره وشره. إن الأديان والإسلام جماعها، وأمتة اجتماعها، تحدث عن هذه الحيات للإنسان متصلة الحلقات في قديمها مع مستقبلها عبر حاضرها. وتعلم عن الإنسان وحدة في عوالمه لا تنفصل ولا تنفك عقدتها، لا بفعل القديم من الإنسان، ولا بفعل الحاضر من الإنسان، ولا بفعل حضرة المستقبل للإنسان.

إن حضرة القديم لحاضر الإنسان ملأ من عالم الروح في قديم أزلي. وإن حضرة المستقبل لعالم الإنسان ملأ من عالم الروح في مستقبل أبدي. أما حاضر الإنسان فهو حاضر لذوات متجسدة يبرزها من الروح في واقع سرمدي، الله من وراءها حضرات له محيط، فيها قائم على كل نفس بما كسبت، وبما صنعت، تذهب عنه بدنهاها، وإليه بالبعث تعود بأخراها، حتى يتوفاها فتمسكها يده، فتعمل في ظهور وفي خفاء يداً له، ورحمة منه. إنسان ملكوته، ويد جبروته.

أما الملاء الأعلى، فهو غيب الملاء الأدنى من عوالم الكواكب وبرازخها من الروح، له قديمه من الروح، وله قابله بالروح، وله ملؤه بحضرة مقابلة للحضرات القائمة عنه. لا يعود إليه إلا من كان بغيبه أصلاً من أصوله، ولا يأتي منه إلا من كان أصلاً لهذه البشريات. هذا ما عناه الرسول وما طلبه بحقه من عود للملاء الأعلى رفيقا فيه لرفيق فيه.

أما نحن على هذه الأرض، فلنا نظامنا ولنا قوانيننا، نتظم فيما أمرنا بالانتظام فيه، ونخضع لما شرع لنا من قوانين الحياة به. نتظم لتسكن نفوسنا، ويذهب قلقنا، ونمثل لنسلك طريقنا، ونحقق بالقانون

سعادتنا، من كسب أيدينا، ومن سير أقدامنا، على ما نكتب في قلوبنا بإرادتنا، وعلى ما ندرك بعقولنا ونحقق لأنفسنا بنفوسنا. فإذا لم تكن الجنة حاضرة لنا، مدركة لعقولنا فلا جنة عندنا. وإذا لم تكن النار مبرزة لشهودنا، مدركة لحسنا، مقدرة لعقولنا، فليس هناك من نار لنا. {لمن خاف مقام ربه جنتان} ^٥، {قطوفها دانية} ^٦ {وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد} ^٧، {الجنة عرفها لهم} ^٨، {وبرزت الجحيم للغاوين} ^٩، هم تحت شمسها يصطلون بزهريرها. أما تلك فلا يرون فيها شمسا ولا زهريرا. إنهم في حياة كلها نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليدركوا ويفيقوا من قيام القطيعة، ويعلموا أن في القطيعة عن لطيف الله وجيعة. يلحقهم بلطيفه، فيقومهم بتشريفه، فتكون النار بردا وسلاما، ويكون الخصاص ألفة ووئاما. يلحق الأبصار فتشهد به البصائر تشهد منه وجودها وقيامها أقرب إليها من حبل الوريد، مع الكل لا تتميز، مع أهل السماء، مع أهل الأرض، مع من كان تحت الثرى {وهو معكم أين ما كنتم} ^{١٠}.

كل هذا في شق الدعامة من شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى ما يدرك هذا المعنى في شهادة أن لا إله إلا الله، يجب أن ندرك كل هذه المعاني في شهادة أن محمدا رسول الله.. فإذا كان الله لا يغيب، فعبدته به رسولا منه معه لا يغيب. إذا كان الله لا يغيب فالرسول لا يغيب. وإذا كان الله لا يقبل إلا طيبا، فالؤمن بالله ورسوله هو الطيب الصالح لأن يقوم فيه بملكوته، وأن يقوم به بهديه وجبروته، فهو الطيب والطيب، لكل نفس تزكت به، وما دست معناها له ولرسوله.

فكل ما ينطبق على شهادة أن لا إله إلا الله، ينطبق على شهادة أن محمدا رسول الله - وكما قلنا - إذا قامت شهادة أن لا إله إلا الله في مشاهد لا إله إلا الله، كان معراج المشاهد أن يشاهد في هذا الشهود عظمة الشهادة بأن محمدا رسول الله. وإذا شاهد مشاهد عرف رسول الله، فصاحبه فصاحبه، فودّه فودّه، عشقه فأحبه، فني فيه فنفسه أوجده، قام به فرسوله قامه. من شهد أن محمدا رسول الله كان معراجه أن يشهد العظمة في شهادة أن لا إله إلا الله. فبهاتين الشهادتين يقوم الإنسان حيا بأحدهما قيوما بالحياة الثانية منهما، مؤمنا بالله أكبر بقريب الله فيه.

إنهما شهادتان تمثلان شقي الإنسان من غيب الرحمة، ووجه الرحمن، من الله ومن خلق الله، من الغيب ومن الشهادة.. إنسان غيب لإنسان شهادة.. وإنسان شهادة لإنسان غيب.. إنسان هو أنس الغيب وأنس الشهادة.. إنسان القلب وإنسان القلب.. إنسان الروح وإنسان الذات.. إنسان الرحمة وإنسان الرحمة.. إنسان الأبوة وإنسان البنوة.. إنسان الحق وإنسان الخلق.

جاء الإسلام يحمل لنا كل هذا، ويبشرنا بكل هذا، ويحقق لنا كل هذا، ويعدنا بكل هذا.. جدد لنا على رؤوس القرون من يجدد لنا أمور ديننا. وما بدأت القرون فيه إلا مع أنفاسنا، وأيامنا، وليالينا،

جُدد الإسلام رب الإسلام في دوام في كل لحظة، ومع كل نفس، وفي كل حين، وفي كل أمة. أبرز رب الإسلام كتاب الإسلام، في تجدد ما انقطع، وفي علم ما توقف، وفي انتشار ما حد، لا شرف فيه لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وما حرم منه قوماً أو فرداً فهو دين الفطرة والكافة، وهو الذي وعد كل مجاهد فيه بأنه سيتولاه، ويسلكه طريقه فيه، ويهديه سبيله قائماً على كل نفس. وما كان رسول الإسلام وربّه لمن تابعه وعلى من تبعه إلا كافة للناس لا تميز عنده الأجناس، والكل فيه، والكل منه، والكل له، والكل في رعايته، والكل في ربوبيته، والكل في قدرته، والكل في رحمته - والكل في رسالته وهديه هدياً لربه. يعلم السر وأخفى عند كل فرد ويصاحب كل نجوى ما تناجى المؤمنون عنه.

هذا هو الإسلام، أتت به قديماً السماء في يوم كان فيه أهل الأرض من أهل السماء في عصر الآباء في أحسن تقويم. وأتت به بعد ذلك السماء في الأبناء عن الأنبياء لأبنائهم من الأرض التعساء وقد رأى الناس أنفسهم من أهل الأرض جاهلين بأرواحهم من أهل السماء، وهم نيام في ظلام الليل من يومهم، وفي جهل من أمرهم، فجاء لهم الأنبياء مؤذنين بالصلاة وموظنين بندائهم لهؤلاء النيام.. أن أفيقوا أيها النيام واستيقظوا فقد بلغ الليل أجله وبدأ النهار موعده، فاستيقظ من استيقظ وغط في نومه من غط، إلى أن جاء محمد فكان فيصلا بين قديم الناس من الآباء ومستقبل الناس بالآباء في حق يقوم في حاضر الناس يجعل منهم أبناء الآباء وآباء الأبناء. قدم لهم كتابه أخذه بيمينه، غفر له به من أنانيته، ووضع عنه حملة من ماديته، وقال للناس داعياً.. {هاؤم اقرءوا كتابه}.. قد غفر لي ما تقدم من ذنبي وما كنت إلا مذنباً، وغفر لي ما تأخر من ذنبي ولا أراني إلا مذنباً. وعلمت ما قدمت نفسي وما أخرت، وما أراني في دائم أمري إلا مقدماً ومؤخراً. وها أنا أقوم بينكم اليوم، نفسي بيده لا أملك لها خيراً ولا نفعاً، ولا حياة ولا نشوراً، أقربكم إليه وكلكم منه قريب، وأخوفكم منه وكلكم منه في مناط اختباره. ها أنا رسوله ولا أدري ما يفعل بي غداً. اعرفوه في أنفسكم كما عرفته في نفسي. واخشوه في أنفسكم كما أخشاه في نفسي. وتابعوني على ما أتخلق به بينكم تخلقاً بخلقه يرتضيكُم لنفسه على ما ارتضاني لها بينكم رسولا من أنفسكم. فكان بذلك فيصلاً للزمان، به يبدأ وإلى ما انتهى إليه قديمه به ينتهي، أسوة للكافة، ومثالية مرتضاة تتحقق في دوام.

بهذا جاء محمد، وهذا هو أساس لما جاء به محمد، فكانت شهادة أن لا إله إلا الله أساس رسالته، وشهادة أن محمداً رسول الله أساس طريقه وهديه ورحمته، طريقاً وهدياً ورحمة من الله. ولكن الناس على ما كانوا في قديمهم معه ومع مثاله واصلوا في جديدهم من بعده له كيدهم كلها ظهر لهم منه ظاهر من حال أو قيم من مقال.

وها هي السماء كما نصرته يوم أبرزته لها رسولا، وكما علمته يوم أوجدته على أرضها حكيما، وكما قامت يوم قام الحق به على الأرض فقدر فيها أقواتها في يومين من يوم وليل في نور وظلمة، يكور الليل على النهار، ويكور النهار على الليل كلما ظهر منه ظاهر، ثم استوى مستويه إلى السماء فسواهن سبع سموات، في أربعة أيام من يوم وليلة، فحمل العرش بثمانية من أيام وليالي دعوة الحق به ورحمته منه، واستوى حقه على العرش ووسع كرسيه بذكره السموات والأرض.. كل من في السموات والأرض آتية، وما أتاه إلا عبدا لله بالله.. ربا للناس بالناس.. عبدا لمن ليس كمثله شيء.. عبدا للأحد.. عبدا للصمد ووجهها له كان به ربا للناس.. ملكا للناس.. إلها للناس بالحق فيه.. جماعا للناس بتكاثره.. آدميا للناس بتجديد مفرداتهم منه.. أوادم الناس باقتدائه يقومهم.. كلمة جامعة للناس، لكلمات هي الناس، إلى أبيه وأبيهم به يؤمهم، وإلى آبائه آباء لهم به يرجعون.. وبروح القدس فيه، وبروح القدس معه، وبروح القدس له، فيه كلمات لله يقومون، وبمحبتهم له وبمحبتهم له روحا للقدس يصيرون.

فهو عبد الله وآدم أوادمه بقديمه وبجديده.. هو عبد الله وروح أرواح قدسه.. هو عبد الله وكلمته عند كلمات الله.. هو عبد الله ورسوله عند رسل الله.. وهو رسول الله وعبده عند خلق الله.. يقوم عبدا فيرسل ويقوم رسولا فيعبد.. نبي الأنبياء وولي الأولياء.. وأب الآباء وجد الأبناء.. وروح القدس لعباد الله في الأرض وفي السماء.

هل عرفه من أرسل إليهم؟ هل قامه من أحبهم؟ هل عبد نفسه لربه وجهها له من خلقهم ببيعته، وخلقهم بقدرته؟ قليل ما هم.. قليل الشكور.. ولكنه رب أمته مذنبه، وهو الغفور، شهيد على الشهداء.. رحمة للعالمين.. مالكا بربه ووجهها له ليوم الدين.. روح الإسلام وبيان الكتاب.. وسر الطريق.. ونور الحياة.. وإنسان الوجود وقيام اليقين.. ووجه الله.

هذا من نشهد بعبوديته لله ورسالته من الله فنشهد أن لا إله إلا الله.

اللهم أشهدنا به أنه لا إله إلا الله، وأشهدنا برحمتك أنه محمد رسول الله. اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنبنا وما تأخر، وعافنا من إقامة عدلك فينا، وعاملنا بعفوك ومغفرتك ورحمتك. اللهم كن لنا في الصغير والكبير من شأننا. اللهم تول في الدارين أمورنا. اللهم قوم بفضلك في الحياتين سبيلنا، وأنر وأبّن إليك طريقنا، وخذ بيدنا واجعل خيرا أعمالنا خواتيمها، واجعل خيرا أيامنا يوم لقاءك. اللهم ول أمورنا خيارنا ولا تول أمورنا شرارنا. اللهم أصلح شأننا حكاما ومحكومين، وقوم طريقنا، ويسر أمرنا، واغفر لنا حكاما ومحكومين، وتولنا فيك حكاما ومحكومين، برحمتك يا أرحم الراحمين ارحمنا واغفر لنا وتب علينا.

أضواء على الطريق

من هدي القرآن:

- يا أيها الذين آمنوا (بالله)، اتقوا الله (الذي آمنتم به في قيامكم)، وآمنوا برسوله، (فهو لكم الأكبر من نفوسكم به تعلمون أن الله أكبر منكم).
- هو الذي يراك حين تقوم (في الناس بنورك وروحك)، وتقبلك في الساجدين (وقيامك في الساجدين لله ماحيا وجودهم إلى وجودك فأنت الإيمان الذي يدخل في قلوب المؤمنين بالله).
- قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا (أي مثنى مع الرسول دائم القيام والتجدد وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، تُمحي نفوسهم في محبته لهم بحببتهم له فيصبح معهم وترا).
- والفجر وليالٍ عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر إن في ذلك قسم لذي حجر. (الفجر القلب المشرق بنور الصباح من نور الله في يوم الله من الإنسان الذي قامت به العبودية لله. والليالي العشر الأودم المظلمة والكواكب البشرية الدائرة في فلك شمس تشرق بنوره ويمحي ظلام كواكبها بالتوحد معه وقيامه معها وترا لا تعدد له وقد كانت معه بطبيعة ظلامها شفعا لا دوام له. وفي إدراك ذلك ونفاذه نصيب لأصحاب العقول المدركة).

مصادر التوثيق والتحقيق

سورة الشورى - ١١	١
سورة الجاثية - ١٧	٢
سورة طه - ٥٠	٣
سورة القلم - ١	٤
سورة الرحمن - ٤٦	٥
سورة الحاقة - ٢٣	٦
سورة ق - ٣١	٧
سورة محمد - ٦	٨
سورة الشعراء - ٩١	٩
سورة الحديد - ٤	١٠
سورة الحاقة - ١٩	١١

(٤)

الخلق ما بين يدي رحمته

حقيقة وخليقة

وخليقة وحقيقة

حديث الجمعة

٢٠ شوال ١٣٨٠ هـ - ٧ أبريل ١٩٦٠ م

تصحيح التاريخ الهجري: ١١ شوال ١٣٧٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم نستعين، وبه نعوذ من الشيطان الرجيم، خليقة وحقيقة!

تطلب الخليقة الحقيقة، كما تطلب الحقيقة الخليقة.

الخليقة في الله والحقيقة في الله.

هذا ما عناه وجه مولاه وقيام معناه محمد عبد الله يوم قال لأمته (إن الملائكة الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم)¹.

أنتم ملأ الخليقة وهم ملأ الحقيقة.

وإنهم معكم باطن لظاهر من أمركم، وأنتم معهم ظاهر لباطن من أمرهم.

إنهم يبحثون بينكم عنهم يطلبهم، وأنتم تبحثون عندهم عنهم يرحمهم.

إن الذين عندهم ممن يطلبكم منهم إنما يقوم بينكم عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا. وإن الذين يطلبونهم من بينكم هم بدورهم عباد للرحمن في معاني الأخوة لهم. وهذا أيضا ما عناه وجه رب الناس ملك الناس إله الناس.. يمشي بين الناس عبدا لله، يوم قال للناس (إن الله يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه)²، فما كان الطالب إلا عبدا لله عرفه، فطلب عبدا لله يطلب مولاه فيطلبه، ويعرف مولاه فيعرفه.

خليقة وحقيقة !

إن الأمر تشابه علينا. أين هي الحقيقة وأين هي الخليفة؟ متى هي الخليفة ومتى هي الحقيقة؟ وأين هو عالم الخليفة وأين هو عالم الحقيقة؟ هل الخليفة في معناها، والحقيقة فيمن سبقنا وتولانا؟ أم الحقيقة في معناها، والخليفة فيما يظهر من مبنانا مما نصنع بأمانة مولانا؟ نظران كلاهما له وجه من الصواب، وأصوب منهما أن نرى الحقيقة في ثياب الخليفة في قيام الخليفة بمعنى الحقيقة، لا فيما قبل ولا فيما بعد، ولكن فيما هو قائم. وهذا ما عناه روح القيام، ورسول الدوام بما نُسب إليه يوم قال معلما :- (كان الله ولا شيء معه ثم خلق الخلق وهو الآن على ما عليه كان)^٣.

إن الخليفة في الإنسان مكانا وعالما لها، ومن الإنسان موجدا ومصدرا لها، وبالإسنان قياما وحياة لها، وإلى الإنسان مستقبلا وتعاليا لها. فالإنسان للإنسان هو الحقيقة للخليفة وهو الخليفة للحقيقة.

إن الإنسان بوصفه خليفة يتخلق بأخلاق الله فيحيا، فتنتفي عنه صفة الخلق بانتفاء صفة البدء والعدم، ويلبس لباس السرمدية والبقاء، ويتصف بهذا السربال بمعاني الأزل والأبد، فيتحول من موصوف الخليفة إلى معاني الحقيقة.

والإنسان الذي كمل له هذا المعنى فأصبح الحقيقة ومعناها ومغناها، يُحب أن يُعرف لمن سبق له أن تواجد معهم ولهم عُرف. {يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين}، {بل عباد مكرمون}، وبذلك أحبت الحقيقة أن تعرف. ويصح أن نقول استأذنت من الأعلى فأذن لها، وطلبت فأجيب لها، وهذا هو الأصل في الرسالة إن صح القول بأن الحقيقة تستأذن. فالحقيقة إذنها في إرادتها، وفعلها في قيام مرادها على ما أرادت بإرادتها. (لو أردناك لكان كل ما فيك يردنا)^٦، {ولو شاء الله لهدى الناس جميعا}، {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}، {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}، يرى ما عمل فيسعد برؤيته لعمله، أو يحيط به سوء عمله، فيرى عمله من عمله، فيشقى بسلطان عمله يسلط عليه على ما كان منه مع من عمله. {والله خلقكم وما تعملون}.^{١٠}

تطلب الحقيقة أن تعرف، فتمتد يدها إلى مجال الخلق وعالم الخليفة حيث كانت، فتمسك بمن شاءت لا صاحبة ولا ولد. تختار لنفسها من تريد، تداني من تحب، تصنع على عينيها من الخلق من شاءت، تبدل معالمة، وتغير قوائمه، وتقوم سبيله، وتحدد له طريقه إليها. فيرضى عنها كما رضى عنه، ويطلبها على ما طلبته، فتدانيه حتى تكون منه قاب قوسين بل أدنى، فيعرف العبد ربه على ما عرف الرب في العبد عبده، فيوحد العبد ربه فناء فيه، وتوكل عليه وركونا إليه حتى يستكمل فناءه فلا يرى له أنانية، ولكن يرى ربه صاحب الأنانية في أناه، في قيامه وفي معناه، في روحه وفي مبناه، في محيطه وعلى من تولاه، فيظهر ربه باسم عبده، ويظهر وجهه باسم خلقه.. فيبقى به يطلب الناس ليعرفوه وما يطلب

الناس في طلبه، ولكن يطلب رب الناس، خالق الناس، ملك الناس، إله الناس، جديد قيام لقديم قيام في مظاهر خلقه، يستردهم إلى حظيرته.. يتوفاهم ليقبضهم بيده، يميّتهم ليحييهم، يفتنهم ليبقيهم. يعمل بهم قُدرته، ويشاء بهم مشيئته، ويريد بهم إرادته، ويصنع بهم يده، ويقارب بهم قدمه، ويسري بهم انتشاره وتعاليه، ويعرج بهم تكنزه وترقيه.

إن الإنسان محل لقانون الله نافذا عليه بقدرته. وإن الإنسان إذا ترنم مع قانون الله فانتظمت معه حركاته وسكاته كان قانون الله على الوجود، وإذا قامت له بالله علاقة تعالى بها عن خلقيته وعن قانونيته أصبح في الله شريعة الله. أصبح باطن شرع الله. أصبح عرش الله استوى عليه الرحمن فاستوى على العرش.

لقد عرش النحل، وعرش الناس أنفسهم بيوتا معه في أمم لله، ما شرعوا لأنفسهم انتظاما في قانونه وفي قيام وجوده، العقل أصل دينهم، والنفس أصل وجودهم، والذات عالم قيامهم، والقبلة موضع قلوبهم من أبدانهم، وموضع ذواتهم من أرواح نفوسهم.

الناس تحت القانون، والناس عين القانون، والناس مصدر القانون ناس الله.. ملأ الله.. ملأ الله الأدنى، ما دنوا بالحق قائما في معانيهم، وملأ الله الأعلى ما كبروا الله، وزهوه عن مبانيهم، إلى موعود ومرجو معانيهم لعبوديتهم.

إن الملاء الأعلى هو الإنسان، وإن الملاء الأدنى هو الإنسان. وإن ما بينهما من ملاء من عوالم الروح ليس غير الإنسان.. فالإنسان في خلقيته ما بين جسم وقلب، ونور وروح. والإنسان في حقيقته ما بين كون وبيت ومعنى، والإنسان في غيبياته ما بين ذات لله وذات أقدس ما هو إلا الإنسان، فما ذات الله المقدس إلا ذات الإنسان، وما ذاته الأقدس إلا ذات الإنسان. وما ذات الخلق تطلب الخالق إلا ذات الإنسان. فالإنسان في معارجه إلى الحقيقة خارجا من عوالمه من الخليفة.. الله معه وأقرب إليه من حبل الوريد، أينما كان، وحيثما كان، وكيفما كان.

لقد قص القرآن قصة الإنسان في قصصه عن الأديان، وعن عباد الرحمن، وأولياء الشيطان. ينبعث الأشقى لم يخرج عن معنى الإنسان.. ويخاطب الأتقى الناس رسولا للرحمن لم يخرج عن معنى الإنسان. ويعرف الناس عن أنفسهم من ربهم الله فيهم، والله عليهم، والله أقرب إليهم من حبل الوريد، والله قائم على كل نفس بما كسبت، والله من وراءهم محيط. يعرف الإنسان أنه من الله بدأ في أحسن تقويم، ونزل أسفل سافلين، وعاد إلى ربه ربا للعالمين، لم يخرج منه وهو أسفل سافلين، ولم يقرب منه في أعلى عليين بأحسن تقويم.. ولكنه في بعده كان منه قريبا، وفي قربه كان منه بعيدا.

وفي صورته على بعد، وفي مرجعه على قرب لم يجده وربّه شيئين يفترقان، ولا أمرين يختلفان، ولكن وجده عين أناه، وظاهر وباطن معناه، وسر ووجه مولاه. عشقه فكانه وأحبه فكان كيانه لا فرق بينهما.. انتهت معاني العبودية والربوبية لهما، وتنزهت معاني الألوهية عندهما عن غيرهما، وليس هو في مبتداه أو في منتهاه إلا الإنسان.

بذلك عرف الإنسان أنه بمعاني الخليقة لبستها معاني الحقيقة كان إنسانا، وأنه بمعاني الحقيقة أظهرتها ثياب الخليقة كان إنسانا.. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ١١.. {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} ١٢ {قل جاء الحق...} ١٣.

هكذا الإنسان في معارجه من الأرض، وفي معارجه إلى الأرض. إن الذي يتداني إلى الخلق إنما هو إنسان الخلق من الحق. وإن الذي يتعالى من الخلق طلبا للحق إنما هو إنسان الحق في الخلق. إنها دورة الحياة.. إنها دورة آدم.. إنها دورة الإنسان.. إنها دورة الكلمة.. إنها صبغة الكلمات.. إنها آيات الله تترى.. إنها وجوه الله.. إنها عباد الرحمن.. لا تقلهم أرض ولا تظلمهم سماء.. إنهم النبأ العظيم والابن الكريم.. إنهم الأجداد والآباء والأبناء.. إنهم البيوت الذاكرة.. إنهم البيوت المذكورة.. إنهم الذكر القديم.. إنهم الذكر المحدث... إنهم البيوت المرفوعة.. إنهم البيوت الموضوعة.. إنهم بيوت الحجج.. إنهم قبلة الصلاة.. إنهم للناس معنى الله.. إنهم من الله وجوه الله.. إنهم عباد الله عرفوا الله فكانوا عبادا لله فأصبحوا ذكرا لله وأسماء لله. (إن لله عبادا إذا ذكروا ذكر الله) ١٤.

هذا ما جاء به الإسلام قديما وما جاء به الإسلام أمة وسطا، وما يجيء به الإسلام دينا حيا متجددا، وإنسانا قائما متعددا. أعطي الكوثر متكاثرا، وبكثرته متناثرا، وبالحقيقة متدثرا، وبالخليقة ظاهرا، فكان من مظاهره للوجود الشمس لتكون عليه دليلا، والأرض لتكون منه سبيلا، والقمر ليكون منه نورا. فكان للناس بين الناس العبد والنبأ، والحوض والخبر، كما كان الطريق والأثر، والحقيقة والرجاء، والأمل والمثال، والجهد والعمل، والغيبة والخيال، والنظر والحال.

إن الذي يغيب عن وعي الناس إنما هو الإنسان في معناه من الحقيقة. وإن الذي يظهر لوعي الناس إنما هو الإنسان وجها لله وعلما عليه، كلمات لله تترى ولا تنقطع، ولا تندثر، ولا تقبر، ولكنها ما تكتزت في طبقات الأرض إلا لتتعالى في أطباق السماء. كلمات طيبة أصلها ثابت في الأرض، يغوص بتكنزه جذورا في أعماقها ويتصاعد خلقا لله طبقا فوق طبق في أجوائها.

هذا هو الإنسان في هذه الأرض وعليها، وفي سمائها الدنيا منها من عالم قيامكم. سماء مزينة بالمصابيح من أهلها رسلا من أنفسهم، مصابيح نوره، ضرب بهم مثلا في قيامهم بمشكاة صدورهم مشكاته، وقلوبهم سراجهم، وذواتهم رقيقة لطيفة إناءه وزجاجته.

ها هي السماء الدنيا تزين بمصابيح من أهلها، علماء عن الله يتفجر العلم من بين جوانبهم، وتندفق الحكمة على ألسنتهم، ويقوم الإبداع في صناعة أيديهم، وتظهر القدرة من إحكام عقولهم. يجوبون السموات بما صنعت أيديهم، ويخترقون آفاق الحقائق بما يتكشف لعقولهم ولوعيمهم من قوانين الحياة وقوانين الوجود. يحملون علومهم النبأ من الوجود إلى أبنائه من إنسانية الوجود.

إن منهم من كفروا يوما برسل وتخلفوا عن مثل. ولكنهم ما كفروا بفطرة الله، وما كفروا بصيغة الله، وما كفروا بطبيعة الله، وما كفروا بوجود الله.. ولكنهم يتأملون لعلمهم إلى الحقيقة يصلون، والحقيقة في أنفسهم يعمهون.. إنهم عليها في أنفسهم ينكرون، وقد قصرت الحقيقة لهم الطريق بالرسل والكتب، والعلماء عنه الخبراء به. ولكنهم سلكوا الدرب الطويل والطريق الشاق، وتنكبوا الطريق القصير. وهذا ما لا يعاب عليهم اليوم لاختفاء معالم الرسالة من أهل النبأ والعلماء، فاخترأوا المشقة لأنفسهم بطريق التجربة والعلم التجريبي، وهي وإن كانت طريق بطيئة وطويلة ومديدة إلا أن الله وعدّها، وها هو مبرزها بما يكشف من آياته عن طريق هذا العلم التجريبي في النفس البشرية وفي الآفاق حتى يدرك الحق للناس في أنفسهم على ما أراد الحق أن يدركهم بنفسه في أنفسهم برسل من أنفسهم.. {أو لم ير الذين كفروا..} ١٥.. الذين تأملوا، وإن تخلفوا عن متابعة رسول الإسلام والسلام، {أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما} ١٦؟ إنهم وهم خلق الله على ما رأوا إنما تواجدوا.. وقد كانوا رتقا ففتق. وإنهم إن عرفوا وأدركوا وتحابوا لكانوا من خلق فتق على ما يشهدون إلى حق رتق على ما يرجون وينتظرون.

إن الناس من الله، وإن الناس إلى الله، وإن الناس قياما في الله، وإن الله بالناس قائم. هذا ما جاء به الإسلام في قديمه فطرة للناس، وفي طريقه إنباء للناس حملها الأنبياء وختمهم محمد لأنه كان جماعهم وآدمهم وكلمة الله إليهم، كما بدأهم محمد مبعوثين بالحق علماء في الناس للناس. هو في معناه حقيقتهم، ووجه الحق لهم، والشهيد على الشهداء منهم. وهذا ما عناه يوم بلغ الناس فوصل بلاغه إلى قلوب من وصله، (خلفت الله عليكم) ١٧، (تعرض على أعمالكم فإن وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت شرا استغفرت لكم) ١٨. يا محمد قل لهم {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون} ١٩، {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا} ٢٠.. إنك لن تفارق الناس ولن تحتفي من بين الناس.. حي في قبرك.. وحي في قلوبهم في بعثك متكاثر فيهم بنورك وهديك. الساعة أنت من

ذكرها، وهكذا ها هي كما تعلم إلى ربك منتهاها. وها أنت في الناس ذكرها.. ألم أجعلك فيهم معناني؟! ألم أجعلك لهم الحق مني؟! إليك لهم منتهاها إذا آمنوا بك فأروك.. إذا وصلوك.. إذا قاربوك.. إذا على أنفسهم سودوك ما سادوك، ولا معنك في معانيهم منعوك، فصلوك، ففقدوك. إن قتلوك قتلوني، وإن فقدوك فقدوني. وإن وجدوك فما وجدوك في أنفسهم من دوني. وما ظلموني أو ظلموك ولكن ظلموا أنفسهم وفقدوا أنفسهم.

عبد هو ربه، ورب هو عبده.. إنسان عرف الحقيقة فكان الحقيقة، وعرف الخليفة فكان الخليفة.. أمته مذنبة وهو لها الرب الغفور. ما يئس.. وما قنط وما تخلف عن يائس أو قانط أو متخلف من عشيرته، عشيرته هي عشيرته وإن كفروه.. أمته هي أمته وإن نحروه.. وقومه هم قومه وإن تجاهلوه.. أرسل للناس كافة بالخلق العظيم، وللناس كافة اسم الله الرحمن الرحيم.. أنزل ما رفع، ووضع بيته للناس متكاثرا عليهم ما امتنع، وعنه ما انقطع، وجديده فيهم مبعوث ما منع.

هذا هو الرسول الذي تنتسبون إليه. وهذا هو العبد الذي جعل الله لكم فيه أسوة ومثلا مضروبا، وكلمة مشهورة، ووجهها مقاربا، وملكوتا بين الجوانح ينتشر، وفي القلوب سراجا يتواجد، ومن الرؤوس نورا يشرق، وبالعلم يتدفق، وبكلام الله عن الناس لا ينقطع، وبنور الله نورا للسموات والأرض لا يخفني. أمرتم بصلته وأبلغتم بوصل الله وملائكته له.. فما كانت صلاة الله وملائكته عليه كلاما يتحرك به اللسان، وما طلب إلى الناس أن يصلوا عليه كلاما تشدق به الأفواه. إن صلاة الله عليه فعل، وإن صلاة الناس له وعليه استسلام.. صلوا عليه وسلموا تسليما بالإسلام له. فلا سلام عندكم عليه ولكن السلام عنده عليكم. إنه سلام الله عليكم وصلته بكم.. إنه إن صلى عليكم وسلمكم منكم لنفسه فقد صلى الله عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور.. إنه صلاة الله وملائكته عليكم. وإن فعلكم هو الإسلام لله وملائكته في الإسلام له {قل لا تمنا على إسلامكم} ٢١.. فما كان الإسلام إلا لك وقل {بل الله يمين عليكم أن هذا لكم للإيمان} ٢٢. لقد كان إسلامكم لي من حظكم وسعادتكم، صادفتكم هذه السعادة وهذا الحظ في هذه الدورة من دورات الحياة فأسلمتم في إسلامكم لي لله فسلمتم.. وهكذا يكون الإسلام لله.

أما أنا فعلى ما تفعلون معي فعلت مع إنسان الربوبية علي.. أسلمت وجهي لله فكنت وجهها له يشرق عليكم سراجا تروونه وتتجاهلونه فتعمهونه.. جعل سراج الطبيعة عليه دليلا. {جعلنا الشمس عليه دليلا} ٢٣، {والنجم إذا هوى} ٢٤ فما كان إلا ما وراء هذا السراج يدل عليه، تواجد بينكم سراجا للقلوب، ونورا للظلام، وبعثا للموتى، وروحا لأواني الحياة. إنه أمر الله الذي تنفث الروح منه نورا على نور فيمن يشهد وجه الله فيه. {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون

وجبهه} ٢٥. واكشف الغطاء عن وجهك وجهي.. {ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا} ٢٦ من الناس الذين ربنا الدنيا عليهم وجعلناهم عبادا لها حتى تنزبن بهم ربا لهم وعبادا لها.

هذا هو عبد الله ورسوله أعطاه الكوثر متكاثرا، وجعل شائته الأبرفتناقص، فغلبت به رحمة الله عذابه وعدله يوم يحث شائته شجرة خبيثة، وينمو به فيه شجرة طيبة معاني التكاثر والكوثر. هذا ما عناه قوله تعالى وهو يقولها دواما {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين} ٢٧، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} ٢٨، وقام عليه السلام فيما أعطي، وعمل بما أمر فوعده بالمزيد حتى يرضى فقال (لا أرضى وأحد من أمتي في النار) ٢٩. وهو الذي يعلم أنه أرسل كافة للناس، لا يرضى وأحد من الناس في النار. إنه يبقى في النار مع أهلها مواسيا، هاديا ملطفا رحيمًا، ويبقى في الجنة مع أهلها، مذكرا منذرا منها ملفتا، حتى يخرج الناس من الجنة يطلبون الله، وحتى يخرج الناس من النار يطلبون الله، فإذا خرجوا من الجنة وجدوه وجه الله، وإذا خرجوا من النار وجدوه رضوان الله.. (إن لله جنة ليس فيها غير وجه الله يضحك) ٣٠، وما كان محمد إلا هذا الوجه لله.

فهلا طلبه الناس في قيامهم معتقدين، وبحشوا عنه جادين مجاهدين فكانوا حول بيته طائفين حاجين، واستقبلوه في صلاتهم مصلين؟ لا عن صلاتهم ساهون ولا عن المواعين مانعين، ولا هم بصلاتهم في البعد عن الله مزدارين؟ إن الصلاة صلة به، والصلة به صلة بربه، والصلة بربه صلة العبد بحقيقته من عقله ونفسه.. إنه دورة الحياة يوم تدور الحياة فيمن تدور في ذواتهم الحياة. إنه العقل في الناس ربا، وإنه النفس في الناس لله عبدا، وإنه الذات للناس عالما وكونا.. وإنه القلب للكون بيتا وقبلة.. وإنه الحق من الله.

هذه هي الحقيقة على ما عرّفها الإسلام للناس، نسأله تعالى أن يقوم علينا وعليكم بما يبصرنا به معنا. ولكن إذا كان الإنسان لا يفهم ويريد فرض غفلته على الناس فهو الأحق، ولكن العاقل إذا رأى حكمة التقطها فإن أفلتت من نفسه بكأها وإن لم يعرف معناها. لم يكن محمد معروفا للناس حتى في عصره.. ألم يقل لهم ما عرفني غير ربي.. (لست على هيئتكم لست على صورتكم) ٣١. لست على مثالكم فإني العبد الذي عرف بيته وربّه، (أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) ٣٢، لا من طعامكم أيتها الدواب العمياء ولكن من موائد الإنسان.

إلى متى يبقى الناس في جهل برسول الله هذه القرون العديدة المتعاقبة التي تجاوزت الألف وبلغت منتصف الألف الثانية، لا يعرفون شيئا عن رسول الله إلا أنه ذات حيوانية على مثلهم من حيوانيتهم، ورجلا شهوانيا على جبلتهم من شهوانيتهم؟! يعتقدون أنهم كلما زادوا في حريمهم من النساء كانوا أقرب إلى سنته على مثال من بيوت تصوروها بالخور العين، وما أدركوه، وما أدركوها.

ما عُرف رسول الله لأُمته وحتى اليوم إلا لبضع نفر عُرِفوا بالقوم قوما له. إن رسالة الروح اليوم وفي هذا العصر ورسالتنا جنودا لرسالة الروح لا تقوم إلا في التعريف عن الله في الإنسان، والإنسان في رسول الله وفي الناس، وإنها لا تقوم إلا للتعريف عن إنسان رسول الله غيبا مجهولا، وحقا مشهودا، وإنسان الناس حقا مفقودا، وعملا مقصودا، ورجاء موجودا، وأن لا معرفة للناس به إلا في المعرفة عنه، عرفانا عن الله، وعرفانا عن أنفسهم.

إن رسول الله هو لحة كل دين وسداه. دينه جماع الأديان، وسنته جماع السنن، وأُمته جماع الأنبياء، وجماع الأمم، ويوم تكون له في الناس أمة ظاهرة به هو ظاهر بها عرف وعرفت أُمته. أما إذا لم تظهر للناس به أمة من المؤمنين به ظاهرة على أُمته من الناس، فالأرض جميعا أُمته، فالناس جميعا أُمته، اهتدوا أو ضلوا، وهو معهم بالله صابر. والحق الذي يظهر من الناس ليس أهله إلا أمة له سواء ظهر في مشارق الأرض أو في مغاربها.

إن الدين اليوم يأتينا من أمريكا كما يأتينا من روسيا واليابان أو من أفريقيا. إن الدين ينبع من أمة محمد التي هي الناس جميعا. فإذا وجد في الناس من عرف ذلك في دين الله فعنون فطرة محمد فقام محمدا أو اجتمع محمدا والتأم أمة محمد، أظهرهم الله على الناس بوعيمهم، وأكبرهم الله في عيون الناس بعظائمهم في استقامتهم. وبذلك تجددت رسالة محمد في أمم الأرض أمما لمحمد.

إن رسالة محمد تجددت على رؤوس القرون في أمة العرب، وفي أمم الإسلام، وفي أمة الفطرة من أمم الأرض، ولكن تجددا ضعيفا ضئيلا لأن أُمته من أمم التبليغ في الصدر الأول ما عرفوا من شمس ذاته مشرقة على الوجوه إلا شعاعا ضئيلا وصل إلى بعض القلوب غازيا. وما تقبل الناس في صدر الإسلام من هذا الشعاع ينعكس إليهم متأينا في القلوب التي استقبلته إلا من ندر. انظروا إلى الناس وهم يضيفون محمدا في آل بيته إلى سائر الناس ولا يرون فارقا بينه وبين الناس. نعم إنه لا فارق بين محمد وبين الناس، ولا فارق بين آل محمد وبين الناس، ولكن الفارق في أنهم قد تم لهم ما قد يتم للناس وهو ما يوعد به الناس. فالناس لم يتم لهم شيء مما تم لمحمد ولآل محمد. إن أسوة محمد للناس قامت به ودامت للناس بآله وعترته في بيته، مواصلة قيام له حتى يكون للناس أسوة باقية لا منقطعة ولا بتراء.

إن عليا قديم قدم محمد. إن عليا قام بمحمد وبكل ما قام به محمد من ربه. إن عليا لم يكن شيئا آخر غير محمد، فني في محمد وبقي بمحمد فناء محمد في ربه، وبقاء محمد بربه.

ولكن الناس في صدر الأمة ويوم البلاغ، وعلى عيونهم وقلوبهم غشاوة، رأوه فردا من حيوان عالمهم، ولم يروه عين السراج يبقى بينهم لأنهم ما عرفوا السراج. كذبوا رسول الله يوم قال لهم (أنا مدينة العلم وعلى بابها) ^{٣٣} وكذبوه يوم قال له على مسمع منهم (يا علي أنت ذو قرنيها) ^{٣٤}، (وهذا خليفتي فيكم) ^{٣٥}. كذبوا رسول الله يوم قال لهم (من كنت مولاه فعلي مولاه) ^{٣٦} لأنهم لم يروا فيه مولى لهم.. كذبوا رسول الله يوم قال لعلّي على مسمع منهم (أما يرضيك أن تكون أنت أخي. إنك مني بمنزلة هارون من موسى) ^{٣٧}، وإن انقطع لفظ النبوة وصفا للعارفين من بعدي إلى لفظ العبد، والعالم، والخبير الذي تسمو حقائقه ومغانيه عما في لفظ النبأ والنيء، فيصعد الأئمة بأقوامهم إلى عوالم الحق فوق رؤوس الأنبياء أمرا للسماوات، يخوض ومن معه بحار الحقيقة يقف الأنبياء على ساحلها، متابعين ربان الحقيقة وبحرها، عبد الله الأزلي، ورسول الله السرمدي، الذي عرف في ذات محمد، فعرف وجه الحق فيه.

أين هم الأنبياء من عليّ وهو عبد الله المتحرر من السماوات والأرض؟ وأنتم وقد عبدتم أنفسكم لمعاني الأنبياء أوهاما في عقولكم فما عبدتم أنفسكم لوجوه الله فيهم تشرق، وقد أشرقت بينكم بتماها في محمد وآله وجهها جامعا لوجوه الله.. لا تقتربون إليهم زلفى حتى في أدب الصلاة والذكر.. والله يقول لكم وعلى لسان رحمته، لأنه لا يقول لكم مباشرة لعدم أهليتهم لخطابه، إذ يقول له تواضع لهم.. ارحمهم.. علمهم يسر لهم.. عرفهم.. حذرهم.. بشرهم {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى} ^{٣٨} وضع الأمور في نصابها حتى لا يظنوا أن مودتهم في القربى إنما هي فضل منهم بل هي فضل لهم، لا تحرمهم أن يكونوا ذوي فضل ولكن قل لهم إن تتخلقوا بالحسن من الخلق فإنك ستزيد بي لهم في فعلهم الحسن حسنا.. {ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا} ^{٣٩}.

هل وضع الناس من أمة محمد في فقههم نظاما أو عملا يتوسلون به إلى رسول الله إليهم، هم أو من سبقهم وقد أمروا أن يبتغوا إلى الله الوسيلة فهل ابتغوا إليه الوسيلة؟ وما الوسيلة إلا الصلاة الوسطى أمروا بالمحافظة عليها مع مفروض الصلوات، وما الصلاة الوسطى إلا الصلة برسوله وبآل رسوله وبعترة الكتاب من أمته. هل جعلوا هذا من فقههم ووضعوا له بابا في كتبهم كما وضعوا للوضوء والاستنجاء؟ أو كما وضعوا لباقي المناسك من حصوات الرجم من المزدلفة وأشواطه والسعي والطواف؟ ما عرفوا حجا، ولا ازدلافا، ولا صفاء، ولا رياء، ولا سعياء، ولا طوافا، وما عرفوا زاوية، ولا حجرا، ولا ركنا.. ولكن جسدوا المعاني، وقدسوا الشكل والفعل حيوانية أنفسهم ووثنية عقولهم في هذه الصور أوثانها وهم أوثان عبادتها. ما أشبههم بالقطيع يذهب إلى دار المبيت، أو إلى مسقاة

الماء! لا وعي لهم ولا إدراك عندهم، والرسول يقول لهم (العقل أصل ديني) ٤٠، ما قبله العقل فاقبلوه، وما رفضه العقل فارفضوه، وما أمرتكم به فاتبعوه، وتذاكروه، وتواصوه، فتتعلبوه.

أربعة عشر قرنا لا نقول إلا بمتابعته ولا نعقل ما قال في أمر متابعته، وهو الأمر بأن نعقل ما أمر وننفذ على ما أمر لنرى وندرك ونعقل ما به أمر.. لم ندخل بعد في معنى أمته. نتعصب له خيالا كلها نطق به لسان.. حمرا فرت من قسورة.. إن من يعرف الله لا يركن لغير الله ولا يتحدث عن غير الله ولا يقوم في غير الله، ولا يعمل بغير الله..... أفقهاء؟! من يحترفون فقه هذه الأمة منه يسترزقون، وبتحريف كلام الله عن مواضعه يأكلون.. ومن مقالة الحق ينفرون؟! أليسوا هم الحمر التي فرت من قسورة! وقد استنفروها لتستيقظ للحق فتطلب الحق..... هذا هو حال هذه الأمة في هذا العصر وما سبقه، فهلا وجد هذا الحال عاقلا يعيه، ومجاهدا يعتنقه ويؤمن به فيعمل له فيهديه؟

نسأل الله لنا وللناس الهداية، ولكل من في الأرض الرعاية.

نسأله لنا ولكل غافل العناية. نسأل الله أن يرزقنا جميعا الخير لنا ولأنفسنا ولآبائنا.. نسأل الله أن يولي أمورنا خيارنا برحمته، وأن لا يولي أمورنا شرارنا بما كسبت أيدينا، وأن يتولنا حكاما ومحكومين، رعاة ومرعيين، أئمة ومتابعين، مجاهدين وضالين، أن يتولانا بحكمته ورحمته، وأن يغير حالنا إلى أحسن حال. لا إله غيره ولا معبود سواه.

أضواء على الطريق

- {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} ٤١ - {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} ٤٢.
- {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ٤٣ - (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها) ٤٤
- {إنا أعطيناك الكوثر.. فصل لربك وانحر.. إن شئت هو الأبر} ٤٥.
- {ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} ٤٦ - {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين} ٤٧.
- هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ٤٨.
- {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث} ٤٩.
- {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} ٥٠ - {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم} ٥١.

- {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم} ٥٢ - {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم} ٥٣.
- {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم} ٥٤. {ملة أبيكم إبراهيم} ٥٥ - {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا} ٥٦.
- {ولن جعل للكافرين على المؤمنين سبيلا} ٥٧ - {ثم رددنا لكم الكرة عليهم} ٥٨.
- {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} ٥٩.
- {يوم ندعو كل أناس بإمامهم} ٦٠.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف ذكره الشعراي في "لطائف المنن" مشيراً إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، ٥٦٦، وقد عرج عليه في الفتوحات في الباب الثالث في مضممار حديثه عن تنزيه الحق عن التشبيه والتجسيم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ونصه فيه: "إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم".
- ٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣ حديث شريف: "كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان". المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى. كما أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض".
- ٤ سورة يس - ٢٦:٢٧
- ٥ سورة الأنبياء - ٢٦
- ٦ بيت من نشيد صوفي يرجعه البعض لشاعر من العصر العباسي معروف باسم "بكشاجم". كما يرجعه البعض إلى السيدة زينب ابنة الإمام علي كرم الله وجهه: أيها المعرض عنا ... إن إعراضك منا لو أردناك جعلنا ... كل ما فيك يردنا عباداً أعرضوا عنا ... بلا جرم ولا معنى أساءوا ظنهم فينا ... فهلا أحسنوا الظن فإن خانوا فما خنا ... وإن عادوا فقد عدنا وإن كانوا قد استغنوا ... فإننا عنهم أغنى
- ٧ سورة الرعد - ٣١
- ٨ سورة طه - ٥٠
- ٩ سورة الزلزلة - ٨:٧
- ١٠ سورة الصافات - ٩٦
- ١١ سورة الشعراء - ٢١٩:٢١٨
- ١٢ الأنعام - ١٢٢

- ١٣ سورة سبأ - ٤٩
- ١٤ حديث شريف: "إن لله عبدا إذا رُؤوا ذكر الله." الراوي: الحسن البصري. صحيح ابن ماجه.
- ١٥ سورة الأنبياء - ٣٠
- ١٦ سورة الأنبياء - ٣٠
- ١٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٨ حديث شريف: "تعرض علي أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.
- ١٩ سورة التوبة - ١٠٥
- ٢٠ سورة الإسراء - ١٠٦
- ٢١ سورة الحجرات - ١٧
- ٢٢ سورة الحجرات - ١٧
- ٢٣ سورة الفرقان - ٤٥
- ٢٤ سورة النجم - ١
- ٢٥ سورة الكهف - ٢٨
- ٢٦ سورة الكهف - ٢٨
- ٢٧ سورة الأنبياء - ١٠٧
- ٢٨ سورة الأنفال - ٣٣
- ٢٩ من حديث شريف جاء في تفسير القرطبي أنه حين نزلت الآية {ولسوف يعطيك ربك فترضى} قال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار." وجاء في صحيح مسلم في حديث طويل منه: "اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأل فأخبره. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: إن الله يقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك."
- ٣٠ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة رواه مسلم في صحيحه، يصف حال عباد الله الصالحين يوم القيامة: "...فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل." كما في الآية الشريفة: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} سورة القيامة - ٢٢، ٢٣.
- ٣١ إشارة إلى الحديث الشريف: "إيّاكم والوصال إيّاكم والوصال قالوا: فإنّك تواصل يا رسول الله قال: إني لست كهيتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني". أخرجه مالك، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٣٢ نفس الحديث أعلاه.
- ٣٣ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتني من بابي". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم..

- ٣٤ حديث شريف: " يا عليُّ، إِنَّ لَكَ كَنْزًا مِنَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا؛ فَلَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ. جاء في حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل. كما جاء بصيغ مختلفة في المكتبة الشيعية.
- ٣٥ حديث شريف: "هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا" يعني علياً رضي الله عنه. أخرجه الطبري في تفسيره، وجاء في سيرة ابن هشام، كما أخرجه ابن جرير في "التفسير" وابن عساكر.
- ٣٦ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بلى قال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بلى قال فهذا وليُّ من أنا مولاه اللهم وال من والاه اللهم عاد من عاداه. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٣٧ إشارة لحديثين شريفيين موجهين لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: ١- الحديث الشريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بعد الهجرة، فقال لسيدنا علي: "أنت أخي في الدنيا والآخرة". أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم. ٢- الحديث الشريف: "أنت مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بَعْدِي نَبِيٌّ". صحيح مسلم وصحيح البخاري.
- ٣٨ سورة الشورى - ٢٣
- ٣٩ سورة الشورى - ٢٣
- ٤٠ عن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والعجز نفري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حيي، والجهد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.
- ٤١ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٤٢ سورة المائدة - ١٠٥
- ٤٣ سورة يوسف - ١٠٨
- ٤٤ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب. " فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النعم". أخرجه البخاري ومسلم.
- ٤٥ سورة الكوثر - ٣-١
- ٤٦ سورة الأنبياء - ٣٤
- ٤٧ سورة الزخرف - ٨١
- ٤٨ سورة الشعراء - ٢١٨، ٢١٩
- ٤٩ سورة الإسراء - ١٠٦
- ٥٠ سورة الإسراء - ١٥
- ٥١ سورة آل عمران - ١٨
- ٥٢ سورة الأنفال - ٣٣

سورة محمد - ٢	٥٣
سورة الفتح - ٢٩	٥٤
سورة الحج - ٧٨	٥٥
سورة النحل - ١٢٠	٥٦
سورة النساء - ١٤	٥٧
سورة الإسراء - ٦	٥٨
سورة آل عمران - ١٠٤	٥٩
سورة الإسراء - ٧١	٦٠

(٥)

رجل الفضاء والمضاء رحلة إلى القلب وطواف حول القالب

حديث الجمعة

٦ ذو القعدة ١٣٨٠ هـ - ٢١ أبريل ١٩٦١ م

لا إله إلا الله، لفظ تلوكة ألسنتنا، ولا تقوم به عقولنا، ولا تتزكى به نفوسنا، ولا تحيا به قلوبنا.
فإلى متى أمرنا في الله تفريط؟ وقلنا فيه تبليت، وتوحيدنا كبر، وطريقنا كفر، وأدبنا جحود، وهو
معنا وفي أنفسنا لا يغيب؟!!

متى نتعلم الخطأ فنتها لتعلم الصواب؟!!

متى نرجع إلى أنفسنا تتأملها، فندركها، فنزكيها، فنعلم بها، فنحرص عليها، فندبر لها، فنفيد مما أودع
الله فينا من رسالة العقول، وما جعل لنا من نفسه من أمانة النفوس.. فنحترث أرض القلوب،
ونكشف ما في قيامنا، مما توارث وورثنا من خفي المزايا والعيوب؟!!

إلى متى تنصرف هممتنا، وقدراتنا، وأموالنا، وتجمعاتنا، وتواصينا، في النظر والعمل خارج إنساننا، بعيدا
عن إدراك إنسانيتنا، نفكر في الآفاق نجوبها بأجهزتنا، ولا نفكر في آفاق قلوبنا، وما هو بداخلنا من
ملك الله، وملكوت الله، ونحن الأصل لما حولنا، ونحن صغير كبير كوننا، نُعبد أنفسنا لأرضه
وسمائه، وهو كوننا وملكنا وعبدنا؟!!

إن فعل البشرية بالخروج خطوات في المحيط الجوي لهذه الأرض، أمر تافه في ذاته، قيم في حكمته،
يسموه ويعلوه أن يقطع الإنسان طريقه إلى قلبه الذي لا يبعد عن رأسه إلا قبضات من يد، ولو
وصل إليه متواضعا، ولهامته مطأطئا، ولبيت ربه رافعا، وبوجهه إلى قلب الأرض ساجدا. إن هذا لو
أدركه الإنسان لتضاءلت أمامه من نتائجه كل أعماله في خارجه، ولأدرك أنه بداخله يستطيع أن يتحكم

في كل ما هو بخارجه، إن أراد يوماً أن يذهب إلى داخله، وتفتحت له أبواب داخله فولوجها، وخضعت له نفسه فعرفها، وصحا عقله فقدّره، فذكر ربه فذكره، فكان الذاكر أمر المذكور، وكان المذكور شأن الذاكر. إن سأل الذاكر، أعطاه المذكور، وإن حضر المذكور، فنى وغنى الذاكر، وخرج من فاقته وفقره، خرج من ضعفه وذله إلى غناء مذكوره وعظمته، لقد صار العبد ربّه، لقد دنى الرب عبده، لقد ملك العبد كونه، لقد أدرك الموجود وجوده، وشهد في مرآة معناه، من مرآة ذاته، في مرآة نفسه، من مرآة عقله، من كان من قبل هواه.. من كان لقاءه كل ما يمتناه.. من عشقه غيباً، فتولاه شهادة.. فعرفه حقاً يوم تحقق به، وعرف أنه ما أنزل عليه إلا من الحق، فصار الحق وصاره، ورضي بالحق جواره، ورضيه الحق جاره، أووي بعد قطيعة، وعرف أصله بعد يتم، وطعم من مسغبة، وعز من ذل، وغني من فقر، وهدي من ضلالة، فحكم الأرض والسماء باسم ربه غيباً على خلقه. الساسة أياديه والخلق أوانيّه.

هذا هو لكم فلم تقصرونه على من كان لكم أسوة فيه، وهو معانكم وهو فيه مأواكم؟ هذا ما أرادكم لكم ربكم فلم تقنطونه؟ لم لا تطلبونه؟ لم لا تبحثونه؟ لم لا تتعقبونه؟ {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}.

هذا هو الإسلام.

فهل اتخذ بعضكم بعضاً أرباباً في الله بالله؟ هل اعتقد أحدكم في حجر فلم ينفعه اعتقاده؟ هل كره أحدكم ما هو فيه من ظلام فلم تتهياً له أسباب مولد في النور؟ هل كره أحدكم معناه في القطيعة فجاهد.. فسهر ففكر.. فبحث.. فعمل.. فلم يتوله من تولاه من نشأته، وقبل نشأته، ليسلكه السبيل، ويعرفه الدليل، ويورده الحوض، وينهي له اليتيم، ويوقف مسراه في الذل، ويحو عنه الجهل؟ أقامه كتابه.. كتاب العلم، أقرأه فقراً، وأنساه فنسي.. أنساه ظلام ليله من نفسه، وأيقظه بفجر يومه من عقله.. أيقظه من نومه، فبعثه من موته، أحياه من جموده، حركه من ركوده، أثمه من هموده!

هل أحسن طالب طلب الله فوجد الله أضعف من أن يحقق له طلبه؟ هل صدق طالب فتخلفت قدرة القادر عن أجابته؟ هل العيب في الله، أم العيب في الناس؟

إن الله كامل، لا يعرفه إلا الكمال، ولا يعرفه إلا الكامل، وإن الله وعدم بالكمال، وبالكامل على تكاثر بينكم، وقيام فيكم، بعبد جعله بدءاً، ولم يجعله انتهاءً. جعله بدءاً للحقيقة والحق في الإنسان، وجعله خاتماً للأنبياء والغيب من الخلق للإنسان. جعله شاهداً ومشهوداً.. شاهداً بعين الله تحيط بأرض الله وبخلق الله وعباد الله.. زويت له الأرض وجعله مشهوداً يشهد في شهوده الإنسان والبدء

للإنسان، ويشهد في شهوده الحق، ويشهد في شهوده وجه الله، الله من ورائه محيط، والله معه أقرب إليه من حبل الوريد. تعرض عليه أعمالكم فإن وجد خيرا حمد الله، وإن وجد شرا استغفر الله لكم.. ربا للناس برحمة الله للعالمين به، ملكا للناس بقدرة الله في حقائقه يدا فوق أيادي خلقه من عوالمه، يكشف للناس به فيه أمر الله في أرضه، عين أمر الله في سمائه، عين أمر الله بحضراته، عين أمر الله في كل ما نعلم، وعين أمر الله فيما لا نعلم.. يرى الله بوحدانيته ويرى به ما يرى من الله له، ويرى هو المؤمنين عليهم شهيد، ويرى به المؤمنون ما يرى هو وربه من أمر الله في الناس عليهم شهداء..

لا ترفع أعمال، ولا تخفى أحوال إلا في معاني الأقوال.. فالله يرى والله يأتي {وهو معكم أين ما كنتم} ومتى كنتم، وأين كنتم، وعلى أية حال كنتم، لا تخفى عليه منكم خافية.. إن الله لا يطلب لكم المذلة، ولا يريد بكم الذلة. وإن الله لا يريد بكم السوء، ولا يريد بكم الضلالة، ولا يريد بكم العذاب، ولا يريد بكم العقاب، ولا يريد معكم الحساب، ولكن الله خلقكم وأرادكم لنفسه، فهل أردتموه لأنفسكم؟ إنكم تريدون العاجلة، وتذرون الآجلة، وتنسون في العاجلة والآجلة - وله الأولى والآخرة -.. إن الله لا يُعرف في جنانه لأهل الجنان ولا يعرف في ناره لأهل النار ولا يعرف في ملكه لأهل الملك. ولكن يعرف للأحرار، يعرف في عباده لمن دخل في عباده، وقَبِل العبودية له ولعباده. فهو لا يفترق عن عباده. ولا يتعدد مع عباده. ولا يظهر إلا بعباده في السموات والأرض.

إن كان الله هو غيب أي شيء، فإن غيبه في شهادة كل شيء.. فإذا كنتم فيه أشياء فأنتم ظاهر غيبكم بأشياءكم. فإذا وحدتموه بلا إله إلا الله بظاهركم من أشياءكم، كان لا إله إلا الله في غيب أشياءكم لكم تشهدونه فلا غيب عنكم.

إن الله معكم.. إن بيته إنما هو قلوبكم.. إن ملكوته إنما هو في صدوركم.. إن صلحتم فلكوت الله بين جوانحكم ذكركم، تَخَلَّق في صدوركم ملكوته يتجه إليه في قلوبكم، تسمعون صريه، وتسمعون أزيزه، وتحسون في الله شوقه ووجيبه متخلقا من أعمالكم، فيصبح الحق هواكم، ويصبح معناه لكم معناكم.. وجوها له، وعبادا له، وخلقاً له، وقياما له، ووحدانية له، وأحادية له.

هذا ما جاءكم به دين الفطرة في قديم الإنسان - كان الإنسان به ربه - وما تجدد في تجدد الإنسان - فكان الإنسان به على صورة منه -، ثم تجدد بالإسلام جديد بدء للإنسان من أول عابدين ببدء حاله في ذات بينكم رسولا إليكم من أنفسكم، استكمل في الله حاله على قديم، وبدأ بقديمه في الله حاله على جديد يستديم. وَعِد بتكاثر على مزيد.. ما ينسخ الله منه من آية من إنسان إلا يأت بخير منها له

من إنسان.. يُبعث الأكل من معانيه في أشيائه في انتظام فتزايد بالكمال شيئته بأشياءه، وتتجمع فيه معنى كلالته.

يرتقي بتدانيه، ويداني بترقيه.. كلماتُ الله متصاعدة في بيوت مرفوعة، وكلماتُ الله متجددة في بيوت مبعوثة موضوعة. دواليك يبعثه الله مسفرا على رأس كل قرن، ما بدأ قرن في كل إنسان.

فإذا عرفه الناس، وكيف آمنوه، وبأي عين أبصروه، وعلى أي لون شهدوه؟ إنهم عن أنفسهم ميزوه ولكنهم ما لأنفسهم مؤمنين طلبوه. ولو طلبوه لأنفسهم من ربه ما حُرموه وفي حضرته التحقوه.. هو الذي يقوم ويتقلب في الساجدين، على دوام قيام، وعلى دوام سجود في عدِّ بلا تعدد.

إنه حقيقة العبد من حقيقة الرب من حقائق الله في حقائق الوجود من الحقيقة الشاملة له.. وجودا لا يسمى ولا يحاط..

إن الناس يلوكون لفظ الله، ولا قيام لمعاني هذا اللفظ في وجدانهم إلا ما نقلوا بباغوات عن بهتان آبائهم.. إن هذا اللفظ هو لهم لمعناهم في حقيقة اسمه الله-هم. وهو لهم عين مبناهم في الخليقة علما على الخالق من الحقيقة. إن هذا اللفظ هو اسم قديمهم في أحسن تقويم، فيه منه نزلوا. وهو اسم جديدهم إلى أحسن تقويم إليه يرجعون. ما فقدوه وهم أسفل سافلين، ولكنهم وهم في تجربتهم - أسفل سافلين - لا يطلبونه ليجدوه، فإن طلبوه وجدوه، وإن وجدوه عرفوه، وإن عرفوه كسبوه، وإن كسبوه كانوا، فعرفوا أنفسهم إذ عرفوه، وشهدوها إذ شهدوه، فتواجههم ما خلقوه، وتواجهوه ما أوجدوه.

إن رحمة الله لا تتواجد إلا في مرحوم، ولا مرحوم إلا من مات عن عزلته بموته عن نفسه، ومات عن قطيعته بموته عن جهله، ومات عن ظلامه بموت القابل للموت فيه. مات موةً معنوية، فحيا حياة معنوية، فعرف أنه في الله وجه الله ومعنى الله.. وعرف أنه في الوجود معنى الوجود. وعرف أنه للجواد محل الجود.. وعرف أنه في الغني إناء الغنى، وأنه في نفسه إناء الافتقار، وأنه في ربه سيد الدار ورب الدار.. فعرف معنى العبودية لله، فخرج مرتقاها، فوجد الدنيا والآخرة إنما هي دار لعبد من عباد في حضرة الله.. كل من في السموات والأرض آتية.. أحصاهم وعدهم وللقائه أعدهم - فردا فيه - علموا وحدانية الله بوحدانيتهم معه.

هذا هو الإسلام.

لو قدمه من سمعوه من مؤسسه بوعي بجانب أمانة النقل لمن أرادوا أن يسمعوه ويعوه، فتلقيناه بجسده وروحه، وجاءنا بحقه من حقيقة أنفسنا به، على لسان الحامل الأمين عليه.. ما كان هذا حالنا

وما صار إلى حاضرنّا إليه مآلنا. نتكلم بروح الشيطان زاعمين كتاب الرحمة واسم الرحمن، ونعلم فتنة الفتان باسم حكمة الإنسان.. سالكين طريق الرجيم زاعمين وواهمين أن هذا هو الإحسان كل الإحسان.

الإسلام دين ودولة.

هكذا يتمشدقون وهكذا يقولون. فكيف تقوم للإسلام دولة ولم يقيم بالإسلام دين؟! وكيف تقيم دولة ديننا وهي بفطرتها دين جماعتها والدين للديان رب العالمين؟! {الله أعلم حيث يجعل رسالته}³ لا يخرج حاكم لمجتمعه رسولا، ولا حكيما، ولا آمينا، إلا بما في الحاكم صالحا أو فاسدا. فكل إناء لا ينضح إلا بما فيه.. والرسول عنوان مرسله.

فهل يعنون فقهاؤكم رسول الله أو رب رسول الله بما يقولون وبما يمكرون وبما يدعون وبما يتفيقون ولا فقه فيما يعلمون؟ هل شهدتم لهم بالاستقامة؟ هل تجلت منهم فيكم الكرامة؟ هل نصرهم الله على القلوب القاسية؟ هل وصلوا بأقوالهم إلى الأفئدة الغافلة؟ هل استقامت علومهم مع العقول؟ هل تناسق ما يقدمون للناس مع ما بين أيدي الناس من علوم الناس عن الناس، وعن الطبيعة، وعن أنفسهم، وعن الوجود، وعن الفرد، وعن المجتمع؟ إنما هي علوم يقدمها الله للناس من فطرتهم تنبع منهم، تنبع من عقولهم وقلوبهم، أي من كانوا، (لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)؛ حتى يكونوا مصاييح لأنفسهم ولغيرهم ما استيقظوا وما أدركوا والله هادي الكل، والله ذاهب بالضلالة عن الكل ما تفكروه وما تأملوه، على ما تستطيع نفوسهم، وعلى ما تقبل عقولهم، وعلى ما تجدد أمر دينهم وإيمانهم على رؤوس القرون، وذهب قيامهم وظلامهم وأحداثهم على الفطرة مع ذهاب القرون، لا على ما يرد لهم في منقولهم عن الآباء بلا وعي له أو إدراك فيه.

إن الله غني في الهدي عن نفسه عن الكتب وعن الأنبياء، فاطر السموات والأرض، عند كل من جاهد فيه بفطرته.. ما كلف الله نفسا إلا وسعها. من جاهد فيه بوسعه، إن أخطأ فله أجره، وإن أصاب فله أجران. وليستفت كل منكم قلبه، وليبدأ كل منكم من نفسه، ليبتعد عن الآخرين إلا من رأى فيهم نور الله يقبله العقل، ويسكن له القلب. فليستمع لكل متكلم، وليقبل من كل عاقل، وليحكم عقله على ما يطيق، ولا يحكم بعقله بالقدرة الشاملة، ولا لنفسه بالنفس المستقيمة الكاملة، فليتهم كل ما منه وليقبل من الله كل ما منه.. والله آخذ بناصيته ويده إلى الخير وإلى السبيل وإلى الحوض وإلى الحياة ما صدق مع نفسه. وما كان الله ليعذب من يعذب إلا بعد رسول من العقل، ورسول من الحياة، ورسول من الواقع.

هذا جاء به محمد ومن قبله، وجاء به محمد ومن بعده، ويحيى به محمد كلها كان له في الناس بعث. فلنؤمن بمحمد الحق حقا يقوم وينتشر، ولنؤمن بمحمد البعث حقيقة تبعث بين جوانحنا نترنم بها ولها (أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع)°.

إن محمداً هو إيانا خلقاً ما تخلقنا بخلق، وإن محمداً من ربه لنا ربا ما امتدت فينا روحه، وإن محمداً في معانينا يقوم لربه عبداً ما استكملناه لنا أسوة فألحقنا بحضرته فسعدنا بنعمته.. فليكن هذا ديننا، وليكن هذا طلبنا، ولتكن هذه طريقنا، هدايا الله وإياكم سواء السبيل.

رسالة محمد معرفاً عن ربه تقوم في رسالة كل من عرّف عنه تعريفاً عن ربه. وإن لربه رسالة في التعريف عنه تقوم بكل من قامه في التعريف عنه.. فاللهم اجعلنا من عارفيه ومعرفيه.. اللهم اجعلنا من عارفيه به ومعرفيه بك. اللهم اجعلنا من عارفيك به عباداً لك، ومن عارفيه بك رحمة لنا منك. اللهم قوم به فيك سبيلنا، وابعث به فيك طريقنا، واجمع عليه بك قلوبنا، وألف به اللهم بيننا، ووحد فيك جمعنا، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وانصرنا بفضلك ورحمتك على أنفسنا حكماً ومحكومين، رعاة ومرعيين، مجاهدين ومتابعين، حكماء ومقلدين، هداة وسالكون، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر لنا وتب علينا، وسدد فيك خطانا، وارفع الحصومة من بيننا، وألف اللهم بين قلوبنا، وأنزل السلم والسلام على أرضنا.

أضواء على الطريق

- {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تفرق بكم السبل فتفرق بكم عن سبيله}°.
- {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}°.
- {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفتكروا}°.
- {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}°.
- {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}°.
- {الرحمن فاسأل به خبيراً}°.
- {ويوم نبعث في كل أمة شهيداً من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء}°.
- {جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً}°.

• {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم} ١٤.

مصادر التوثيق والتحقيق

١	سورة الأحزاب - ٦
٢	سورة الحديد - ٤
٣	سورة الأنعام - ١٢٤
٤	حديث شريف: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى". أخرجه أحمد بن حنبل
٥	جزء من النشيد الذي استقبل به أهل المدينة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
٦	سورة الأنعام - ١٥٣
٧	سورة يوسف - ١٠٨
٨	سورة سبأ - ٤٦
٩	سورة الفتح - ٢٩
١٠	سورة آل عمران - ١١٠
١١	سورة الفرقان - ٥٩
١٢	سورة النحل - ٨٩
١٣	سورة البقرة - ١٤٣
١٤	سورة البقرة - ١٤١ سورة البقرة - ١٣٤

(٦)

دنيا الرسول

ودنيا الناس

عالمان يجتمعان ويفترقان في دنيا الله

حديث الجمعة

٣٠ ربيع الآخر ١٣٨٠ هـ - ٢١ أكتوبر ١٩٦٠ م

{مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان}¹ ...

عندما يجتمع عالمان.. عندما تجتمع دنيان.. عندما يتخالل الإنسان مع الإنسان.. عندما يتحاب الإنسان مع الإنسان.. عندما يتصارع الإنسان مع الإنسان.. عندما يجتمع من دب على الأرض ومن دب على السماء في مجال وميدان.. عندما يتخالل الإنسان من أرض للإنسان مع الإنسان من أرض للإنسان، يتعارفان ويتآلفان، ويتخاصمان ويتعلمان، ويتحدان ويفترقان، ويتوالدان ويتوحدان ويتعددان.

عندما يجتمع أهل أرضين، عندما تجتمع أرضان في ميدان، ينبلج النور، وتشعل النار، ويحى الظلام، ويقوم الحق للعيان، ويقوم العلم والبرهان.

(مالي والدنيا، أنا في الدنيا عابر سبيل، استظل بظل شجرة.. ثم مضى)².

غريب استظل بظل شجرة ثم مضى.. سفير إنسانية وديار دار. ليست إنسانيته هذه الإنسانية، ولا داره هذه الدار. وُلد في هذه الدار، ودب على أرضها، وهو ليس من بيتها ولا من أهلها. ولكن في مولده كانت سفارة من إنسانية أهله وجواره.

وُلد في هذه الأرض وفي هذه الإنسانية ولم يجئها منفردا، فقد جاءها بركب وبجيش من داره وأهله وولده، ومن دور طريقه إليها. ولكنه وصحبه ما عُرفوا للناس وما ظهرها بين صحبه ممن اشتهروا باسم

صحبته.. جاء وهم معه رجل واحد، جمعهم الحق، وجمعهم القيام به نور السموات والأرض. مثلهم ومثله، ممثلين حقاً واحداً، لا تعدد له، ولا تعدد فيه، ولا تعدد معه...

وأراد أن يترك في هذه الأرض بهم أثراً من نفسه، وأثراً من فعله، وأثراً من روحه وأثراً من نوره، وأثراً من علمه، فاختار لكل شيء من ذلك من اختار له، وعليه خَلَفَهُ ومنه به خلفه. ونما به ليكمل، وتجمع فيه ليخلفه، وتوحد به ليقومه، وهم به ليعلم معلومه...

ثم اختفي بذاته عن الظهور بجديد مواصل، ليختبر أدياء الإيمان به وليكشفهم لأنفسهم لا لنفسه، بعد أن تهيأ لهذه المعركة، ولهذا الرسالة، ولهذا النشاط، بمجالات له سبقتها في التواجد على هذه الأرض، ومهدت الجو أمامه، وهيأت الأرض لقيامه، وهيأت في الناس طلبه بطلب الأبوة لها، معنىً للحق عليها، حتى إذا ما جاء بنفسه مستحكمة تواجهها على هذه الأرض، ملياً نداء أهلها أبانا الذي في السماء، بدأ رسالته لإتمام مكارم الأخلاق، وعبر بلسان بعث مجالاته {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ^٣ وقال هاؤم اقرأوا كتابه.. هدايني ربي وغفر لي ما تقدم وما تأخر من ذنبي وجازاني بفضله، وها أنا اليوم الحساب أتلقيه مغفورا، والجزاء أتمناه موفورا، والكتاب أقرأه مدينته علم...

ها أنا مبعوث بالحق وعلى صورته لأتمم مكارم الأخلاق بينكم، لكم أول عابدين وخاتم نبين. أماتني المميت عمن أنا، وبعثني الباعث عمن هو. وما بعثت بينكم اليوم بجديد منه ولكن بجديد مني. وقد بعثت فيكم منكم بمثال من وليد، وبمقال من جديد.

فكانت رسالته بعثه، وتعبيره قيامه، وشفاعته وجوده، وكسبه عنوانه، وحقه إنسانه. لا جديد في الله ولا جديد في الحق، ولا جديد فوق الشمس، ولا جديد تحتها.

إنه المبعوث في كل نفس ببعثها، جدد خلقها إذ نحرها وطورها وأحيها، فكانها أمة مؤمنة به إيمانا بنفسها وإيمانا بربها. ها أنا ذا بينكم.. من كان مني كان من الحق بي. ومن كان مني كنت منه. (ما أعطيته فلا متي)، لا تفاضل بيني وبينكم في الله، ولكن التفاضل بيني وبينكم فيما أعطيت وفيما أعطيتكم. الله هو المعطي، وأنا فيما أعطي لا أعطي ولكنني قاسم فيما أعطي، وحتى في هذا إنني من الله مُعْطِيه، فلا تيأسوا من سماحة المعطي واعلموا أن الله ما أعطى يعطي، وهو له معطي. وما أعطاني ليس إلا مما يعطي.

اجتمع لمحمد على الأرض دنيان وعالمان، عالم حقه وعالم بعثه. ولا أقول دنيان فحسب - إن أردت أن أكون أقرب إلى الصدق في التعبير والإنصاف في الإبانة - إنما هي دنا بمعارضها، دنا الحق بمستوياتها، بدنا الخلق بتقلباتها، ودنا العلم بتخلقاتها، وهي جوهر ومعلم وجماع الدنا في أزله وسرمداه.

هذه الدنيا الوليدة.. هذه الدنيا القديمة الجديدة.. هذه الدنيا الشقية السعيدة.. هذه الدنيا الطيبة العنيدة.. هذه الدنيا الحمقاء الرشيدة.. هذه الدنيا العاملة الحاملة.. هذه الدنيا العالمة الجاهلة.. هذه الدنيا إنما هي دنيا الفتق والرتق. هذه الدنيا التي فتقت بروحها من دنيا الحق، وبغلافها من دنيا الخلق، فكانت لهما جماع. هذه الدنيا التي انصدعت بمراد الحق كما انصدعت بمراد الخلق فانقسم أهلها بين طالب للحق، وطالب للنفس، وما بينهما إليهما من كائن حائر.. هذه الدنيا بوصفها وعلى حالها جماع لدنا مفرداتها وجوه الله، الله فيها رب العالمين. الله فيها رب الرحامين، ورب الشياطين، الله فيها في عماء عن نفسه بوجوه له في حيرتها، الله فيها في علم بنفسه في وجوه له بمعرفتها. الله فيها يبحث عن عبده بعباد هم وجوه له. والعباد فيها يبحثون عن ربهم تقاة وهم وجوه له عن وجه له.

هذه الدنيا التي يجتمع على أرضها الرب بعبده، فيعرف الرب وجهها لله، ويجتمع فيها العبد بربه فيُعرف العبد فيها وجهها لله.

هذه الدنيا على تفاهة أمرها في ظاهر الدنا، وفي قائم الوجود خطير شأنها عند العابد، وعند المعبود، وعند الموجد وعند الموجد.

هذه الدنيا التي يتسمى أهلها باسم الإنسان ولا يتصفون بوصفه.

هذه الدنيا التي إذا ظهر عليها الإنسان، ودب عليها الإنسان، وتكشف لأهلها فيهم معنى الإنسان وابن الإنسان بكشف غلالة الظلام عن إنسان قيامه، به أسفر لقيامهم فيها الرحمن اسما للإنسان، وتحجب فيها الإنسان باسم الشيطان، وقام فيها الإنسان باسم الدين واسم الديان، ظهر فيها الإنسان باسم الحق، كما اختفي فيها الإنسان وراء مظهر من البهتان.

هذه الدنيا التي تلون فيها الإنسان بألوانه، وتعدد فيها الإنسان بأكفانه، من أبدانه.

هذه الدنيا التي هدأ فيها الإنسان فبعث بنوره وسلامه، والتي انفعل فيها الإنسان فقام بناره وقوته، وحرارته وقسوته.

هذه الدنيا التي نحد فيها الإنسان فظهر بظلامه وترا به، فتنزلت عليه الملائكة والروح من كل أمر في سكون ليله.

هذه الدنيا التي سعدت بالإنسان يوم نزل عليها ماء الحياة من المزن، يُحيي الأرض من الأبدان تهتز فتربو، فتخلق، فتوجد، فتوجد أحوى بالحياة، في مظاهر من غناء يفنى يستعيده تراب الأرض، ولكن يقوم به أود الإنسان لذات دوامه، وتحيا به قوائم الأبدان في حقيقة ذاته.

فليتأمل الإنسان مما خلق في دنيا خلقه فيحيا بتأمله في دنيا حقه، وليطلب الإنسان حقه بحياته، فيتحقق له معناه بإرادته، فريقاً للجنة برحمة الإنسان، وفريقاً للسعير بجبروت الإنسان، وفريقاً للحق بشرف الإنسان، وكل ذلك من فعله ومشيئته، وعلمه وإرادته. هل يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة؟ هل يستويان وأصحاب الحق؟

هذه الدنيا يشهد فيها الإنسان أن لا إله إلا الله، ويؤمن فيها الإنسان أن الله أكبر منه، وإن كان إلهاً، وإن كان من الله، وإن كان إلى الله فالله أكبر، ويعلم فيها الإنسان أن العبودية لله في السموات والأرض هي شرف الإنسان، وأن الإنسان ما عرف من الأكبر من الرحمن إلا نفسه رسولا من عبد من عنوان، هو له رفيق وهو له صديق، يدرك بحبته أنه له في الحب رفيقه، والرفيق الأعلى في الله رفيقه، فقال الرسول ناطق ما أنا لكم إلا رفيق: أقربكم مني منازل يوم أسفر بوجه الحق بينكم لكم، يوم قياسي وقيامكم به، أقربكم مني منازل أحاسنكم أخلاقاً.. يوم ينقطع كل نسب وحسب إلا حسبي ونسبي وسبي وصهري.. (أقربكم مني منازل، في هذه القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطؤون أكفأ، الذين يألفون ويؤلفون)^٥، والله من ورأي ومن ورائكم محيط.. (من رأي فقد رأي حقاً)^٦.. من رأي فقد رأي ما يطلب من الله من الحق.. من رأي فقد رأي معشوقه ومحبوه ومراده من الله.

إنني له وجهه، وإنني قد أمرت أن أصبر بوجهه وهو معناني منه، لا تعدو عينا ولا حسبي عمن يطلبون وجهه. {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً}^٧ يشهدونه في به فيهم.

فما يكون الحق يوم علمه محمد فعله، يوم تعارف إلى محمد فعرّفه، يوم تكشف لمحمد فكشفه، يوم قام بمحمد ففي قومه قامه، يوم أسفر لمحمد فأسفر به، يوم تكلم إلى محمد ثم تكلم منه، يوم نادى محمداً ثم نودي إليه منه، يوم لباه محمد ولبي منه، الله من ورائهم محيط؟ الله {قائم على كل نفس بما كسبت}^٨، الله معهم أينما كانوا. الله معهم في السماء، ومعهم على الأرض، ومعهم تحت الثرى. إنهم في الثرى يولجون، وإنهم في السماء يعرجون، وإنهم على الأرض يدبون وهو معهم، وما عرجوا ولكن عرج الله، وما دبوا ولكن دب الله، وما ولجوا ولكن ولج الله، إن الله معهم أينما كانوا {أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها}^٩. {قد علمنا ما تنقص الأرض منهم}^{١٠}، {حشرناهم فلم تغادر منهم أحداً}^{١١}، رفعناهم طبقاً فوق طبق، وبعثناهم على الأرض طبقاً بعد طبق.

إننا باعثوهم وإننا رافعوهم بميزان وضعناه، وفي منهاج رسمناه، وفي طريق سلكناه، وبقانون شرعناه، فنحن باعثوهم بقدر ما نحن منشئوهم، ونحن منشئوهم بقدر ما نحن مولجوها، ونحن مولجوها بقدر

ما نحن رافعوهم.. لا جديد في الحق. الساعة في يقظتهم والقيامة في قيامهم من غفوتهم. والموت والسكون في رقدتهم، والحياة والنشور في صحتهم، والبعث في موالدهم بالحياة في المادة والروح، والخلق في ردهم بموالد المادة أو بموالد الروح، والجنة في رحلتهم والنار في قعدتهم.

إن الله بفعله ثابت صمد. وفي وجوده بوجوده ووجودهم واحد أحد.. يتوالدون فيه ولا يولد، ويلدون منه ولا يلد، ويتواجدون به ولا يتواجد، ويغيبون عنهم إليه ولا يغيب، هو الشاهد والشهيد، هو المراقب والرقيب، هو الوالد والوليد، هو معناهم وهو المنزه عن إياهم. ما علم معلم إلا فيه، وما تكشف علم إلا به، وما أنتفع بعلم إلا في معرفته، وما قام قائم في الناس برحمة إلا كان مُعلِّمه وقائمه، وكان معاني الرحمة معه، ومعاني الرحمة له، ومعاني الرحمة منه.

إن البحث عن الله كفر بالله، وابتعاد عن الله، وتضييع لله، وحرمان من الله.. (إن الله معك).. هذه بديهية، وهذه قاعدة أولية. (إن الله معك) فلا تبحث عنه بعيدا عنك، ولكن ابحث عن الله معه مسفرا له بمعنيته، يراه ويسمعه، حتى تكون منه على مثال.. وتصبح بصحبته من حاله على حال. فالله واقع وعلم فمن طلبه بالعلم فقد باعده بالواقع.

إن المنشود للناس لينشدوه إنما هو عبد الله ورسوله.

{الرحمن فاسأل به خبيرا} ١٢، {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تنفكروا} ١٣. محمد سبيل الله بينكم دعاكم ويدعوكم على بصيرة متكاثرا لا ينقطع متواجدا لا يغيب. إنه عبد الله وإنه عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا. إنهم معناه وهو معناهم. إن الصلة بهم صلاة، وإن القيام بهم بعث، وإن تواجد امتدادهم في الذات رحمة، وإن رؤيتهم للقلب قيامة، وإن روابطهم في الله سلامة، وإن بعثهم في الذات ساعة، وإن التوحد معهم هو توحيد مع الله ودخول في الله وحدانيته بلا إله إلا الله؛ لأنهم توحدوا مع من هو من معناهم متوحدا مع من هو من معناه في اللانهائي بالله، الذي لا يدرك مداه ويدرك قائمه ومعناه، في العظيم والأعظم والكبير والأكبر من إنسانه ومصطفاه.

فالذات الأقدس منشود المسلم، وما الذات الأقدس إلا الرفيق الأعلى لرسول الله، وهو إنسان الربوبية لإنسان معناه. وما الرفيق الأعلى إلا اسم الله، إلا اسم الله الأعظم، سبج اسم ربك العظيم، سبج اسم ربك الأعلى. وجديد الرسول يجعل قديمه الرفيق الأعلى في دوام تواجده أمة من الشهداء هو عليها شهيد، كلها رسول الله.

إن معراج التطور في النفس بطلب المثل الأعلى من النفس للنفس في عالم النفس حيثما كانت، إنما هو طلب الله - إذا قيل إن الله يُطلب - أما الله في حقيقة الأمر فهو مع الأعلى على ما هو مع الأسفل

والأدنى، وأن الفارق بين أسفل كائن من العوالم السفلى مع أعلى كائن من الكائنات العليا في اللانهائي ساقط. إنهما متلاقيان فيه وجها لوجه. إنهما متلاقيان في الموجود اللانهائي بعظمته، اللانهائي بقدرته، اللانهائي برحمته، اللانهائي بإفاضته، اللانهائي بقربه، اللانهائي بقيامه، وجها لوجه.

إن اللانهائي جمع ووحد بين الشيطان وبين الرحمن، وجعلهما فيه في صعيد واحد، فأهل الشيطان واستمهل الرحمن حتى يقضى بينهما في قضائهما هما لنفسيهما على نفسيهما.. فيقضي الشيطان على نفسه بغفلته في توبته عن مواصلة عمله في بشريته، ويقضي الرحمن لنفسه برحمته في قضيته للحق في نصرته، لأن الله اللانهائي المؤدب في لانهائي تأديبه، ما حكم كائنا فيه في كائن فيه، وما ظهر هو بالتحكم في كائن فيه إلا بوحدانيته.

هذا الوعي وهذه المعرفة هي ما جاءنا بها رسول الله يوم جاء الأرض بنظام المجيء إليها من التوالد من أهلها رافعا القناع أو مسفرا بحقه وأنه ليس بغائب عنها. فإذا بحثتم عنه في الناس كنتم العباد الذين يبحثون عن ربهم، وأنه من خلف قناعه الشفاف ينظر إليكم فهو يحجبكم عنكم ولا يحجبكم عنه، وينادىكم هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من مسترحم فأرحمه؟ إنه رب يبحث عن عبده في الأرض. (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)^{١٤}. وما الأشعث الأغبر إلا هو. وما كان الذي يقسم على القانون فيبره إلا هو. بعثه الأعلى من اللانهائي وشفّعه، وأراده لنفسه فوحده، وأراده للناس فخلفه، وأراد الناس أن يكونوا على معناه فأرسله أسوة ورحمة للعالمين...

فيوم اجتمع محمد على بشرية هذه السفينة الأرضية مسفرا، ما كان إلا اجتماع دنيا حقه على دنيا الناس من هذه الدنيا من دنا ربه في عالم محيط. وإنه اليوم إذ يجتمع عالم الروح بأهل هذه الأرض، فيجتمع باجتماعهما دينيان من دنا الله وعلمان من عوالم الله، مبعوثين في عالمنا برحمة الله، وبمعرفة الله، وعلم الله، وبقدرة الله، وبعظمة الله، وبقرب الله، وبرحمة الله يعلمون أرضنا ويغزونها.. يقهرونها ويتألفونها، يستعمرونها ويحررونها، يطأونها وعلى أكثافهم يرفعونها. إنهم يجددون معركة صدر الإسلام وسفين الإسلام ورسالة الإسلام يوم جاء محمد سافرا من دنياه إلى دنيانا، وقد كتب عليه وقومه القتال حتى رفع أمره، يوم تم النصر للمؤمنين بفتح مكة دون قتال.

هذا هو الحق.. وهذا هو الدين.. وهذه هي المعرفة.. وهذا هو الفقه لمن أراد أن يتفقه في الدين، فليحمل نفسه إلى ساحة الحق من ساحة الروح في رسالتها. فليعتبر نفسه في الدنيا غريب. وليعد نفسه الآن من الموتى. وليتلقى الموتى ليُبعثوا خلال أرض قيامه، وليتلاقوا بكريم معانيهم مع قائم معانيه.. وفي هذا خلة الله وخلة الرحمة، وفي هذا محبة الله، وفي هذا مرضي الإيثار كما فيه مغفور الأثرة في الله.

إن أرض النفس من هذه الذوات هي ما أشير إليه في كتاب الله {إذا زلزلت الأرض زلزالها} ١٥. إن قراءة النفس لصحائف قيامها من قديمها، وهي به مبعوثة موجودة، هو ما تخرج من أثقالها وقد تجسدت أعمالها فيُشده الإنسان ويُبْهت، وقد يتبين له ما قدمت نفسه وما أخرت، ويتبين له مثقال كل ذرة مما عمل مما هو به قائم من خير أو شر يشهده ويراه، مبعوثاً أمام ناظره بكشف الغطاء عنه لمعناه يقرأ نفسه.. يقرأ كتابه. فإن قرأه مأخوذاً بيمينه فقد عمل وقد استحق وكان له من الله خير. أما إذا أخذه بيساره أو بشماله فقد وجد نفسه من عمل غيره ولا عمل له. إنه يمين غيره ولا يمين له، فهو العدم بعمله وهو الفناء بوجوده ما ربح شيئاً وما أوجد شيئاً وما خلق شيئاً. يا ليتها كانت القاضية. يا ليتني لم أدري ما حسابي! يا ليتني لم ألقَ كتابي!

إن الإنسان في حجاب من نفسه، وفي حجاب من أمره، إنما هو في فرصة سانحة، وفي حياة قيمة صالحة، إن عمل وكسب ورجح. ومن هنا يعرف الإنسان أن حياته في حجاب من نفسه إنما هو في رحمة الله، وإن كشف الحجاب عن نفسه إنما هو من قضاء الله. فمن عرف ذلك فلا يستعجل الفتح.. لا يطلب الفتح.. لأن الفتح هو انتهاء وتصفية الماضي إلى الحاضر من أمر الإنسان، وخير للإنسان أن لا يعرف حتى يواصل الحياة، وحتى يواصل الفرصة والكسب. ويكفيه فتحة أنه لا يهرب الموت ويذهب عنه الجزع منه.

إن الحساب أنت مقيمته إن شئت فعملت على فتح نفسك لتعرف ما فيها من أمرها مما صنعت بتقدير عقلك. أما إن جاهدت نفسك على تعرف الخير وعمله، وتعرف الشر وتجنبه، وعملت لمستقبلك من حاضرك، وعلمت حاضرك بعث قديمك، فأنت في يقين من حاضر بعثك، به تصبح على يقين من عودتك مبعوثاً بعملك. {وأعبد ربك حتى يأتيك اليقين} ١٦، {وبالآخرة هم يوقنون} ١٧. إن أيقنت أنك بحاضرك خلاصة قديمك فأنت على يقين من الآخرة، فأنت تعيش فيها لأنك مبعوث بها من سابق حياة. فأنت على يقين بأنك اليوم مبعوث، فاعمل على أن تربح في بعث جديد من يوم جديد، ما لم تعمل له في قديمك فلم تجده في حاضرك مما تحب أن يكون لك.

إن يوم الفصل أحقاب من قرون. إن يوم الفصل كان ميقاتاً للطاغين مآباً لابثنين فيه أحقاباً. إن الإنسان لا يتعارف إلى نفسه، فيفصل في أمر نفسه، إلا في أحقاب من السنين سماها الله يوم الفصل. فأهل الأزمنة السابقة كعصر الفراعنة أو عصر عيسى أو عصر محمد إنما يقضون في حياتهم أحقاباً من السنين وهم ينتظرون هذا اليوم وهم في هذا العصر في أمر أنفسهم ينظرون فيحكمونهم على أنفسهم، ويتصلون بأبنائهم وآبائهم من أهل الأرض بما أصبح من معارفهم.

وقد كان جميلاً رائعاً أننا تلقينا في الأسبوع الماضي حديثاً من بوذا يحكم فيه على نفسه.. يحكم فيه عليها بمعرفته لما فاته وما غفل عنه في حياته الأرضية ولم يعوضه بعد.. ويقرر كيف أنه يطلب العودة إلى الأرض مرة أخرى ليستكمل ما فاته من أمر نفسه، وأنه يبحث عنها اليوم فلا يجدها لأنه لم يحياها وإن أحيا بها، ولكنه يريد لها ليحيها تحت قيود الزمن وتحت قيود المكان، لأنه ظن الله فوق المقيدات وبعيدا عنها، فهو الإطلاق، وانطلق فإذا هو لا يجد نفسه، وكان يقدر في وجوده المقيد أن الناس في تقيداتهم وقد سرى فيهم كانوا نفسه لأنه عرف المطلق دونهم، فوجد بعد انطلاقه أن مقيدات الناس ما كانوا إلا عين المطلق الذي كان يطلبه، وأنه كان عليه أن يتعلم منهم كما تعلموا منه. كان عليه أن يتواصى بالحق في نفسه كما هو في أنفسهم، فما كان واقعهم بعيداً عن واقعه في المحيط الجامع لهما. ولكنه تواصى بالحق في نفسه دونهم وفاته أن الحق الذي معه كان هو الحق الذي هو معهم.. فلم يتواص به معهم وبذلك أعطاهم نفسه بحقتها وعاد ليبحث عنها فيهم منه فلم يجدهم فيه ولم يجدها له فيهم. لم يجدها له لأنه أعطاهم لهم، فأخذوها منه ولم يعطوه أنفسهم ليكونهم بتنزيهه عنهم، فلم يبعث فيهم ولم يبعثوا هم فيه. وبذلك فني في الإطلاق دون التقييد. هذا شق من الدين وليس الدين كله، وهو الآن يريد أن يعود إلى الأرض ليكمل دينه وليكمل نفسه وهو الآن يطلب وينتظر إجابة الله لطلبه. هذا حكم كريم، وعلم سليم، وهو علم عن الساعة ما أجمله، وعلم عن الله أكبر وأرحم ما أكرمه. يتجدد به دين الفطرة وعصرها وتعاليمها ويقوم به بيانها.

إن ما نعيش فيه اليوم وفي هذا الزمان من رسالة الروح، ومن وصلة الروح، ومن محبة الروح، ومن القيام بالروح، ومن السريان مع الروح، والعروج مع الروح، أمر جميل وعظيم، وهو تجديد لرسالة السماء مع محمد...

فكيف يستقبلها قوم محمد؟ هل يقبلها قوم محمد؟ هل يرتضيها قوم محمد؟ أم أنهم يبقون على حالهم وحال آبائهم من رؤيتها في مقابر الموتى دون أرواحهم، وفي تريب أموات النفوس على نفوسهم، وفي التلبية لكل ناعق بادعاء يدعيه، أو بوصف يستهويهم به يستهونونه.

متى يستيقظ الناس إلى أن الله معهم، وأن الله بعثهم، وأن الله روحهم، وأن الرب فيهم، وأن الرسول معهم، وأنهم من الله وإلى الله؟

نسأل الله لنا ولهم الهداية، ونسأل الله لنا ولهم المغفرة، ونسأل الله لنا ولهم التوبة، ونسأل الله لنا ولهم الرجعة، ونسأل الله لنا ولهم السلام، ونسأل الله لنا ولهم السكينة، ونسأل الله لنا ولهم الأمان.

اللهم اغفر لنا وتب علينا وارحمنا. اللهم خذ بنواصينا إلى الخير. اللهم ألقنا على ما تحب وترضى ممن أحببت ورضيت. اللهم كن لنا فيما أنت فيه كائن لنا، لا على ما نريد ولا على ما نحب ولكن على ما ترضى أنت، لا على ما نرضى نحن لأنفسنا، وعلى ما تختار أنت على ما تختاره لنا لأنفسنا.

لا إله إلا أنت ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الرحمن - ١٩، ٢٠
- ٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها". أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد.
- ٣ سورة الإسراء - ٨١
- ٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥ حديث شريف: "إن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكتافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلي المشاؤون بالثيمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ٦ حديث الشريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٧ سورة الكهف - ٢٨
- ٨ سورة الرعد - ٣٣
- ٩ سورة الرعد - ٤١
- ١٠ سورة ق - ٤
- ١١ سورة الكهف - ٤٧
- ١٢ سورة الفرقان - ٥٩.
- ١٣ سورة سبأ - ٤٦
- ١٤ الحديث الشريف: "رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين، مُصَفَّحٍ عن أبواب النَّاسِ، لو أقسمَ على اللَّهِ لأَبْرَهُ". أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بخوه.
- ١٥ سورة الزلزلة - ١
- ١٦ سورة الحجر - ٩٩
- ١٧ سورة البقرة - ٤

(٧)

هو القادر فوق عباده يقهر الإنسان بالإنسان. ويحقق الإنسان بالإنسان كما علم الإنسان بالإنسان

حديث الجمعة

٧ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ - ١٨ أكتوبر ١٩٦٠ م

تصحيح التاريخ الهجري: ٢٧ ربيع الآخر ١٣٨٠ هـ

لا إله إلا الله في قيامنا. لا إله إلا الله في عظمة قيامه. لا إله إلا الله في دوامنا بدوامه.

الحمد لله متجليا بخلقه، والحمد منه إليه من تجليه في خلقه.

إننا نتحدث كثيرا عن الكفر والإيمان، ولا نتحرى وجه الصواب ووجه الحق لفهم الكفر وفهم الإيمان، حتى لا نتعرض إلى الكفر بجهلنا، وحتى لا نتعرض إلى فقدان الإيمان بغفلتنا. ما الكفر إلا كفرنا بنا. وما الإيمان إلا إيماننا بنا. إن كفرنا بنا منفصلين آمناء. وإن آمننا به بعيدا عنّا أشركنا فكفرنا.

إن إيمان الإنسان لا يكون إلا بالإنسان رسولا، ومرسلا، وعبدا. فإنسانية القيام في وحدتها، وفي قيام مفرداتها بها، إنما هي حقيقة.. حقيقة في الأفراد.. حقيقة في المجتمع.. وحقيقة في التجمعات.. وحقيقة في الحقائق.

فإيمان الفرد في هذه الإنسانية الحقية إنما يكون بمجتمعها موحدًا في معناه بوحدة وعيه وتدييره، ظاهرة في تناسق مفرداته وحركاته، وإيمان الجماعة متواصلين بالحق متجمعين بظاهر كيانهم وباطن قيامهم، إنما يكون بالمثل الأعلى للفرد يبرز بين مفرداتهم عنوانا على قيام وحدتهم في هذه المثالية بروابط المحبة والإيثار، وهدم الأثرة والفردية. فإيمان الفرد بالجماعة وإيمان الجماعة بالفرد.

فإذا ما تجمعت الجماعة على الفرد، وإذا ما قام الفرد في الجماعة، قامت حقيقة إنسانية هي بدء معراج لانتهائي في الوعي وفي المعرفة، وبدأت بهذه الإنسانية الحقية قيامها الواحد رسالة معراجها في الإيمان

بالحقيقة الإنسانية، تنشر ما تؤمن به عنها، وتنشر إيماننا بالإنسانية على نطاق أوسع بما تحس به فيها بقيام أكبر، وبمعنى أشمل، وبالعالم أرحب تقومه وينتمي إليها، وبالعالم أرحب يقومها وتنتمي إليه.

إذا ما فكرت هذه الإنسانية في الإنسانية التي عنها صدرت، فلها طلبت، وبها غيبا آمنت، عرفت أن الإنسانية التي عنها صدرت إنما هي عالم الروح من الآباء والأجداد، خلعوا ثياب جلدتهم من نبات هذه الأرض، وانطلقوا في ملكوت الله، في مملكة الله، في جنة الله، عرضها السموات والأرض.. أما امتدادها إلى أعلى فلا حدود له، وأما امتدادها إلى أسفل فلا نهاية له.. عرضها السموات والأرض. لا سقف لها إلا اللانهائي، ولا امتداد لها إلا إلى اللانهائي باللانهاية...

فإيمانها بالحق في إنسانية السبق من الآباء، وسهرها على نفسها من إنسانية اللحاق في دوام الحق في الأبناء، يُبعث فيهم ومنهم في دورة لا نهائية منتظمة الأصول والآباء. وبذلك كانت إنسانية القيام التي استكملت إدراكاتها عنها وعن مغايتها بمعانيها وسط بين إنسانية القدم الأزلي وإنسانية الدوام الأبدي، فهي خير إنسانية أخرجت وتخرج للناس، إذ هي الإنسانية الوسط التي تؤمن بتقديم الإنسانية وأزلي الإنسان. وتؤمن بدائم الإنسانية وأبدي الإنسان. وتؤمن بحاضر الإنسانية وحقية الإنسان. وتعرف بذلك الحقيقة في قدسية الإنسان، ويتصفها دائما كل وحدة إنسانية كملت في نضجها من إنسانيات السبق واللاحق.

هذه هي الإنسانية التي قامت على هذه الأرض بمحمد وأمة محمد، كلها ظهر محمد وتواجدت به له أمة قامت على هذه الأرض بمحمد الذي جعل له الخلد، لم يسبق إليه عليها في كل ظهور له، والذي جعل لأمته الدوام، شهداء على الناس هو عليهم شهيد. كلها تجمعت عليه أمة لا يغيبون عن الأرض أبدا. إنهم ذكر الله عليها.. ذكر الله المحدث عليها لا ينقضي عليها إحداثه. أمة بعد أمة. وإمامة بعد إمامة، وعبودية متجددة لعبد دوامه وإنسان قيامه، ورسول سلامه، ومرصاد خصامه. عبودية بعد عبودية هو فيها سيد الناس، وعبد الناس، وخادم الناس، وعين الناس، وجزء الناس، وكل الناس.

هذه هي الرسالة التي قام بها محمد، تجديدا وتجميعا لقديم الرسالات، وأصلا يتفرع إلى محدث الرسالات متنوعة فيه متحدة به، لا ينقطع أثرها، ولا يحتجب خبرها، ولا تطفأ نارها، ولا يُحجب نورها. تتجدد مع الناس بتجدد الناس، وتتعدد في الناس بتعدد الناس، وتتجدد في السموات بتجدد السموات، وتتجدد ما تحت الثرى في تجدد ما تحت الثرى إشباعا للحاجة، وتتأسقا مع الوحدة، وتطورا مع الفطرة. الله معها، الله متحدتها وسامعها، الله فاعلها، والله انفعالها.

هذه هي حقيقة الرسالة مع محمد وأمة محمد. هي إيمان الإنسان بالإنسان، وإيمان الإنسان بنفسه.. يؤمن الإنسان بنفسه متشعرا مجتهدا، ويؤمن الإنسان بالإنسان رحمة مرسله، فيحيا الإنسان في نفسه، ويحيا الإنسان في الناس، ويحيا الناس في الإنسان.. يجتهد الإنسان في نفسه فيهدى إلى سبيل الحياة من المثل الأعلى يبرزه الله في السموات والأرض. ولا مثل أعلى في السموات والأرض إلا له. ولا يمثل المثل الأعلى في السموات والأرض ممثل من دونه {وله المثل الأعلى في السموات والأرض}، ولن يعرف الإنسان فيه إلا المثل الأعلى من الإنسانية التي هو فيها، يظهر له فيظهر فيه. لا أمة لمحمد بدون محمد، ولا محمد بدون أمة لمحمد. الأصل في عقيدة الفرد اعتقاد المجتمع، أما اعتقاد المثل الأعلى فبسر للفرد مع الفرد، وبسر للمجتمع لاعتقاد المجتمع فيه.

فالمثل الأعلى المرئي للناس من رسول الله أسوة حسنة، له يشهدون وله يطلبون وله يعشقون، لا يعرفونه إلا إذا قاموه، فكانوه، وقد امتد بهم وامتد فيهم، وأضافهم إلى نفسه فقام في معاني قيامهم فعرفوه. بعثوه بالحب في أنفسهم فبعثوه (أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع)^٢.

إنه المثل الأعلى الذي جعل له نور يمشي به في الناس. إنه رحمة الله المهداة. إنه حوض الله المورود. إنه وجه الله المشهود. إنه ساحة الله المقصودة. إنه بيت الله حوله الطواف، وبه الالتفاف. إنه قبلة ومُصلًى الناس. يستقبلونه فيستقبلهم. يطلبهم فيطلبونه أو يطلبونه فيطلبهم. هم منه وهو في الوقت نفسه منهم. لا فرق بينهم وبينه في أي معراج كانوا، وعلى أي سُلَّم من سُلَّم الحياة تواجدوا، غفلوا أو استيقظوا. إنه موقظ غفلتهم. إنه نور يقظتهم. إنه سكون ظلامهم. إنه نهار معاشهم. إنه يوم حياتهم. إنه ليلهم ونهارهم. إنه شهرهم وغيبهم. إنه جهرهم وصمتهم. وإنهم له كذلك. إنهم له ذلك كله، واسعا منتشرا، مبعوثا، متكاثرا.

هذه هي أمة محمد. هذه هي إنسانيته الوسط. هذه هي الأمة الوسط. هذا هو الإنسان الوسط. هذا هو الآدم الوسط. ما آدم إلا هو، وما هو إلا آدم. إنه لآدم ولد، وإنه لآدم أب، وإنه من آدم عين، وإنه لعين الآباء الأوادم. إنه عين الأبناء الأوادم. إنه عين القيام من الأوادم. إنه قضية آدم بسرها وجهرها. إنه آدم وإنه ولد آدم. إنه آدم ما قبل آدم. إنه آدم ما بعد آدم.. وإن الناس فيه لهو، وهم فيه أوادمه ليكونوه. وإن كانوا أوادم بيوتهم، وكانوا آباء قديم ومحدث أوادمهم، وكانوا أصول آبائهم وأبنائهم وأوادمهم. كانوا في معنى الإنسان. وكانوا في الإنسان. كانوا عبادا للرحمن. كانوا أسماء لله. كانوا محدث ذكر الله. كانوا ذكر الله. كانوا وجوه الله. كانوا وجود الله. كانوا عبادا لله. كانوا معاني الحياة.

هذا ما جاء به دين محمد. فهل تدين الناس بدين محمد؟ هل تدين الناس بدين أمة محمد؟ هل قام الناس بمحمد؟ هل قام الناس أمة محمد؟ إن محمدا عين أمته. إن أمة محمد عين محمد. إن محمدا كان أمة. إن أمة محمد كانت فردا. إن محمدا على مثال من أبيه إبراهيم الذي طلب، والذي أجيب، والذي تلقى من ربه كلمات، والذي تعرض لنعمة ربه، والذي طلب ربه مشهودا وغيبا، والذي سأل معرفته في نفسه لنفسه، وسأل معرفته في الكون يتأمله ويشهده، يراه في كل ما يرى، يحبه ويريد أن يرتضيه، فلا يرتضيه ما يحتجب عنه، ولا يرتضيه وجه لا يقاربه ويدانيه، لا يرتضيه وجه لا يضطرب ولا يختلج له قلبه حبا، عشقا ورغبة، وخشية ورهبة. لم يكتف من قرب ربه بشهود ملكوت السموات، ومن تعليمه بإحياء الموتى.

إن إبراهيم الذي وقى.. ما وقى.. ولكن ذكر الله المحدث فيه الذي وقى، واسم الله فيه هو الذي وقى، ونور الله فيه هو الذي وقى، وإنسان الله معه هو الذي وقى.

لقد كشف محمد لنا قانون الحياة.

كان محمد من إبراهيم ما كان إبراهيم من محمد. وكان الحسن من محمد ما كان محمد من الحسن. (حسين مني وأنا من حسين^٣ علي مني وأنا من علي^٤). من لم يتابعني على ديني فليس مني ولست منه. أما من آمن بالحق معي على ما عرفته، وعلى ما شرفته، فعرفه في نفسه كما عرفته، وشرفه في نفسه كما شرفته، فهو مني وأنا أيضا منه. إني في أبنائه له أشهد. وإني في آباءه له أتواجد. وإني في نفسه له أوجد. يوجدني الله في نفسه، يوجدني الله في ولده، يوجدني الله في آباءه. والله في ذلك مجده فيه، وهو إذ أوجد فيه فهو موجودي، إنما يوجهه الله في تواجدي، فيوجهه في آباءي عين آباءي. ويوجهه في أبنائي عين أبنائي. ويوجهه الله في عيني ونفسي ومعناني وهيكلتي ووعيي وقلبي.

من كان لله كان مني (المهدي ولدي)^٥ ومن كان لله كنت منه، (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)^٦.

هذا هو هدي محمد، وهذا هو تشريع محمد، وهذا هو فقه محمد، وهذا هو دين محمد، وهذه هي طريق محمد، وهذا هو سلوك محمد، وهذا هو نور محمد، وهذا هو قيام محمد، وهذا هو محمود محمد، وهذا هو باقي محمد.

فهل تحمد الناس بمحمد؟ هل تناسخ الناس مع محمد فتواجدوه؟ هل نسخوا أنفسهم في قيامه فوجدوه؟ فما بتناسخهم هلكوا ولكن بتناسخهم معه حيوه وبقوه.. هو الذي يراك حين تقوم وتقبلك في الساجدين.

ها نحن في هذا الزمان يتم لنا عن المادة العرفان وعن ربها النسيان، ها نحن في تمام عصر البهتان، ها نحن في عصر الطغيان، ها نحن في عصر النكران، ها نحن في عصر الجحود، ها نحن في عصر القعود، يعم ظلامه، ويكثر كلامه، ويختفي ويهتز سلامه، ويبعث فيه أشقاها، وتعقر فيه ناقة الله بعد حرمان من طعامها وسقياها.

فإلى أي مدى يذهب الإنسان؟ ظن أهلها أنهم قادرون عليها. وضعوا على أرجائها المهلكات وقد أحاطتها من الله رعايته، وشملتها عنايته بملائكة السموات. ولكنهم بظنهم أنهم قادرون عليها، وقد منّ عليهم بشيء من قدرته وفق الناموس، ظنوا أنهم قد عرفوا كل الحياة وكل الوجود، فطغوا بما علمهم - وقد أفاء عليهم بعض العلم - وما أعطاهم من قدرته إلا ليُقدِّروه فيقدِّروه به قادرين. وما أعطاهم من شيء من علمه إلا ليعلموه، فأنفسهم يعلموه، فعنهم يصدر بعلمه عليم بذات الصدور. ولكن قتل الإنسان ما أكفره! إن الإنسان لربّه لكنود. إنه بنعمة الله للجحود.

أما كان يجدر به أن يتقلب بالله في القيام والقعود! في السكون والسجود! في الفناء والوجود! في التوقيت والخلود! لا.. إنه الطاغوت. ويأبى الملكوت، ويحجد الناسوت، ولا يقوم ولا يطلب اللاهوت. إنه قيام الظلام.

ولكن! ولكن! هل يقبل الله هذا الطغيان؟ هل يرضى الله هذا البهتان؟ هل يقعد الله عن إزالة الجحود، وعن كشف قناع الوجود؟ إنه يمهّل، ولكنه لا يهمل.

إن محمدا جاء بالإيمان. إن محمدا جاء بالإحسان. إن محمدا جاء بالعنوان. إن محمدا جاء بالإنسان. جاء بإيمان الإنسان بالإنسان. كشف أن الإنسان هو ظاهر الرحمن، كشف أن الإنسان باطنه الديان، هو القائم بالقيوم على الأكوان، هو سيد البيت.. بيت السموات والأرض.. لا يضعف أمام أبنائه من الجاحدين، ولا يفتر عن إيقاظ أبنائه من الغافلين، ولا يقعد عن دفع أذى أبنائه من المفسدين.. إنهم أبنائه. إن آمنوا بالله فأبنائه. وإن غفلوا عن الله فأبنائه. وإن تمردوا عليه فأبنائه. وإن جحدوه فأبنائه. وإن عرفوه فأبنائه.. وإن كانوا فأبنائه.

ها نحن الآن في هذا العصر وفي هذا الزمان، يجمع الله بين قديم الإنسان ومحدث الذكر من الإنسان. وشاء الله، شاء اللانهائي في وجوده وفي جوده، اللانهائي في قيامه وشهوده، اللانهائي في سعته، اللانهائي في غيبه واللانهائي في قربه.. شاء الله.. رب الإنسان، وعين الإنسان، وباقي الإنسان، وجديد الإنسان كما هو قديمه، وحاضر الإنسان كما هو مستديمه.. شاء الله أن يجمع الإنسان بعوالمه من مستقبل الإنسان، وبعوالمه من قديم الإنسان على عوالمه من حاضر الإنسان. شاء الله أن يجمع

الإنسان ليدفع عن البشرية، ليدفع عن حاضر هذه الإنسانية أذى ما انعقدت عليه عزيمة أهل الطغيان، واجتمع عليه عقد أهل البهتان. شاء الله أن يسخر لحاضر الإنسانية قديم وقابل الإنسانية من عوالم الإنسان.. ليدفعوا عن هذه البشرية تدير هذه الفئة الباغية من أهل الطاغوت وأهل البهتان، ليدفع مكرهم عن الإنسانية، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال.

لقد أثبتنا من الروح المرشد لنا من عالم الغيب أن الأمر قد صدر بإفshal كل ما يصدر عن هذه البشرية من فئتها الباغية من أهل الطاغوت، لاستعمال ما يسمونه بالقنابل والصواريخ الذرية أو الهيدروجينية، وأن كل ما دبروه من مكرهم لمحو هذه البشرية لن يمس هذه البشرية بسوء، فقد تغلبت رحمة الله. وإن شيئاً من ذلك لن يمكننا منه فقد دبر عالم الروح من قبيل الحيلة بتعطيل أجهزتهم إذا غفلت هذه الطغمة الباغية ولم ترعوي بما يلهمون به، وبما يذكرون به من آيات الله فيهم وحوهم، فقد دربت الأرواح والنفوس والأشباح مما يرون أو ترون من خلق الله، ومما لا يعرفون أو لا تعرفون، ومما تؤمنون أو تنكرون وينكرون. لقد جمعت هذه القوى ودربت على أن تظهر أمر الله في اللحظة الحاسمة يوم يركب هؤلاء الناس رءوسهم ليبرزوا مكرهم فيجردوا هذه الأرض من سكانها من عباد الله، ومن خلق الله، يريدون أن يطفئوا نور الله... كأن الله قدرهم على أرض الناس من خلقه. وما هم إلا عصابة صغيرة لا قيمة لها، ولا وزن لها في قوانين الله، وفي قوانين الوجود.. وإن الغالبية العظمى من أهل هذه الأرض إنما تجافي هذه الحروب وتنشد السلام.. ولكنهم مغلوبون على أمرهم مع الطاغوت منهم. وقد طلب إلينا أن نطمئن الناس حتى لا ترج نفوسهم عليهم بما يسمونه الحرب الباردة، والمعرضة لأن تكون حرباً ساخنة فعلاً في أي وقت.. إذا ما فقد هؤلاء الطغاة ما بقي في رؤوسهم من بقايا اتزان.

إن الناس إذا ما اتجهت قلوبهم إلى الله وصدقوا في توجيه قلوبهم إليه، فإن الله مجيهم لطلب السلام وإن الله لمؤيدهم وناصرهم.. وأبوتنا من الأرواح المرشدة تطلب إلينا، أبناء لها وآباء لأبنائنا، أن نربط قلوبنا معهم، وأن نتوجه إلى الله صادقين بقلوب مفتقرة إليه مستعيذة به، فإن قلوبنا إن توجهت وافتقرت جعل الله منها قوى عاملة، وسيوفا قاطعة باترة للباطل يبحث شجرته من فوق هذه الأرض، يبحث شجرته فتنطفئ زهرته وتخبو جذوته عند أهله من عباده وعاشقيه من بيت الطاغوت.

فإني أتوجه إليكم ناصحاً، وأتوجه إليكم راجياً، وأتوجه إليكم بأمر الله آمراً.. أن تستيقظوا وأن تتوجهوا إلى الله بقلوبكم صادقة فاقرة، وأن تنظروا لنفوسكم ضعيفة مفتقرة، وأن تنظروا إلى ذواتكم موقوتة، وأن تنظروا إلى معانيكم باقية. لا تبيعوا أخراكم بدنياكم، ولكن اشترُوا أخراكم بدنياكم. اجعلوها دنيا

ناصبة عاملة لسعيها راضية. اجعلوها دنيا بالله غنية ما استغنت به عن غيره، وله مفتقرة ما استغنت به عن غناها. لا تجعلوا غناءها بغيره. من اعتز بغير الله ذل ومن طلب غير الله ضل.

اذكروا الله معكم وفيكم وأقرب إليكم من حبل الوريد. اذكروه راعيا في منامكم، واذكروه عاملا في انتشاركم من يومكم، اذكروه في الكبير والصغير من شأنكم. اذكروا الله معكم يذكركم ويثبت أقدامكم، ويدفع عنكم عادية أهل الطغيان منكم، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة.

ولكن وقد أبرز فيكم رحمته، ووعدكم أنه ليس بمعذب لكم ما دام فيكم، وليس بمعذب لكم وأنتم تستغفرون، فإن كان لكم نصيب من امتداد نوره به مشرقين، فأنتم رحمة الله شافعين، ومحدث ذكر الله قائمين، ووجه الله ناصبين، وعباد الله ساجدين، فإن لم يكن ذلك لكم، فكونوا معه طالبين، وكونوا لله مستغفرين. ما كان الله ليعذبكم وأنتم تستغفرون.

إننا إن قمنا برسول الله ولرسول الله مؤمنين، وقمنا بالله بأنفسنا مستغفرين، دفعنا عنا عادية الظالمين، ورددنا الكيد إلى نحر الكائدين.

ها هي إنسانية الله ترشدنا وتأخذ بيدنا وتسفر معنا رحمة الله للعالمين وإنسان الله القوى الأمين.

هذه هي رسالة الروح اليوم، ووصلتها تقوم علينا، وتقوم معنا، وتقوم لنا، وتقوم منا، يسعدنا أنا منها. وتعذنا أنها منا فتقطع السبيل على كبريائنا، وتفتح أبواب الرجاء والرحمة لآمالنا، وتظهر لأمر رسول الله فينا، وأمر رسول الله منا، وأمر رسول الله معنا. فهلا استجبنا؟ وهلا إيماننا جددنا؟ وهلا بالله قمنا؟ وهلا لظلام أنفسنا جددنا؟ أسأل الله لنا الخروج من ذلك كله برحمته ومنته وفضله، هدايا الله وإياكم سواء السبيل.

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا. اللهم كن لنا ولا تكن علينا. اللهم ادفع برحمتك ومنتك عنا. اللهم أنزل السلم والسلام على أرضنا، والسكينة والأمن على قلوبنا. اللهم قنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك. اللهم ادفع عنا مكرهم. اللهم برحمتك فتولنا وتولهم. اللهم بهدايتك فوجهنا ووجههم. اللهم بنورك فغير ما بنفوسنا ونفوسهم. اللهم إن كان قضاءك فيهم وفينا بعدلك ما قضيت، فاجعل قضاءك فينا وفيهم بعفوك بجاه رحمتك، اللهم ولِ أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بعدلك. اللهم بصرنا بحكمتك. لا إله غيرك ولا معبود سواك، ونشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ونشهد أن رسولك بنا قائم ولنا دائم يقوم ويتقلب في الساجدين، خالدا في الخالدين، وعبدا في العابدين. به ارحمنا فهو وسيلتنا إليك.. لا إله إلا أنت نشهد بوحدانيتك وبأن محمدا عبدك ورسولك.

أضواء على الطريق

الإمام يعتقد الناس وجوها لله، الله من ورائهم محيط، بما أدرك عن الله في معناه، فيصير الناس نفساً له، ويصبح كذلك باعتقاد الناس له، فقل من بينهم من يعتقد وجهه لله، الله من ورائه محيط. ولكن بقيامه بمعناهم معناه، به يقوم في وحدانية الله، ويشهد في معرفته الحق الأكبر من حقائق الله، على ما هو الله لا على ما هم الناس ولا على ما هي نفسه من جماع معنائهم.

وكذلك المعتقد في الإمام بأنه وجه الله، الله من ورائه محيط، يجد الإمام معناه ونفسه، به يشهد الحق من الله، على ما هو الله، لا على ما هو الإمام ولا على ما هي نفسه.

إن الله لا يشهد إلا بالقيام في الوجدانية عند المشاهد، وأول إدراكات الوجدانية قيامها بين الإمام والمأموم.. فكلاهما لله، الله من ورائهما بإحاطته بالإمام وجه القديم والمأموم وجه الباقي.. والقديم يشهد في مرآة الباقي وجهه، كما يشهد الباقي في مرآة القديم وجهه.

لا إمام بدون مأموم، ولا مأموم بدون إمام.

أما القيام في الوجدانية فالعبارات تعجز عن بيانه أو وصفه إلا بالمثل والإشارة فضلاً عن عجز العقول في سجنها عن إدراكه، والنفوس في ظلامها عن قبوله. ولكنه واقع الطريق لطارقها. ومدر ك الموحد بتوحيده في توحده.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الروم - ٢٧
- ٢ من النشيد الذي استقبل به أهل المدينة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٣ حديث شريف: "حُسَيْنٌ مِنِّي، وأنا منه، أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ مِنَ الْأَسْبَاطِ". رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان.
- ٤ حديث شريف: "إِنْ عَلَيَّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي". أخرجه ابن حبان واللفظ له، والترمذي وأحمد باختلاف يسير.
- ٥ حديث شريف: "المَهْدِيُّ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِي، وَجْهُهُ كَالْكَوْكَبِ الدَّرِيِّ". أخرجه الطبراني.
- ٦ من الحديث الشريف: "أَلَا كَلِمَ رَاعٍ وَكَلِمَ مَسْئُولٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكَلِمَ رَاعٍ وَكَلِمَ مَسْئُولٍ عَنْ رَعِيَّتِهِ". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.

(٨)

الدين والدنيا

ما قبل محمد وما بعد محمد

لا تفكروا في ذات الله وتفكروا في آلاء الله

حديث الجمعة

١٤ جمادى الأولى ١٣٨٠ هـ - ٥ نوفمبر ١٩٦٠ م

أستغفر الله وأتوب إليه، وأحمده وأستعينه وأستهديه. لا إله إلا هو، عليه يتوكل المتوكلون، وبه يستعين القادرون والموفقون والميسرون، وعنه يغفل التعساء، والأشقياء، والمحرومون.

عباد الله.. اتقوا الله وآمنوا برسوله، يؤتكم كفلين من رحمته، ويجعل لكم منه نورا تمشون به في الناس، ما تحت الثرى وما فوق الثرى وما في السموات.. يجعل لكم ظلا ذا ثلاث شعب تمتدون به في عوالم السموات والأرض وما تحت الأرض فتحيون في أنفسكم، تكسبون الحياة، تذوقون الحياة، تعرفون الحياة، تتعرفون بالحياة، تجتمعون على حياتكم وهو الله، عتقاء من القيود، متسعون لما لم تتسع له السموات والأرض من أمره.

قام الجنس على هذه الأرض من دهور بعيدة سحيقة في القدم، لا تعرف لها في وعينا، ولا في تاريخنا، لا ولا في تقديرنا بدء، يمكن أن نحدد به لذلك زمنا. إننا نعجز عن إدراك بدء الجنس على هذه الأرض المعمورة بهذا الجنس كما نرى.. فكيف نتناول إلى ما قبل هذه الأزمان؟ وكيف نتناول إلى العلم بما هو أوسع من هذه الأمكنة أو من هذا المكان إلا بقدر؟ كيف نشرئب لإدراك عن بدء الوجود وهو لا بدء له؟

إن الناس يتحدثون من قديم الجنس عن القوى الخالقة لهم. يتألفونها أو يحاولون تألفها، ويخشونها أو يخشون جهلهم بها، ويحبونها أو يحبون متعة أنفسهم منها.. وذلك على جانبي الحياة في عوالمها الكثيفة واللطيفة، في مجتمعاتها المنظورة لمفرداتها، المحجوبة عن غير مجتمعاتها. وبذلك تكون منهم ومن أفكارهم ومن محاولاتهم ما أسميناه أخيرا بالدين.. سواء ما كان منه بعبادات مرعية أو طقوس شكلية في

العصور القديمة البدائية وما تخلف عنها، على ما كان له من مختلف صور، أو ما أخذ من نظام وحي وكتاب ورسول في العصور الوسطى حتى ظهور خاتم هذا النظام الرسالي الفردي وبادئ النظام الجماعي المتحد، والعلم الفطري المتكامل.

تواجد الناس على هذه الأرض قديما وما زالوا يتواجدون. وفارق الناس هذه الأرض قديما وما زالوا يفارقون، لا يدرون من أمر تواجدهم أو مفارقتهم شيئا، كما لم يدر من قبلهم من أمر تواجدهم ومفارقتهم شيئا. فارقوا هذه الأرض بعد تواجد أمة بعد أمة، وعصرا بعد عصر. لم يرجعوا إلينا بنبأ. ولم يتكشف لنا عنهم خبر، حتى كانت عصور الحكمة ثم عصر النبوة، عصور البشرية تتلقى من السماء حديثا، وتتلقى من السماء خبرا، وتقيم هذه الأخبار فيها أحداثا، وتكون بذاتها للناس حدثا. فعرّفنا الحكماء والأنبياء، وعرّفنا مطالعة الحكماء وكلام الأنبياء وحديث الغيب الإنساني إليهم، معرفين عن مواصلة الإنسان للحياة في حياة أخرى، ومعرفين عن بعث الإنسان من هذه الحياة الأخرى مواصلة للحياة أيضا.

تحدث إلينا الأنبياء بما وَعَوْا في أنفسهم. وبما أدركوا من الحديث إليهم، أو المشاهدة تقوم بهم، حتى كان خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ختما لهذا العصر ولهذا النظام. وقد جاء متمما لهذا الأسلوب ولهذا النظام الذي يتحدث فيه متحدث إلى متحدث إليه من بين الناس، يخصه بحديثه ويلتزم الناس حول هذا المتحدث إليه، يطوفون حوله، ويقصدون بيته، وتتجول خواطرهم فيه وفي أمره وفي معناه، ويربطون بينهم وبينه، ويقارنون بين وعيم ووعيه. يضعون أمام نواظرهم وعيهم وأمام نواظرهم وعيه. ينظرون ذاته بينهم وينظرون ذاتهم في مرآته - إن عرفوا صفاءه - وينظر هو ذاته في مرآتهم - إن أحبهم وتآخى معهم، واتخذ منهم عضدا له على أمره، وعونا له في رسالته - وخاتما ينطبع عليه تلقائيا كل من سبقه من الأنبياء ليكونوه لأنفسهم.

هذا النظام هو محصلة ما انتهت إليه الإنسانية في تاريخها إلى ظهور محمد وأمته. فلها جاءهم ليتحدث إليهم بما تحدثت به إليه أصول الإنسان، ويعلم الناس مما علم، لم يُغفل ما كان عليه أمر الناس من قبله، وأمر الأنبياء من قبله، وأمر الحكماء من قبلهم، وأمر الهداة من قبله، وأمر القادة والأئمة من قبله.

قدّم للناس ما تلقى من أخ مؤدب له، ومن رفيق أعلى مُتَمَدِّ فيه مُحيي لهما، ارتبط بهما لا انفصال بينهما وبينه هو ثالثهما في وحدة من الغيب باطنا لوحدة من الشهادة هو أولها، يعرف بها محمد عند الناس رسول الله، وتعرف به في الناس حق الله، فيُعرّف محمد بما هو مودع فيه من حياة وقدرة وإمكانيات كتاب الله عن محمد عبد الله وحقه بظاهر إمكانياته، ومدرك إفاضته من فيض روحه ونورانيته، يتعاون شِقَّاه ظاهرا لباطن وباطنا لظاهر. عَرَفَ محمد باطنه ربا له حبيبا مخاللا ورفيقا أعلى

لنفسه، فعرفه إلى الناس رفيقا أعلى له وربما لهم وله. وعرف رسولہ إليه نفسه وعرفها أخا له (هذا أخي جبريل جاء يعلمكم دينكم)^١، وعرف الرفيق الأعلى ربا له ولأخيه وربما للناس.

ولكن الناس ما زالت تتجول أفكارهم وعقولهم إلى ما لا طاقة لهم عليه، وما لم يتيأوا له. يطلبون ما يسمونه (الله) بلا وعي فيه أو علم به. يطلبون ما قبل وجودهم. يطلبون ما قبل الوجود. يطلبون مستحيلا. يطلبون عدما. يطلبون وهما وخيالا. يطلبون ما لا وجود له، فما كان الوجود محدثا في وجوده، ولكن كانت الأكوان محدثة فيه، فانية فيه - ما أفاها - . متجددة فيه - ما جددها - . باقية به - ما أبقاها - .

إن الأكوان هي خلايا الوجود، على مثال من الإنسان وما فيه من خلاياه وأعضائه وجوارحه وأجهزته، كنواة لعالم أو كون، تجدد وتستهلك في تعادل ونظام. فإذا زاد تجدها على استهلاكها نما الوليد حتى صار رجلا. فإذا تناقص التجدد انحدر إلى طريق الزهاب من المادة شيخا فكهلا. فإذا ما تغلبت نسبة استهلاك أنسجته على نسبة تجدها فزادت نسبة التحول إلى الطاقة عن نسبة التكوين الكيماوي من المادة إلى الخلية، انحدر القوس وتقوس الظهر، وغيّرت الرأس اتجاهها من الوجهة إلى سماء الأرض إلى الوجهة إلى أرض السماء، فاتجه إلى باطن الأرض فضمته الأرض وانتهت وظيفة الجسد.

إن الكون الكبير يُقرأ في الكون الصغير. وإن الكون الصغير إذا استقام على قوانين صحته وقوانين سلامته نما ونما حتى صار كونا كبيرا.

طلب الناس إلى محمد أن يتحدث إليهم عن يسمونه الله متابعين في ذلك من سبقهم من الناس بحشا عن هذا الـ الله. ولكن محمدا جاء الإنسانية بجديد. إن محمدا جاء للإنسانية ليعرف عن عبد الله. ليقوم بين الناس عبدا لله. ليظهر للناس بآلاء الله. ليعرف الناس عن آلاء الله. ليقول للناس إن الله ليس موضع فكر كما أنه ليس موضع طلب. إن في طلبه حرمانه. إنه الموجود. إنه الحياة. إنه الحي القيوم. إنه أنتم. فكيف تطلبون موجودا؟ إن في طلب الموجود المنظور إغماض للعين عن نظره. إن في هذا تجاهل له، ومظاهرة له. فلا تعطوا الله ظهوركم. ولكن أعطوه وجوهكم. أينما تولوا فوجهه. وهو من ورائكم محيط فانقلبوا إليه في أنفسكم. إنه أقرب إليكم من حبل الوريد. إنه معكم أينما كنتم. إنه أنتم فلا تغيبوه معيتكم بالحياة فلا تختانوا أنفسكم.

قالوا: نحن خلقه.. فكيف نكون خلقه ونكونه وهو الخالق؟ قال لهم: (كان الله ولا شيء معه ثم خلق الخلق حقا وهو الآن على ما عليه كان)^٢. إن الخلق فيه لم يزدوه وجودا. ولم يزدوه ظهورا. ولم

يشاركوه وجوداً. ولم يشاركوه ظهوراً. إنه المتجلي بالخلق وهو ما تسمونه أنتم خلق. إنه المتجلي بما أوجد، لا يُعرف لغيره فاثمة غيره، ولكن ليعرف في تجلياته عند تجلياته بمعاني عينه وشهادته، لا تحيطون بشيء من علمه عن نفسه وهو العالم بنفسه إلا بما شاء.

فيا إخواني لا تجاهلوا الحياة في أنفسكم. ولا تغمضوا عيونكم عن جماله، عن وجهه الظاهر لكم، فاشهدوه واعتقدوه الوجود. فإنه لا يظهر لكم مدركا لوعيككم ما لم توحده، فتؤمنوا به فتتواجدوه، إذ يكشف الغطاء عنكم لكم فتشهدوه أنتم، وتشهدوا ما تشهدون عينكم، فتشهدون لا إله إلا الله، لا مشهود ولا مشاهد إلا الله، لا موجود بحق إلا الله. لا تفكروا في ذات الله فأنتم في ذات الله، وأنتم من ذات الله، فكيف تفكرون في موجود بمعنى الغائب فتزدادون بصلاتكم له بعدا عنه!

يا عباد الله! لا تفكروا في ذات الله ولكن تفكروا في آلاء الله وآيات الله. إنه الوجود كله - وكله على ما هو كله - لا على ما أحاطكم به منه أو أحطتم به منه إدراكا أو سلطانا أو تصورا. إن الوجود هو ذات الله. هو الله في ظهوره، وإن الوجود الذي هو الله له صفاته، وله قدراته، وله إمكانياته، وله حكمته، وله تديره، وله فعله، وله شأنه في قوانين طبيعته.

إنكم إن آمنتم به مرتبطين، فتواجدتم به فاعلين، وسرتم فيه أحرارا محررين، طلقاء ممكنين، حفت بكم آلاؤه. وظهرت عليكم نعمائوه. وأفيضت فيكم رحمته. وأشعلت في نار قيامكم جذوته. وأشرقت من احتراق موادكم أنواره. وقامت بكم مظاهره وأسراره.. لأنكم محل آلائه، ومحل جزائه، ومحل رضائه، ومحل وفائه، كما أنكم محل بلائه ومحل ابتلائه ومحل إفائه.

يا أيها الناس! إن الأمر يختلف في علاقتكم بالله في عظمة وجوده، وعلاقتكم بالوجود المتخلق في علاقتكم بالمعبود، وعلاقتكم بالخالق، أو علاقتكم بالحيي، وعلاقتكم بالحي القيوم.. سموه ما شئتم. إن فهمكم عن علاقتكم به من بعد محمد العبد الرسول يجب أن تختلف عن فهمكم عن علاقتكم به من قبل محمد الرسول العبد. إن أمره فيكم من بعده يختلف تمام الاختلاف عن أمره فيكم من قبله. وإن أمر الناس فيه من قبله يختلف تمام الاختلاف عن أمر الناس فيه من بعده.

لقد انقطعت النبوة من بعده، على ما كانت عليه من قبله. (خلفت الله عليكم)^٣. خلفني الله عليكم. إن الله من بعده غير ممتنع عن الصلة بأيكم ما طلبه. لقد كشف لكم به أنه قائم فيكم، على مكث معكم، متكاثرا عبداً له. لن يفارق الأرض بتكاثره، ولن يفارق الأرض بانشغاله.. تعرض عليه أعمالكم كما تعرض على رسوله والمؤمنين، فإن وجد خيرا حمد الله حمد نفسه وحمده الرسول

والمؤمنون، وإن وجد شرا غفره وقد استغفره لكم الرسول والمؤمنون. إن الله يرى عملكم ورسوله والمؤمنون.

إن الأمر قد تغير من بعده. إنه عبده. إنه محل الآله. إنه عبد قديم بقدمه من عباده القدامى بقدمه. إنه عبد باق ببقائه من عباده الباقيين ببقائه. إنه عبد ملتصق به من عباده القائمين به لا يفترقون عنه أبداً. كما أنه لم ينفصل عنهم أبداً. إنه معاني ومغاني العبودية كلها. إنه العبودية فيه، وإنه العبودية له، وإنه العبودية منه، وإنه العبودية هو.

إنه ظهور ربوبيته. إنه ظهور رفيقه الأعلى منه. إنه حقيقة وإنه ظهور حقيقته. إنه حق داني به الحق وغيبه. داني منه الحق ووجهه. داني به الحق ويده. دانانا به الحق وعضده. دانانا منه الحق وعبده. لا تدعونه إلا بعبده، فهو أشرف أسمائه، وأكبر آلائه، وأرقى نفحاته. فإن شئتم فتابعوه إليه عبيداً له.

صدقوني أن العبودية له مشهودا بعبده ورسوله جمال وحياة.

صدقوني أن العبودية له موجودا بعبده ورسوله عز ونجاة.

صدقوني أن العبودية له معروفا بعبده ورسوله فيها الحرية في الكون وفوقه. سبحا في الوجود من وجوده، واغترافا من نعمائه وجوده، والكل برحمة ربه معه في الحياة، فلا تعددوا العبد مع مولاه، ولا تعددوا المولى مع من والاه، ووحدا ونزهوا في أنفسكم وفي الوجود الله.

صدقوني أن المطلوب إنما هو العبودية. أما الحقيقة، أما الله، أما الوجود، أما الخالق، فإنه الموجود في وجودكم. إنه أثبتكم فيكم على قدرات أسمائه. فأنتم ذكره المحدث - ما تذكروا وما تنبهتم، وما الغطاء عن أنفسكم أرحتم - . فلستم الدثار ولكنكم المدثر.

(لا تفكروا في ذات الله ولكن تفكروا في آلاء الله)؛

ماذا يريد فقهاؤنا أن نعرف عن حديث رسول الله لا تفكروا في ذات الله؟ ماذا يريد عقلهم ووعيمهم أن يتابعهم فيه؟ أريدون أن ذات الله لا يصح التجوال في التفكير فيها؟ ما إلى هذا قصد رسول هذه الذات. إنه إذا كان رسولها يقول للناس لا تفكروا فيمن أرسلني، فما هو برسول وقد هدم رسالته. كيف لا يفكر الناس فيمن أرسل إليهم رسولا من أنفسهم، وهو يطلب منهم أن يؤمنوا به، ويكونوا عبادا له، ويقول إنه رآه وسمعته، كما يقول إن ما أعطيه فهو لأمتة؟

ما قال لهم محمد إن الله غيب الوجود دون الوجود! ولكن قال لهم إن الله في ظاهره الوجود، وفي باطنه غيب الوجود في وقت واحد، لا تعرفوه غيبا لا ظاهرا له، ولا تعرفوه ظهورا لا غيب له. وكيف

يكون لكم ذلك بتطور إليه في أنفسكم وأنتم على ما أنتم في جمودكم؟ إن لكم ظاهرا كما أن لكم غيبا من ظاهره وغيبه. إن ظاهركم هذا الذي تظهرون به هو له وبداخلكم غيب هو له، لا يعرف إلا لمن دخل في هذا الغيب بدخوله في نفسه. ما عَرَفَ الطب ظاهر الذات البشرية إلا عن طريق الدخول في هذه الذات بعلوم التشريح، وعلوم وظائف الأعضاء، فدخلوا في مجاهل هذه الذات، وعرفوها ورسموها وصوروها وأدركوها وقدروها وعلموها وعلموها. فإذا هي الكل فيها سواء، لا تختلف ذات عن ذات في داخلها، وإن تعددت الألوان والأشباه، وإن تعددت الأجناس، وإن اختلفت العقول، وإن اختلفت النفوس، وإن اختلفت الصفات. وما زالت مجاهل هذه الذات تتكشف للعلم حتى هذا العصر، وما زالت بعض مجاهلها لم تعرف.

إن الإنسان في مجاهله الداخلية من الذات إنما يحلل غيب هذه الذات عليه من حيث المادة والظاهر، ولكن هناك لهذه الذات غيب آخر من ذات لطيفة ليست في متناول التشريح، لها دائرتها الصفاتية عن إمكانيات هذه الذات، وتأثيرها في وجودها الخارجي المرتبط بهذا الوجود الداخلي، والذي يمتد سلطانه ويرتبط محيطه بمركزه الذاتي حتى نقطة القلب من سويدائه من صميمه وصمامه، فهناك لهذه الذات اللطيفة دائرة غيب آخر بها وعنها. وهذا ميدان آخر للعلم حلله التصوف الإسلامي والتصوف الديني في كل ملة، كل على تصوير في حدود إمكانياته وما تكشف له لا يختلف في جوهره شأن كل علم، وإن اختلفت ألفاظ التعبير عنه.

فالكائن البشري في نظر علوم الفطرة عبد لله بظاهره وباطنه. وهو ذات لظهور الله بعبده بظاهره وباطنه، في ذات الله الأكبر المحيطة به بظاهرها وباطنها علما على الأقدس فالأقدس. هذا الكلام خلاصته ما تضمنه كتاب الحق المحيط مفصحا أو مشيرا، وما تضمنه إجمالا حديث رسول الدوام موضحا أو مشيرا كذلك.

ولكننا في هذا العصر وفي هذا الزمان يقوم بيننا حدث ويقوم فينا أمر، به يتكشف لنا جديد عن هذا العنوان من معنا من معنى الإنسان، ذلك أن يتحدث إلينا الغيب الإنساني، أن يتحدث إلينا السماء مرة أخرى حديثا موجهها وشاملا لعموم الناس، نداءً ظاهرا لجميع الناس، منسوباً بمصدره لأصول الناس، ظاهرا للناس بأجهزة من الناس. وإنها إذ يتحدث مرة أخرى بحديثها القديم لا تتسمى لنا بما تسمت به في قديم، أو بما سميناه نحن به في قديم، أو سماها به آبائنا في حدود وعيهم من قولهم جاء الملاك، أو جاء الروح الأمين، أو جاء الرب، أو جاء الناموس، أو جاء الإله. هذه تعبيرات في الديانات القديمة لم يصبح لها محل بعد الذي جاءت به عوالم الغيب في هذا العصر.

لقد جاءنا محمد بتعاليم واضحة، وبأوامر صريحة - إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - من جاءني مشيا جئتته هرولة، ومن تقدم إلي ذراعا تقدمت إليه باعا - وعلى ذلك من أحب الله خردلة أحبه الله قنطارا. ومن رضي عن الله مثقالا رضي الله عنه ملء السموات والأرض. فما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان، ومن تقرب إلى الله تقرب الله إليه، ومن آمن بنوره فيه ظهر الله به بنوره في الناس، فمن أحب الله أحبه الله وإذا أحبه الله كان له.

فلا تتكلموا بعد الآن عن الآلهة والأرباب والملائكة كما تكلم الآباء. ولكن تكلموا عن الإنسان. تكلموا عن عظمة الإنسان بربه. تكلموا عن الآلاء والإحسان من ربه. تكلموا عن العبودية لربه. تكلموا عن العبودية للرحمن. تكلموا عن الإنسان اسم الله. تكلموا عن الإنسان عنوان الله. تكلموا عن الذكر المحدث من الله فيكم وبكم. أفكلما جاءكم ذكر محدث من الله أسوة وقدوة التويعم على أنفسكم، وظاهرتم وما واجهتم، فريقا كذبتم وفريقا تقتلون! ألم يقل الرسول خلفت الله عليكم، مع عباد الرحمن يمشون بينكم على الأرض هونا لا ينقطع بينكم تواجدهم؟! علمهم من لدنه علما وآتاهم من لدنه رحمة. جعلهم سلاما لا يعرفون الخصام، ولا يجابهون بخاصمة اللثام. إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. إنهم في أمر أنفسهم ومن يلوذ بهم. إنهم في أمر عبوديتهم وأمر القائم على كل نفس بما كسبت. إنهم في أمر ربهم وإخوتهم من عباده. إنهم يبيتون لربهم ركعا وقياما. إنهم يصلون ربهم سجدا عابدين، كما يصلونه عمالا منطلقين، له ذاكرين وفيه أحرار، وبه متحررين ومحررين، على الأرض يسيرون، وعلى الماء يمشون، وفي الهواء يتجولون. لهم عند ربهم ما يشاؤون.

هؤلاء عباد الله. هم ذكر الله المحدث يبرزهم أسوة للناس، وقدوة للناس، وإمامة للناس، وآحادا لحيوات الناس، شمس إشراق، وسرج طريق، وأقمار جمال، ومصابيح نور، وبساتين أراضين، وسفن رحمة. إنهم يد الله المقلدة، ويد الله المظلة، ويد الله المنبسطة، ويد الله المنتشرة، (خلفت الله عليكم)°، لا تفكروا في ذات الله ولكن تفكروا في آلاء الله.

حال الرسول فينا يقول أسألوني فأنا بينكم وفيكم، واطلبوني فأنا المتواجد فيكم يوم تستيقظون، وأنا القائم في نيامكم ونائمكم، وأنا اليقظ في يقظتكم ومستيقظكم، وأنا الحي في حياتكم ومستحيكم. اطلبوني فأنا بالرحمن خبير، وبالمعرفة جدير أبين لكم، أعلمكم، سأخفي بينكم فاطلبوني. ابحثوا عني فإن بحثم عني ستجدوني - هو الذي يراك حين تقوم وتقبلك في الساجدين - إن وليي الله وهو يتولى الصالحين - أخفى الله الأولياء في الخلق عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، لا يستعلون ولا يستكبرون، ولا يبغون علوا في الأرض ولا فسادا.

هذا هو الأمر بعد محمد. فما حاجة الإنسانية من بعده للأنبياء؟ وقد جعل الله في أمته وفي معناه من تكاثره العديد من الأولياء، يتولاهم الله ويعينهم الله، يعرفون الله ويؤمنون به، ويتواجدونه، ويعرفون الله للناس على ما عرفوا فيعرفونه في أنفسهم فيتواجدوه، وعما سواه يتخلون، وفي معناه وحصنه يدخلون، فلا إله إلا الله يقومون، ولا إله إلا الله يدركون، ولا إله إلا الله يستقيمون، ولا إله إلا الله حصنا يدخلون، فالله يشهدون في أنفسهم، والله يشهدون ممن يشهدون الله في أنفسهم، ولا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها.. حتى تطلبوا إلى أهلها أن يطلبوا الله.. حتى تجعلوا الله هو منشود الناس، وهو حقيقة الناس، وهو مطلوب الناس.

هذا ما جاء به محمد. فكيف يبقى الأمر من بعده على ما كان من قبله؟ إن محمدا سر الناس، وإنه كافة الناس. إنه كافة الأمم وفطرة الأمم. إنه عبد الله. وهكذا يكون من كان عبدا لله.

يطلب الناس الله، ولا يطلبون من أنفسهم أمرا أو طلبا، فكيف يحقق الله لهم ما يطلبون؟ وهم من أنفسهم شيئا لا يطلبون؟ إنه مطلوب منهم أن لا يفكروا في أنفسهم بعيدة عن الله، أو مستقلة عنه، أو مشيئة مصارعة لمشيئته. هذا مطلوب منهم وأن يعتقدوه ويستقيموه. فإذا فعلوا كانوه كانت إرادة الله في إرادتهم ومشية الله في مشيئتهم.

هذا ما جاء به محمد فكيف يكون حديث الله من بعد محمد على ما كان عليه من قبل محمد؟ وكيف تكون استقامة الناس من بعد محمد هي عين ما كان يطلب من الناس من قبل محمد؟

إن محمدا فيصل الزمان، وفيصل المكان، وفيصل الناس، وفيصل الحياة. بنفسه فيصل وبأمرته فيصل وبكل ظهور له في الناس فيصل. إنه الشهيد على الشهداء على الناس. فالمشهود منه إنما هم الشهداء على الناس، إنهم هم أرباب حاضر الناس. أما هو فرب الشهداء. أما فيمن يعلوه، أما في الرفاق، أما في الرفيق الأعلى، فإنه عبد الله. إنه عبد الله في عظمته، وإنه رب الأرباب في عبوديته بعظمته عبوديته لله. إنه رب نفسه. أما الشهداء فهم أرباب الناس به ما ملكهم الناس أنفسهم، وما ملكوا الناس في أنفسهم إلا رحمة من الله بهم.

هذا ما جاءنا به محمد، وعرفه في سنته وقوله وحكمته وسياسته، ويعرفه في وجوده دائما ما ظهر بتواجد.

فنسأل الله أن يجعله فينا ويجعلنا فيه، وأن يجعلنا منه ويجعله منا، وأن يحققنا بالحق على ما حققه، وأن يعبدنا فيه على ما عبده، لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، اللهم خذ بيدنا إلى الخير، اللهم لا تكلنا لأنفسنا ولا لغيرك، وعافنا من عدلك وجزائك، وول أمورنا خيارنا ولا تول أمورنا شرارنا، ويرحمك فعاملنا، ومن عدلك فأقلنا، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

أضواء على الطريق

الدعوة إلى المعرفة من المتصل بمثاله من سبق رفيقا أعلى، (أنا أقربكم إلى الله وأخوفكم منه)^٦، وبمثاله من لحاق {ويؤمن للمؤمنين}^٧ هي الدعوة إلى الصراط المستقيم {إن ربي على صراط مستقيم}^٨، {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}^٩. أما الدعوات الانفرادية المنقطعة عن الاتصال السرمدي فهي دعوات لا تمثل الحقيقة ولا توصل بها، مهما كان بها من حقائق عن الكون أو الوجود، فهي مجرد ظواهر كونية للحقيقة في الكون.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من حديث شريف "هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم". أخرجه ابن خزيمة، وابن حبان، باختلاف يسير، والبيهقي في (السنن الصغير). يستخدم السيد رافع والمتصوفة عبارة (أخي جبريل) إشارة إلى جبريل عليه السلام.
- ٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان". المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى. كما أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض".
- ٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤ حديث شريف: "تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله". أخرجه ابن أبي حاتم في ((تفسيره)) والطبراني في ((المعجم الأوسط))، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء))
- ٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٦ إشارة إلى أكثر من حديث شريف منها: "إِنَّ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَنَا." صحيح البخاري. أيضا "... ما بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمُ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٧ سورة التوبة - ٦١
- ٨ سورة هود - ٥٦
- ٩ سورة الأنعام - ١٥٣

(٩)
الغنى بالله
والافتقار إليه
ذبيح كربلاء

حديث الجمعة

٢ ربيع الآخر ١٣٨٠ هـ - ٢٣ سبتمبر ١٩٦٠ م

مرحبا بالشهر المجيد
مرحبا بالوجه الشهيد
مرحبا بالنور الوليد
مرحبا بالحق المعيد
مرحبا بالقريب البعيد
مرحبا بالقديم الجديد
مرحبا بعبد الله
مرحبا بأبي عبد الله
مرحبا بابن عبد الله
مرحبا بالأمرين
مرحبا بالحسنين
مرحبا بالعليين
مرحبا بالمحمدين

مرحبا بالحسين

مرحبا بربيع الثاني. مرحبا بآدم المباني. مرحبا بطلعة المتداني.

مرحبا بآدم القلوب. مرحبا بنور العقول. مرحبا بزكاة النفوس.

مرحبا بالبدء المتين. مرحبا بالعود الأمين. مرحبا بالهمة، مرحبا بالنجدة.

مرحبا بعين ربيع، مرحبا بوجه البديع.

في كل عام تحتفل البلاد أو هذا البلد بمولد جديد الرسول، الحسين بن عليّ من الدوحة الزهراء. يذكرونه أو يتذكرونه على الطريقة التي ارتضوها لأنفسهم، وكيفوا بها أنفسهم. واختاروا بها أمرهم في الله.

(إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا ذُكِرُوا اللَّهَ)¹. وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا نَظَرُوا اللَّهَ. وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا سَمِعُوا سَمِعَ اللَّهَ. وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا قَالُوا قَالَ اللَّهَ. وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا اسْتَمِعُوا اسْتَمَعَ اللَّهَ. وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا قَبَلُوا قَبَلَ اللَّهَ. وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا أَحَبُّوا أَحَبَّ اللَّهَ. وَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا إِذَا ارْتَضَوْا رَضِيَ اللَّهَ. إِنَّ اللَّهَ دَائِمًا وَأَبَدًا مِنْ وَرَاءَ عِبَادِهِ بِإِحَاطَتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مِنْ كَلِمَاتِهِ وَرُوحِهِ.

إِنَّ الْقَرَبَ إِلَى اللَّهِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْقَرَبِ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ. وَإِنَّ الْبَعْدَ عَنِ اللَّهِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْبَعْدِ عَنِ عِبَادِ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَالَّذِي هُوَ كُلُّ شَيْءٍ، كَيْفَ يُمْكِنُ الْإِبْتِعَادُ عَنْهُ؟ وَكَيْفَ يَسْتَطَاعُ إِدْرَاكُ الْقَرَبِ مِنْهُ؟ إِنَّهُ الْبَعِيدُ عَلَى قَرَبِهِ. وَإِنَّهُ الْقَرِيبُ عَلَى بَعْدِهِ. وَإِنَّهُ الْوَاحِدُ عَلَى تَعَدُّدِهِ. وَإِنَّهُ الْمُنَزَّهُ عَنْ وَجْهِهِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ.

أمر الناس فيه إنما هو أمر عباده منهم بينهم، ولهم ومن نوعهم، وعلى صورهم، ومن إنشائهم في حقيقتهم وفي اجتماعهم.

نحتفل بربيع الثاني، ونحن إنما نحتفل بمحمد ثاني، وبحسن ثاني، وبعليّ ثاني، وبآدم ثاني. إن آدم محمد يتكاثر بمعاني آدم في آدميته. وإن إنسان محمد يتكاثر بمعاني الإنسان في إنسانية حقيقته. وإن وجه الحق بمحمد في محمد متكاثر بوجه الحق في الناس، للناس، ومن الناس. {والله من ورائهم محيط}².

الله باق للناس في الناس بالناس بمن هو أبقي الناس وجها له. وكل من عليها فان ويبقى وجه رب الرسول. كلكم عليها، وكلكم فان مبتلع منها، ولكن لا يفنى منكم بل يبقى وجه رب محمد. ومن هو وجه رب محمد؟ إنه محمد، {أنه الحق من ربهم}³. كل من عليها فان إلا محمد. كل من عليها فان إلا من أصبح منكم محمدا. كل من عليها فان إلا أمة محمد. كل من عليها فان إلا أمة كلها محمد.

رفع ذكره، وقوم أمره، وأتم به كلمته، ورضي دينه لأمته وللناس من بعده. وجعله حزبه، وجعله جنده، أمة وسطا لتكون في تعددها وحدة فيه، وفي وحدتها جمعا به أمة قانتة لله، جمعها في محمدها محمدا له، شهداء على الناس بإحاطتهم بالناس وانزواء الأرض لهم على ما انزوت لإمامهم، رسول الله إليهم من أنفسهم بين مفرداتهم وهو الشهيد عليهم في اجتماعهم وجمعهم، يتواجد ويتواجدون حتى انفراط عقدهم.

هذا هو دين محمد. وهذا هو محمد. فمن ارتضى أن يكون محمدا فقد دخل في دين محمد. ومن دخل في دين محمد طلب من ربه - على عمله - أن يبعث فيه محمدا، وأن يثد فيه نفسه في عزلتها بنفسها. ألم يجعل ربه فيه للناس أسوة؟ ألم يجعل ربه هذه الأسوة للناس كافة؟ ألم يجعل له نورا يمشي به في الناس؟ ألم يجعله أمرا لله؟ ألم يجعل الروح من أمر ربه ينفخها في أمته منه فيصيره وقد ألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا؟ ألم يجعل ربه تعاليمه معه - تعاليم الفطرة - جامعة لجوهر كل تعاليم عرفتها البشرية؟ سواء سبقتها فكانت هي لها بعثا أو لحقتها وهي في طريقها للتواجد والظهور، فكانت هي لها أصلا؟ لأن ربه قد جعل منه ومن تعاليمه قضية في الله، وبرزخا وفيصلا وساحة في الزمان وفي العوالم، يلتقي فيها قديم الإنسان بلا بدء، وجديد الإنسان بلا انتهاء. وجعل وصلة الإنسانية القديمة إلى الأزل قائمة به، متصلة بذاته وبأتمته ذاتا له، وبمعناه وبمظهره من ذاته وبمظاهره من تجدداته، إذ جعل صلاتها بحقائقها وملائكتها وخلائقها منصبة عليه، وجعل بعث القديم المتكامل من عوالم الأزل، في طريق التواجد في عوالم الأبد إنما هو من خلال الوسط السرمدى. كما جعل بعث أهل عوالم الأبد، وهم يطلبون معانيهم من عوالم الأزل، إنما يكون من خلال المحمد السرمدى في معارج تعدده لكأله.

فآدم نشأته بلا بدء إنما هو آدم جدته بلا انتهاء، وآدم جدته بلا انتهاء إنما هو آدم بدئه بلا ابتداء. إنه تلاقي نقاط الدائرة الربانية للأقدس.

هذا كلام - وإن بدا غريبا على الآذان - فإنه ليس غريبا على القلوب إذا تفتحت لاستقباله. وهو ليس غريبا على العقول إذا استشرفت لإدراك معناها من الحق فأدركت معناه، كما أنه لا يُجافي مدرك النفوس المتطلعة للتركي المتخلصة من ظلماتها وظلامها، المفتقرة للزيد من النور والنار.

إن محمدا أمة وسطا بين أمم الجنس، وأمرا وسطا بين أولي الأمر من عالم أوامر الله أو أموره، لا يعرف له بدء من سبقه، ويجب أن يدرك أنه ليس له بدء لبدئه ممن لا بدء له، لأن الله لا يوصف بأنه بدء من عدم وهذا المعاني العبد فيه. والله ليس له ظهور مثل ظهوره في الإنسان. والإنسان ليس له ظهور أظهر من ظهوره بالأشياء. والله ظاهر بالإنسان على سرمديته.

وبذلك كان الإنسان في ظهوره بالأشياء هو ظهور الله بالأشياء من قديم بلا بدء وعلى سرمدية. وسيبقى ظهور الإنسان بالأشياء موصوفاً بظهور الله، متجدداً في ظهور الأشياء بجديتها على دوام بلا انتهاء لأن في هذا ظهور الله في الأشياء، والله حقيقة لا يطرأ عليه التغيير. فظهور الأشياء بالإنسان، وظهور الإنسان بربه من قديمه إنما هو ظهور في الحقيقة، وليس ظهوراً للحقيقة، فهي ظاهرة سرمدية ومنزهة عن الخفاء تنزيهاً عن أن يحاط بها.

وبذلك كان الإنسان في معناه للأشياء، وكانت الأشياء بقيامها بمعناه الإنسان أمراً لا يدرك بإحاطة ولا يجب أن يوصف بأن له أول أو له آخر، إذا أدرك الإنسان هذا - وقد يدرك لكم هذا من هذا الحديث، فإن لم تدركوه الآن فإنكم داركوه يوماً - ففي إدراكه أو محاولة إدراكه فقه الدين، وفقه العقيدة، كما أن فيه بدء الحياة لمولد القلب من ذات القلب أما للقلب، لا تلبث أن تكون ابنة له - إذا تعرض القلب للحياة ممن هو عليها قائم من أمر الله، وإذا عرّضت الذات قلبها لأضواء الحق بهدي العقل من مصدرها.

فقلوبكم وإن كانت بيوتاً لله إلا أنها في حاجة إليكم للقيام في وظيفتها. إنها في حاجة لأن تعرضوها لرحمة الله ونعمته لتقوم في وظيفتها بيت اعتكافه. وهذا ما يجعل قلوبكم في حاجة إلى أعمال عقولكم. فأنتم في حاجة إلى العقول الموجودة والماثلة فيكم وبكم. فعقولكم لكم وهي أنتم، ونفوسكم وذواتكم مسخرة لكم وخلقت من أجلكم. وها هي قلوبكم بين جوانحك، تستعد للقيام بمستقبلكم. كل ذلك وحدة كاملة للحياة والوجود هي معنى الإنسان.

(فالإنسان كينونة من إنشاء نفسه بهدي ربه وليس من إنشاء غيره).^٤

الإنسان موجد لنفسه بنفسه، وموجد لقلبه بقلبه، وموجد لعقله بعقله، وموجد لذاته بذاته، وموجد لمعناه بمعناه. مثقال ذرة من عمله ليس غيره.. وما صنعه إلا معناه وصانعه.

إن الأمر المعجم على الناس، إنما هو الناس.

إن الأمر المطلوب معرفته عند الناس، إنما هو الناس. إن الله هو الله في صمدانيته على حاله. وإن الرسول هو الرسول على حقيقته من الصمد من ربه. إنما المطلوب، إنما المنشود.. هو الناس وأمر الناس وفهم الناس عند الناس فهما للناس عن أنفسهم.

إذا لم يكن في المرجع إلى الله ورسوله لك غاية، فلا خير في الرجوع إلى الله ورسوله. وإذا لم يكن لك أمل في أن تقوم بالله ورسوله، وأن تظهر يوماً بالله ورسوله، وأن تتحقق بالله ورسوله، وأن تفعل بالله ورسوله، وأن تنمو بالله ورسوله، وأن تقوم في الله ورسوله، فلا خير من الإيمان بالله ورسوله.

إن السعادة في الصلة بالله ورسوله إنما تقوم في الشعور الداخلي بالافتقار إلى الله ورسوله. والافتقار إلى الله ورسوله لا يقوم إلا في إدراك الغنى عند من اتصل بالله ورسوله، وإدراك الغنى في الله ورسوله لا يقوم إلا في إدراك الافتقار الدائم إلى الله ورسوله من مدرك الغنى بالله ورسوله. فكل غني بالله ورسوله فقير إلى الله ورسوله.

أما وهم الغنى بفتنة الله ورسوله، وبزعم الإيمان بالله ورسوله، ففيه الحرمان من الله ورسوله، وفي الحرمان الضياع والعدم والفقدان.

إن الغنى بدنيا الناس فتنة للناس وابتلاء للناس من الله ورسوله. ولولا رحمته بالذين آمنوا لجعل لمن يكفرون برحمته بيوتا رحبة ذات سقف من فضة، وجعل لها معارج عليها يظهرن بغناء الفتنة، بغناء الوهم، بغناء الخيال في عالم الخيال ومهد الحقيقة. وإن هذه الدنيا من الخيال الزائل بمفرداته الدائم بقيامه وآياته، إنما هي تعبير مجسم، إنما هي كتاب، إنما هي ثمرة أقلام وبعث أقلام، إنما هي ألواح وبعث لألواح، إنما هي محابر وبعث محابر للقدرة فيها فتنة من منابر. وفيها بعث لمظاهر من مقابر. يظهر بها الحي القابر، ويظهر بها الحي القيوم. يظهر بها الحي بآثاره ويظهر بها الميت بأخباره.

إن الناس لا يفتقرون إلى الله، ولا يُوصَفون بمعاني الافتقار إليه، إلا إذا كانت الدنيا وحياة الوهم والخيال ملك يمينهم وطوع إشارتهم، عند أنفسهم لا عند الناس. والافتقار إلى الله عند المدرك للغنى في الافتقار إليه أمر نسبي يقدره المدرك في الزهد عما ملك وإن قل. أما من لم يزهد فيما ملك - قل أو كثر - فإنه لا يعتبر فقيرا إلى الله مهما أنفق - وإن كثر - . فالأمر أمر تقدير الله في تقدير الإنسان لأمر الله فيه.. {أنتم الفقراء إلى الله}° مهما أغناكم - حتى بحقائقه - فأنتم الفقراء إلى الله مهما وهمتم الغنى في حياة وهمكم من الغنى بدنياكم، أو الغنى بحقائقكم.

إن الذي يملك زمام الحياة على حقيقتها إنما هو الذي يملك زمام الموت، والذي يملك زمام الموت هو من لا يهرب الموت. ومن لا يهرب الموت إنما هو من عرف أنه باب الحياة. ولا يعرفه بابا للحياة إلا من ولجه، إلا من اجتازه، ولا يجتازه إلا من مات قبل أن يموت. ولا موت إلا لمن مات قبل أن يموت. وغيره إنما يواصل غطيظه من حياة النيام. وبهذا هدى الرسول بنصحه أن (مُوتُوا قبل أن تموتوا)^٦، وعَرَّفَ أن (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا)^٧. والانتباه أمر يصدر عن المنتبه، ولا يُسمى انتباهًا إلا بصدوره قبل فوات الأوان. ولا يعتبر صادرا قبل فوات الأوان إلا بصدوره قبل انقضاء حياة الكسب، والإثبات والحو، من حياة المنتبه. فإذا قال الرسول في حديث آخر (من مات فقد قامت قيامته)^٨ فهذا أمر لا ينصب على الانتباه، ولكنه ينصب على انقضاء حياة الكسب، وبدء حياة المحاسبة على ما انقضى من حياة المحاسب. والمحاسبة نوع من الحياة مقابل لنوع حياة الكسب

تماماً.. باطن لظاهر وقد يقع فيها الانتباه بالموت أيضاً، أو يقع في معاني التعلق بها ومواصلة الحيات الوهمية في عالم من مخيلة الإنسان، لا من قائم الوجود. فإدراك الحياة الحاضرة من حيات البشرية وهي الحياة الأولى أو حياة البدء، أو ما قبل البدء في الحقيقة، لا يكون ولن يكون إلا بكسب الموت في حال القيام بها، ففي كسبه بدء الحياة منها في حال القيام بها...

فن فارق هذه الحياة، دون بدء بالحياة منها بكسب الموت عنها كان له عود إليها. أو كان العود إليها هو أمنيته إذا مات عن الحياة التالية مستيقظاً فيها...

وهذا الموت المحيي عن حياة إلى حياة يتكرر في حياة الإنسان في الحياة الواحدة في العالمين من عالم الكسب وعالم الحساب.

إن رسول الله وهو الغني بحقائق الله وهو القائم بأمر الله، كشف عن هذا القانون وهو يقول (ها أنا رسول الله بينكم ولا أدري ما يفعل الله بي غدا) ^٩ (أنا أقربكم إلى الله وأخوفكم منه) ^{١٠}، فكيف بنا ونحن الذين نطمع أن ينشئنا الله باستقامة فعلنا فيه وتفويض أمرنا إليه، لنكون شعرات في رسول الله من معاني إنسانه، وهو الأرض الطيبة لحضرة الله بذاته، والوجه المشرق لله بصفاته، ومجلى الله بما أبرز منه من آياته؟!!

ها نحن نحتفل في مولد شهر من شهور، بمولد دهر من دهور، في مولد الروح للحسين. إن أودام الله.. إن أودام القلوب في الحقيقة لا مولد لها، فهي المتولدة في موالد الناس، يعرفونها ما آمنوا بموالدها في أنفسهم. إن مولد الحسين عندك إنما هو مولد القلب منك إذا ما حيا فولد من إناء ذاتك، إذا ما حيت بذكر الله أنفاسك فأحييت أرض الله المعدة لأن ينفخ فيها من روحه.

ها أنت روح من روح الله. ها أنت حي من الحي القيوم. عطر أنفاسك بذكر الله، وازرع كلمة الله في أرض ناسوتك من قلبك أرضاً لله - فيحياً قلبك وهو أرض الله بروح الله وماء الحياة من أنفاسك حية بذكره. احرص على أنفاسك لا تدعها تنطلق خالية من اسمه.. فينشط قلبك.. يحيا قلبك.. يولد قلبك.. يضطرب ويهتز تواجداً بالحياة بين جوانحك فتشعر بروح الحياة وقد نفخت فيه منك، كما تشعر المرأة بالحياة تدب في الجنين في أحشائها حتى يأتيها المخاض فتنشق عنه وتلد فلذة كبدها.. تلد فلذة فؤادها.. تلد قلبها يمشي على الأرض.. فيحملها إلى ذي المعارج.. تضع نفسها ومطيتها تحتها قلباً سرياً، يحملها إلى عرش الحقيقة يحياها الله من حنان أنفاسها بذكره، ومن حنين جسدها بتواجده، بتواجد القلب الذي ينو شيئاً فشيئاً، وتواجد معه وتنو شيئاً فشيئاً.

هذه هي نفسك، هذه هي ذاتك من نفسك مع أرض آدمها من قلبك، أرضا مباركة تحيا وتولد فتتمو وتمو، وتمو معها ذاتك وتمو معها نفسك، ويتمو معها عقلك، وينطلق ويتجدد في انطلاقها في ملكوت الله إرادتك من إرادته، فتكون وليدا بإرادتك في مولد إرادتك، تتواجد بإرادتك من عمل إرادتك على ما أدركت من انشقاق قلبك عن ذاتك، ونفسك عن معنك بجديد لمعنك عن قديم لمعنك. فأنت إرادة الله الوليدة، وأنت إرادة الله الجديدة، وأنت مشيئة الله العتيدة، وأنت أمر الله الجدد، من أمره القديم السرمد ما اتخذ في ذلك من نفسه لنفسه بك صاحبة ولا ولدا.

فإذا كنت جديد اسم الله لقديم اسم الله، بجديدك من قديمك، وكان قديمك يوما جديد اسم الله من قديم اسم الله في معراج لا يتناهى في قدمه، فاعلم أن جديدا منك، يكون بك جديدا لله، تكون أنت له قديمه، في دوام يتجدد بلا انتهاء.. إن عرفت ذلك عنك من الله فقد عرفت الله. منه إرادتك، ومنك ظهور إرادته. منه مشيئتك، ومنك ظهور مشيئته. منه وجودك، ومنك ظهور وجوده، في أمر لا ينتهي معراجيه وتجده إن كنت ذلك، وأنت في يومك كذلك، فأنت عبد الله. وما أنت عبد الله إلا في عبوديتك لقديم الله بك، وقديم الله معك من عبد الله ورفيق أعلى في اتجاه القديم، له وصفه ولك منه وصفه، وفي رفيق أعلى في اتجاه الدوام، له رفيق منك يتواجد لقديم منه به تواجدت.

هذا فقه الدين لمن أراد أن يتفقه في الدين، وهذا فقه العلم لمن أراد أن يفقه في العلم، بعلم ينفع ولا يضر ولا يخلف الخطأ فيه ضررا مع صفاء النية وخلوص الطوية، أما الإعانات له فإثم وكذلك الجراءة عليه مع الجهل.

إن الله معنا. إن الله يجمعنا. إن الله لنا في قديم. إن الله لنا في جديد. إن الله منا ولنا ظهوره كما أنا منه بتواجدنا في وجوده. إن الله إنا كما أنا هو... لا إله غيره، لا تعالي فينا لنا بغيره ولا معبود بحق سواه. نشهده فنشهد أن لا إله إلا الله. ونشهد أن لا إله إلا الله فنشهد إذ نشهدنا. إنه قائم على كل نفس منا. وكل نفس منا إليه تُرد، إلى فتنته أو إلى رحمته، إلى عالم عمائه أو إلى عالم حكيمته.

هكذا الله، وهكذا الناس. استغفروا الله من وجودكم يغفر لكم وجودكم، ويقوم فيكم أمره فتشهدوا أمره فتشهدوا أمره في شهود أمركم، وتشهدوا سره في كشف سركم، وتعلموا جهره في جهر وجودكم.

هذه هي شهادة أن لا إله إلا الله، فاطلبوها لعلكم تدخلوها، وادخلوها لعلكم توجدوها.

اسألوا الله معي أن يرحمنا، واسألوه معنا أن يوجدنا، واسألوه أن ينزل السكينة على قلوبنا، وأن يمنحنا السلم والسلام على أرضنا، وأن يدفع عنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقه، وأن يولي أمورنا

خيارنا ولا يولي أمورنا شرارنا، وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير، علماء ومتعلمين، روادا وغافلين، متصلين ومقطوعين، وأن يعافينا من إقامة عدله، وأن يعاملنا برحمته وعفوه، لا على ما نحن له أهل، بل على ما هو له أهل، وأن يجعل خير أعمالنا فيه خواتيمها، وخير أيامنا فيه - في ماضيها وحاضرها وقابلها - يوم لقائه، وأن يجعلنا فيمن يحب ويرضى، وأن يختم لنا وإياكم بخاتمة السعادة أجمعين، وأن يجزي نبينا وسائر النبيين عنا خيرا، وأن يجزي مرشدنا وسائر المرشدين عنا خيرا، وأن يجزي عنا عباده العاملين وسائر عباده عنا خيرا. إنه بذلك جدير، وهو بدوام فعله له فاعل، وعليهقدير. وإن رحمته لغالبة في قوانين عدله وحضرة وجوده.

أضواء على الطريق

- كل بني امرئ يدعون إلى أبيهم إلا بنو فاطمة فأنا وليهم وأنا أبوهم.^{١١}
- مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك.^{١٢}
- ٣لحمي مني وإن نتنت والعرق مني وإن مال.^{١٣}
- أولادي أولادي إن عملوا خيرا فلاأنفسهم وإن عملوا شرا فالضمان علي.^{١٤}
- خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي.^{١٥}
- أمّا الحسن فإنّ له هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فإنّ له شجاعتي وجودي.^{١٦}
- {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا}^{١٧}.
- {ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا}.^{١٨}

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف: "إن لله عبادا إذا رؤوا ذكر الله." الراوي: الحسن البصري. صحيح ابن ماجه.
- ٢ سورة البروج - ٢٠
- ٣ سورة البقرة - ١٤٤ , سورة البقرة - ٢٦
- ٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥ سورة فاطر - ١٥
- ٦ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتَى". أخرجه البخاري.
- ٧ قول للإمام عليّ كرم الله وجهه. المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتثرة.

- ٨ حديث شريف: "إذا مات أحدكم؛ فقد قامت قيامته؛ فاعبدوا الله كأنكم ترونه، واستغفروه كل ساعة". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال.
- ٩ إشارة إلى الحديث الشريف: "والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يفعل بي ولا بكم." صحيح البخاري.
- ١٠ إشارة إلى أكثر من حديث شريف منها: "إنَّ اتَّقَاكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَنَا." صحيح البخاري. أيضا "... ما بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُم بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً." أخرجه البخاري ومسلم.
- ١١ حديث شريف: "كل بني آدم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم." الراوي: السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. المحدث السيوطي. المصدر: الجامع الصغير. خلاصة المحدث: حسن. كما جاء في شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - المكتبة الشيعية.
- ١٢ حديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرک.
- ١٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٥ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ١٦ من حديث شريف قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، حين أتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بابنها الحسن والحسين عليهما السلام، في شكواه الذي توفي فيه، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك فورثهما شيئا. المصدر: بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ١٧ سورة الشورى - ٢٣
- ١٨ سورة الإنسان - ٨، ٩

(١٠)

عبد الله وإنسانه ما كان الله وما كان بيانه مع الموتي

حديث الجمعة

١٢ رجب ١٣٨٠ هـ - ٣٠ ديسمبر ١٩٦٠ م

وعد ووفاً وتعهّد فأوفى. قال وصدق. وعرف وفعل. جمع قديمه على جديده، وبشر قابله بقديمه في حاضره. حيا ميتا، ومات حيا، وقام خلقا، وبعث حقا. وظهر عبدا وبطن ربا. وتجمع إنسانا، وظهر كتابا وبيانا، وانتشر نورا، ورؤى قبورا. وقام حقا، وتجدد خلقا. وتكلم مرسلا وألهم مرسلا، وشرف عبدا وتواضع ربا.

ظهر عيانا، وما دام إنسانا، فذكر خبرا، وأغفل أثرا، وتوبع مأمورا وخولف أمرا، وما غاب بعد عيانه، وما كان غائبا قبل بيانه.

إنه عبد الله وإنسانه، ما كان الله، وما كان بيانه.

أول العابدين روحا وذاتا ومعنى.. أصل الملائكة والجنة والناس وأصل كل الأجناس.

هذا من عدّدنا أسمائه، ولم نحفظ بيننا أبناءه، سفن نجاه وأبواب خلاص. هذا من عدّدنا أسمائه، وما عدّدنا بيننا ذاته وبناءه، وما جدّدنا فينا عينه وإناءه.. منعناه عنا مواعينه، وحرّمناه علينا عين عيوننا، وأذن آذاننا، وقلب قلوبنا، وجدّد قلوبنا، وروح انطلاقنا، ونور معرفتنا، ودوام حياتنا، وأسوة قيامنا إلى ما نحب، ووسيلة خلاصنا مما نكره.

عبدُ الله ورسوله. عبد الله ورسول عبد الله. عبد الله وظهور عبد الله. آدم الله وابن آدم الله. نور الله ومشكاة نور الله. كون الله وعالم الله. عبد الله ورب عوالم الله. عبد الله ورب عالمي الله. عبد الله ورب العالمين في الله. عبد الله ووجه غيب الله. عبد الله ورسول ذات الله. عبد الله ورسول

الأقدس من ذات الله. عبد الله ورسول ملاً لله. عبد الله وفرد الملاً الأعلى لله. عبد الله ورسول الملاً الأعلى إلى نفسه في ذات الله. عبد الله ورسول الأعظم من الملاً الأعلى كتاباً وعبداً من عباد الله، يعرف الله ويتصفه، ويعرفه الله ويصفه. يرتضي الله ويرتضيه الله.

هذا الذي ذكرناه وما عرفناه، ونسبنا أنفسنا إليه أسوة لنا، وما جددناه، ووهمنا متابعتة وما كناه، واعتقاده وما صرناه، ومعرفته وما تواصينا، وحبه وما في قلوبنا جددناه. والخلافة على دينه وما بقوالنا أظهرناه، وهو المبعوث فينا بنور الله ما آمنه.

إن المعرفة في عبد الله هي معرفة في الله، وهي معرفة لنفس الإنسان من نفس الله، ولذات الإنسان من ذات الوجود لله، ولعقل الإنسان من نور حكمة الله، ولحياة الإنسان من روح الله.

لقد كان لنا ذلك كله في محمد فما حرصناه. ولكن محمداً الذي وهمنا متابعتة وما شرفناه، ما تخلينا عنا أبداً لا بروحه ولا بمعناه، ولا بيننا مبعوثاً غاب يوماً عن مبناه.

ها هو اليوم ينادي الدنيا إلى حوض رحمته. أما في بيئة قومه، فيقوم بحجاب علماً على نفسه باسمه في مبناه، ويظهر بيننا بروحه من بيت معناه. ينادينا صوت الله ونداء الله: أن هلموا.. للحج إلى بيت الله...

يؤذن فينا بالحج إلى بيته بيتاً لله.. إلى معناه معنى في الله. يدعوننا إلى سلامة الاعتقاد في الله، عقيدة نقية موصفاً.. أن هلموا إلى قبلة الله واستقبلوا بيت الله، لعلمكم تتطهرون، خلق الله وعباد الله.. يدعوننا إلى السلم مع الله وإلى السلام مع أنفسنا في الله.

جمع الزمان في قيامنا على تباعده. دركنا إياه بسفور بيننا، بذات لمبناه، وروح لمعناه، يجتمع على ما جمعه الله، ويفرق على ما فرق الله. يتواجد في بيته من كل قلب، باسمه سريعاً لمن ناداه.. عيد غريباً على ما عرفه وأوحاه، وعلى ما بدأه من آدم مبناه وانتهاه إلى إنسان معناه، حقاً وعبداً لله، وعلى ما يجده اليوم فينا أبا سريعاً في نجدته بعين قديمه من عين معناه.

نائم يطوف بغرفته من الكعبة جزيها، حرماً الأرض مسجداً له بروحه طواه، فطهره، وبنفسه فيها زكاه فأقام القواعد إعلالاً عما هداه فأواه، عند من وجده عين معناه في نفسه به مؤمنة فارتضاه. ما أعطيه فلائمه، ولمن دعا منها بدعوته، ولمن قام في ملته فخياً بشريعته، من رآه أمراً قيماً فأقام نفسه في ساحته، وأقام حقه بيقينه في طاعته. نفسه زكاه وما دساها وأخرج من أرضها ماءها ومرعاها، وطورها عالماً فأحيها.

ها هو بيننا رسول الله. ها هو فوقنا رسول الله. ها هو لنا رسول الله. ها هو من بعدنا يبقى رسول الله. حيانا وما حييناه. أحيانا وما أحييناه. تجدد فينا وما تجددناه - إلا من رحم - وقليل من عباد الله من شكر، وقليل من خلق الله من عبد، وقليل ممن عبد من في نفسه عرفه فاتقاه، ومن في معيته عشقه فرآه. والأقل من وحده فكان ذا الجلال والإكرام من وجه معناه. قليل من خلقه من دخل في حصن لا إله إلا الله، وأقل منهم من شهد محمد رسول الله.

عباد الله! اتقوا الله وارحموا أنفسكم في الله. ففيكم رحمة الله، وفيكم نور الله، وفيكم روح الله، وفيكم عالم الله، وفيكم ملكوت الله، وفيكم ناسوت الله.

بكل هذا جاءكم كتاب الله، وبكل هذا جاءكم سنة رسول الله، وفي كل هذا قامت بينكم عترة الله، وعترة رسول الله من عباد الله، فما استقام على المجادة إلا النادر القليل، وما عرف الحوض إلا الفقير العليل، من عرف علته فطلب الطبيب. ومن طلب الطبيب لم يمتنع عليه الدواء، ولم يحرم من الله الشفاء. إن الذي أمرض هو الذي أعفا، وهو الذي أظهر وأخفى، وهو الذي أمات وأحيا، وهو الذي أفنى وأبقى.. وهو الذي جهل وعلم، وهو الذي أنار وأظلم، وهو الذي أوحى وكلم، وهو الذي أضل وهدى، وهو الذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى.

يا أيها الناس:

احرصوا على مبناكم عالم الله، وآمنوا بمعناكم وجود الله، وبعقولكم رسول الله، وبضمايركم حكيما الله، وبأنفسكم مختبر الله، وبزمانكم فرصة الله، وتعرضون فيها لرحمة الله، ولمنة الله، بزمان حجكم عن الله اختبارا فيه ليعلم أيكم أحسن عملا، فيرد إلى إنسان الغيب والشهادة من أبوتكم، ليضع كلا منكم نفسه في موضعه بعد مرجعه، وقد شهد في يقظته ومضجعه، أنامه وأيقظه، أحياء نائما، وأنامه يقظا عاملا.

هذه هي دنياكم. وهذه هي أخراكم. من عرف دنياه أخراه لدنيا قديمه، ومن عرف في أخراه دنياه لمواصلة الحياة، عرف الحياة، وعرف البعث، وعرف الموت، وعرف القيامة، وعرف الندامة، وعرف الساعة، وعرف السلامة، وشهد العقاب، وقام الحساب.

ليس هناك ما هو غائب عن حاضركم فيما أوعدتم وفيما بلغتم ووعدتم.. ظاهرا لباطن.. ظاهرا تقوموه وباطنا تعلموه. اذكروا الله قرين ذكركم أنفسكم. واذكروا أنفسكم قرين ذكركم الله، حتى توحدوا الله وتشهدوه في مرآة قيامكم، مجلاه تؤمنون، ومجلاه تظهرون، ومجلاه ترجعون، إن كنتم حقيقة من المؤمنين وحقيقة من الموحدون. هذا ما جاء به الدين. وهذا ما يأتي به اليقين.

وها نحن اليوم مع من يدعون بالموتى من المؤمنين، نعيش في هذه الدار مغتربين، ونعد أنفسنا من الموتى لنكون من المؤمنين. وها نحن نشهد رسول الله حيا، إذ نحن أموات، ونقدر رسول الله ميتا إذ نحن أحياء. ها نحن مع الناس نشهده من الموتى، وها نحن في موتنا نشهده من الأحياء، بل وحياة الأحياء، ونشهده حقيقة رسول الله الذي لا يموت، وأنه يقينا وجه الله الذي لم يخلق، وأنه مدركا حصن لا إله إلا الله.

ها نحن هنا أول المؤمنين، ونطمع أن نكون به فيه له يوما أول العابدين، يوم يقوم فينا الدين، ويقوم بنا اليقين، إذ نحن ننتسب إليه اليوم كتاب دين، وثؤمن به لنا نور يقين، ونشهده عين الحق المبين، في موت عن الخلق، إلى حيث الحياة وحيث الحق، وحيث لا عبد ولا رب في رب العالمين، ولا خلق ولا خالق في الأحد الصمد، ولا قريب ولا بعيد في الموجود المطلق، ولا كبير ولا صغير في الانهائي السرمذ، ولا تقى ولا سعيد في الرحمن الرحيم.

هذا ما يأتينا به روح رسول الله، وهذا ما يظهر فينا به روح رسول الله، عاملا ما انقطع، جذوة من قدس الله، مشتعلة ما نحدث وما خبت وما قترت، وما عن طالب اختفت، أو على نائم يطوف بالكعبة امتنعت، يبعث يحدث الناس حي في قبره، ما قبر الناس نفوسهم في مقابرهم من أجدائهم، فماتوا عن موتهم في حياته، فانتشر في أرضهم بروحه فانشقت أرضهم عنه بنوره، وجدد بذاتهم ذاته، وأقام في صفاتهم صفاته. وهذا هو معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله مبعوثا في الناس.

اللهم إنا بك في أنفسنا آمنة، وفي إنسانيتنا، وفي وجودنا من وجودك إليك تعارفنا. نشهد أن لا إله إلا أنت حيثما توجهنا، ونجتمع عليك لا إله إلا أنت كلما طلبنا، ونراك لا إله إلا أنت كلما استيقظنا، ومن سباتنا أفاقنا.

اللهم إنا نشهد أنه لا إله إلا أنت من وراء كل نفس محيط في ملئنا، ونشهد أنك فينا أرسلت لنا عبدا رسولا من أنفسنا، عرفناه فعرفناك، وآمناه فآمنناك، وطلبناه فوجدناك.

اللهم إن لك ملاء أعلى، وذاتا أقدس أظهرت وظهرت وعليها بها قت، ولنا إليها ذهابا وعدت، اللهم بها فألحقنا، وإليها فوجهنا، وبها إليك نفخذنا.

اللهم وحدنا في ملئنا، ووحدنا في الملاء الأعلى.

اللهم وجهنا إليك لا نهائيا في عقائدنا، لانهائيا في قلوبنا، لا نهائيا في ضمائرنا، لا نهائيا في نفوسنا، لانهائيا في عقولنا، لا نهائيا في مواجيدنا، لا نهائيا في وجودنا، لا نهائيا في معارجنا.

اللهم إنه لا إله إلا أنت فيك أقمنا وبوحدانيتك قننا. فلا تجعل منا شريكا لك. ولا تجعل منا خصيما لك. في السلم أدخلنا وبالسلم سربلنا وبالسكينة أسعدنا. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

- الله لا إله إلا هو الحي القيوم.
- غفرانك ربنا وإليك المصير.
- أقرب إليكم من حبل الوريد... معكم أين ما كنتم.

(١١)

منك وإليك ما حيت في الله عالمًا به وعالمًا له

حديث الجمعة

٢٦ رجب ١٣٨٠ هـ - ١٣ يناير ١٩٦١ م

منك وإليك يا رسول الله.. نعم.. (منك وإليك يا رسول الله)'.
 أشهد أنه لا إله إلا الله، وأشهد أنه ليس من الله إلا الله. وأشهد أنه لا من رسول الله إلا رسول الله. وأشهد أنه لا إله إلا رسول الله.
 وأشهد أنه لا إله إلا عبد الله. وأنه لا من عبد الله إلا عبد الله.
 هذه هي فطرة الله، وصبغة الله، وقوانين الله في وجود الله، وفي صفات الله.
 محمد حق الله.. وعبد الله.. ورسول الله.

يحتفل المسلمون في مثل هذا اليوم من كل عام بما تعارفوه ليلة الإسراء والمعراج. وهو ما تعارفوا على أنه حدث فيه معجزة لرسول الله. وهي حقيقة معجزة لرسول الله من ربه، ومعجزة من رسول الله عند أمته.. ولكن متى يعجزُ بها رسول الله؟ إنها معجزة من الله لرسول الله أدرك بها آية من آياته الكبرى، وإنها معجزة من رسول الله لمن آمن برسول الله فأمن بالله يرى بها حق نفسه وصدق ربه. إنها معجزة من غيب الله أعجزَ بها رسوله وحقه عبد الله ورسوله، بما أشهده من مكنة حقه ورسوله على عبده ورسوله حتى يستقيم العبد في أمره ويستقيم الرسول في، قوله فيُعرف أمر الرب في أمر النفس شهده في أمر نفسه إن يشأ يخرج ربه للناس رسولاً، يعجزهم في أمر أنفسهم، بما أودع الله به في أمر نفسه، على مثال مما أعجز به في أمر نفسه، من أمر ربه ورسوله.

نعم إن الإسراء والمعراج معجزة من رسول الله لقومه يتذوقونها معه آية كبرى ومعجزة لرسول الله من رب رسول الله لنفسه، ذاقها على يد رسول الله إليه رسوله الله كان بها في قومه خاتم النبيين بدوام العارفين السارين العارجين. إن الذي أسرى بحمد إلي ربه - وهو رسول ربه - علم محمدا كيف يُسري بالناس إلي ربه، كما أسري به إلي ربه. وبذلك كان الإيمان بحمد قرين الإيمان بربه. دعا إلى ربه ليكون ربه هدف الإيمان في قومه. ودعا ربه قومه ليكون محمد هدف الإيمان عند قومه، وقد آمنوا معه بربه ربا لهم.

على هذا قام الإسلام، قام على أحدية الله، وعلى أحدية ربوبيته في نفس عبده مثاليتهم لهم في رسله منهم إلى الناس ومن الناس - رسلا من أنفسهم - كان محمد لهم قيام، ولسبقهم ختام، ولدوامهم إمام، ختم الله به ما قبله، وبدأ الله به ما بعده، فكان آدم في ذاته وآدم في علمه، وآدم في كلمات الله منه، وآدم لكلمات الله إليه. جعل الله منه دورة تمت لآدم، وجعل علمه لنفسه عن دورة آدم، فأقامه إنسانا أسجده للرفيق الأعلى لإنسان سبقه، وأسجد له إنسان لحاقه ذاتا أقدس وروحا أعظم. جعل منه ابنا لآدم في قديم لآدم، وجعل منه آدم في قيام لأبناء لآدم، وجعله قائم وقيوم آدم في ذاته وصفاته، وجعل منه أبا لآدم في ولد آدم، وعده محمود بعثه، ومعاد قيامه من فارض قرآنه يتواجد بإرادته من نافلة قيامه، في صلته بليل وجوده من معنى آدم خلقيته بالناس.

وبذلك كان محمد - وهو آدم في ذاته - مسبقا بآدم ملحقا بآدم. آدم وحدانية الأحد في وحدة آدم يجتمع على وحدة سبقه ويتحد، ويجتمع على وحدة آدم لحاقه ويلحق به فيتحد. قرأ كتابه عن أحدية الله في واحدية قديمه وقيومه مع قائمه وقيامه، وفي واحدية جديده له مع قائمه وقيامه منه، فلم يغيب أحدية الله في قيامه وقيومه في الوجود، أو في قيومه مع قائم نفسه، أو في قائمه مع قيام نفسه.

عرف الساعة، وكان رجلها، إلى ربه منتهاها وإليه في الناس غيبهم وشهيدا على شهدائهم برحمته ترعاها. إذا عرفوه وشهدوه وقاموه وأقاموه كان حقهم اجتماعه. (من رأي فقد رأى حقا) ٢، (إذا كانت القيامة انقطع كل نسب وحسب وسبب وصهر إلا نسي وحسي وسبي وصهري) ٣. إن القيامة في قيامه على النفوس. وإن الساعة في سلامه للنفوس...

فإذا كان رسول الله في مثل هذا اليوم من أيام الله المتعاقبة غير المبدوءة وغير المنتهية قد شهد في الله أمرا. أن أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. قد أسري به على الأرض من مسجد إلى مسجد، من مكان إلى مكان، فكان هذا معنى لرحلته في ذاته من مقام إلى مقام، ومن قيام إلى قيام، ومن صورة إلى صورة، ومن درجة إلى درجة، ومن طور إلى طور، من إنسان إلى إنسان أسري به من الحرم على غيره أسوة مرضية للناس إلى أقصى ما ينال طالب الله في أرضه من رحمته

ومن معرفته.. أسري بقلبه في قلبه زويت له الأرض.. أسراه في قلبه متسعا لما لم تتسع له الأرض.. سرى بقلبه في معناه من قلب إلى قلب.. أسرى أنه في قلبه نفسا طواها من حال إلى حال.

حرم قلبه على غير الله فصار قلبه حرما لله، وليبوت الله.. فما أحب في قيامه ومعناه سواء، وما طلب سواء، وما ركن لسواء، وما ضعف أمام سواء، وما افتقر لسواء، وما اعتز بسواء، وما عمل لسواء، وما تحدث عن سواء، فكان قلبه بيت الله الحرام والحرم على سواء، لا يدخله من الناس من به بقية لسواء، لا يدخله من الناس إلا من كانوا وجوها لله، ولا يطوف به من الناس من يطلبون سواء، ولا تفتح أبوابه لأحد من الناس يطرق بابا سوى أبوابه، أو يلبس جلبابا غير جلبابه. إن قلب محمد هو حضرة الله لمن طلب الله، وهو جنة الله لمن لحقته نعمة الله.

يا أيها النفس المطمئنة، ادخلي في محمد. ادخلي في قلب محمد. ادخلي في عبادي أصفياء مصطفىين بيوتا موضوعة. ادخلي في عبادي مسحاء محمودين بيوتا مرفوعة. يا أيها النفس المجاهدة أقيمي الصلوات، وحافظي على الصلاة الوسطى. اركبي سفن النجاة تأتيك من أرض محمد عبر بحار الله لتحملك إلى أرض النجاة.. إلى أرض محمد.. إلى الأرض الطيبة.. إلى الأرض التي لا يعصى فيها الله، والتي لا يحتجب عنها نور الله، ولا تغرب عنها شمس ذات الله.. إنها المدينة الطيبة. إنها مدينة العلم. إنها مدينة الوجود. إنها مدينة الحياة. إنها مدينة العيون. إنها أرض السر المكنون، وشجرة الزيتون.

عرج رسول الله، عرج رسول رب محمد بمحمد إلى مدينة حق محمد ورب محمد. فعندما دخل مدينته.. عندما دخل جنته.. عندما دخل حقيقته.. عندما تعرض لشمس ذات الله عبداً له ووجهاً له.. عندما رأى بلطف نور الله عظمة نور الله.. عندما رأى بعين الله فيه وجه الله له.. عندما رأى بوجه الله ذات وجوه الله.. عندما قام في حضرة ربه فأنطقه بما نطق، وعلمه بما علم، وأقامه بما قام به، وسرمده بوصفه، وحققه بقديم معناه، وقديم قيامه ومبناه، حقيقة من حقائق الله في الملاء الأعلى لله، من حكماء الله، وأوادم الله، وعباد الله، ووجوه الله، كان بذلك لمحمد الخلد.. ثم عاد محمد إلى وعيه ومعناه من الأرض، عاد إلى وعيه الأرضي قديماً لمحدث فيه، عاد لحسه الأرضي، وذاته الدموي، ووجوده التراي، وقيامه المقيد، عادت نفسه الروح إلى نفسه الأرض.. عاد عقله إلى مجاله الأرض.. وما الأرض فيه إلا ذاتيته نواة لعالم أكبر، بل نواة لعوالم أكبر.. نواة لعالمين هو لهم جماع، وهو لهم سيد، وهم لهم راع، وهو عليهم قائم، وهو لهم رب، وهو العبد المسود من ربه القائم فيه، الفاعل به.

عرف نفسه فعرف ربه. عرف نفسه فعرف ضعفه وجهله وفناءه، وعرف ربه فعرف قدرته، وعرف عزته، وعرف أحديته، وعرف صمديته، فكان فيما عرف من معرفته عنه، إنما هو صادر من نفسه إلى نفسه، وطالب بنفسه لنفسه.. فكان الأمر حقيقة كما قال له رسول ربه وقد عَرَفَهُ بعد إذن بمعرفته، وهو رفيق علمه، ورفيق نشأته، ورفيق وجوده، ورفيق تواجدته في الأقدم والأحدث من وجوده (منك وإليك يا رسول الله)٤.

وها نحن اليوم في طريقه وفي دينه، نجدد إيماننا به ويجدد لنا رسالته وإسلامه فينا، فنشهد ما شاهده رسول ربه من حقيقة أمره، فنقول نعم... منك وإليك يا رسول الله. منك في قديمك، وإليك في قيامك. ومنك في قيامك، وإليك في دوامك، يا رسول الله. منك وإليك البلاغ، والكتاب. ومنك وإليك الحكمة والحجاب. ومنك وإليك، ابنا لآدم. ومنك وإليك آدم، ومنك وإليك أبا لآدم. ومنك وإليك أصلا لآدم. ومنك وإليك فرعا عن آدم. منك وإليك إنسانا ما قبل الإنسان. منك وإليك إنسانا ما بعد الإنسان. منك وإليك إنسانا مشهودا من أنفسنا في القيام. منك وإليك دائما يا رسول الله. ويا عبد الله، ويا حق الله، ويا وجه الله.

منك ما قبل الكون، وإليك إنسان الكون، ومنك إنسان الكون، وإليك ما بعد الكون. نعم منك وإليك دائما يا رسول الله. منك من الوجود لا بداية له، وإليك في الوجود لا نهاية له. ومنك في الوجود لا إحاطة به، وإليك في الوجود لا إحاطة بك.. يا رسول الله!

إن المعرفة في رسول الله، هي المعرفة في الله وعن الله. وإن المعرفة في رسول الله هي المعرفة عن الوجود وموجده، ودوام قديم وجوده. إن المعرفة عن رسول الله هي المعرفة عن قوانين الوجود وقوانين الحياة. إن المعرفة عن رسول الله هي معرفة كل إنسان عن نفسه، واجتماع كل كائن على كينونته، وعقل العقل لمعقوله عن عاقله، وإدراك الذات عن الذات ومن أوجدها، وعن الذات وما تتواجد.. إن المعرفة عن رسول الله هي جماع كتب الله، وجماع أناجيل الله، وجمع قرآن الله، وجماع وجمع خلق الله، وجماع وجمع حقائق الله.

إن المعرفة عن رسول الله هي دين الله، وهي كشف الحجاب عن الحق من الله. والغفلة عن هذه المعرفة هي الحجاب عن حقائق الله.

إن رسول الله هو قرآن الله، وهو كتاب الله، وهو نور الله، وهو شمس ذات الله، جعله دليلا على معناه، وقياما معبرا بجماله، ورحمة لمن رحم منه فهداه. فما كان بوحدانيته إلا إياه. دخلت أمته به في

حصن لا إله إلا الله، بدخولها في حصن محمد رسول الله.. شهدت أن لا إله إلا الله بعقولها، فأشهدها الله أن محمدا رسول الله بحسبها وخلاصها.

إلى متى نبقى في جهل عن رسول الله؟ وإلى متى نبقى بمنأى عن رسول الله؟ وإلى متى نتنع بلفظ رسول الله دون رسول الله، ودون حقيقة رسول الله، ودون قيامنا رسول الله، ودون شهودنا في أنفسنا رسول الله، ودون إدراكنا في قيامنا آدم الله يقومنا ونقومه، ويشهدنا ونشهده، ويتواجدنا ونتواجد، فحيا بالله وباسم الله، وبذكر الله، وعباد الله، وبحقائق الله، وبنور الله، وبرسل الله...؟! إلى متى نبقى بمنأى عن إدراك معاني الحياة، في ساعة الحياة، بأمانة الحياة، بطيب الحياة بالحي الذي يحياها ويحيها، بالقيوم الذي يراها ويسقيها؟!

متی تستیقظ عقلونا؟ ومتی ترجع نفوسنا؟ ومتی تترنم عقلونا؟ ومتی تطیب حیاتنا؟ ومتی ینقطع شقاؤنا؟ وأمر ذلك كله بیدنا؟

ما عرفنا ما جاءنا به محمد، وما قام به بيننا محمد، وما يتكاثر به فينا محمد، وما يقوم به بيننا على دوام محمد، وما يُعْث به فينا على ثواب محمد، وما يتطور إليه فينا على كمال محمد.

هذا هو الدين وهذه هي الحياة. فمتى نرجع للدين فنتقيمه في أنفسنا، ونرجع للحياة فنراها في أنفسنا، فلا نسوف حق الله، ولا نسوف جنان الله، ولا نسوف نار الله، ولا نسوف ساعة الله، ولا نسوف حساب الله، ولا نسوف قيام الله، فنشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدا رسول الله؟ متى نشهد أن لا إله إلا الله؟ متى نشهد أن محمدا رسول الله؟

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله. أستغفر الله وأتوب إليه، وأرجع إليه،
وأستعين به، باسمه مشهودا لاسمه اللهم، محكما في ذكرك اللهم، ظاهرا في وجهك اللهم، مسموعا
بلسانك اللهم.

اللهم اغفر لي واغفر للآدم، وارحمني وارحم اللهم، واقبلني واقبل اللهم - باسمك اللهم - لا إله إلا أنت ولا معبود سواك.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا، وعافنا من إقامة عدلك فينا وعاملنا بعفوك ورحمتك. عافنا مما نحن له أهل، وعاملنا بما أنت له أهل. اللهم أيقظنا حكما ومحكومين، علماء وجاهلين، روادا ومرودين. اللهم ارحمنا برحمتك وقومنا بإرادتك. اللهم سربلنا بسرايل عفوك، وخذ بنواصينا إلى الخير واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقاك.

أضواء على الطريق

إذا أسفر بين الناس آدمٌ لله كان الناس في أدب العلاقة والسلوك أبناءه.
 وإذا أسفر بين الناس كلمة لله كان الناس في أدب العلاقة والسلوك إخوته.
 وإذا أسفر بين الناس وجهٌ لله كان الناس في أدب العلاقة والسلوك وجوهه.
 وإذا أسفر بين الناس عبدٌ لله كان الناس في أدب العلاقة والسلوك رفاقه.
 وإذا قامت صلة للغيب بالناس كان الناس في أدب العقيدة عبيده. فالتسليم يكون لوجهه، والمعرفة تكون عن آدمه، والمحبة تكون لكلمته، والأسوة تكون بعبده، والعقيدة تكون لغيبه.
 وقد جمع الإسلام لإنسانه كل هذه الصفات، فكل ذلك اجتمع للإنسان في معاني رسوله، واجتمع للناس في متابعة رسوله ومحبته.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُ. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٣ حديث شريف: "كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ يَنْقُطُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبِي وَصِهْرِي". رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي". أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)).
- ٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

(١٢)

المقصود وجه الله المقصود رسول الله المقصود روح الله

حديث الجمعة

١٧ شعبان ١٣٨٠ هـ - ٣ فبراير ١٩٦١ م

إليك.. إليك يا من انفردت بالعظمة في ذاتك، وبعدم المشاركة في صفاتك، وبعدم الانقطاع لآياتك.

إليك يا واحد، يا أحد، يا متوحد، يا متحد. إليك في أنفسنا منزلها عن أن لا تكونك.

وإليك علينا منزلها عن أن نكونك.

إليك لا تدرك منزلها عن أن ندركك.

وإليك معروفا منزلها عن أن نجهلك.

وإليك يا من هو كل وجودنا ولسنا إلا وجوها في وجوده.

إليك يا موجود يا من ندرك معاني الفناء لنا في إدراكه، ومعاني العجز لنا في قدرته، ومعاني الرحمة بنا في وصلته، ومعاني الجنة في أنفسنا في لقاءه، ومعاني النار قائمة بنا في جفوته منا وبعده عن حسنا، ومعاني الحساب منه في يقظة ضمائرنا، وصحو عقولنا، وحياة نفوسنا، واستقامة مبائنا، على مراد معانينا.

إليك يا من لا يقصد غيره، ولا يرجى سواه.

إليك ظاهرا لا يغيب سرمده، وإليك باطنا لا يدرك أبده.

إلى عبدك فيك، ورسولك منك، وحقنا به من عظيم حقك.

إلى وجه قدسك، ويد فعلك، وقدم قربك وبعذك.

إلى شرف إنسانيتك، وظهور إنسانك، ولسان بيانك، وكتاب هديك، وقرب عنوانك. من عرفناه محمداً، وذكرناه عبداً، وقدرناه رسولا، وآمناه خلقاً، ونطمع أن نشهده بك حقاً. عطاء منك وفضلاً.

إلي من إذا صدقناه صدقناك، ومن إذا عرفناه عرفناك، ومن إذا قاربناه قاربناك، ومن إذا وجدناه وجدناك، ومن إذا كناه كناك.. إلى عبدك في حضرتك لا ندركه ولا نقدره، إلى رسولك في ضمائرنا نجده، وفي شرائعنا نسترشده، وفي طرائقنا نرتضيه، وعلى نفوسنا نُعليه فيه نمتطيها، وللناس نضعها فنحيها.

إلى من به عرفنا أنفسنا فيك به فينا. إلى من به فيه من أنانية النار تنجينا. وبالجنة له فيه تؤوينا، وبرحمة رحمتك ترتضينا، وبالحق معه فيه تعلينا وتحيينا.

إلى من به عنا وعن دنانا تغنينا، ومن به فيك وجهها لك تبقينا.

إلى من به تميمنا وتحيينا، وترضاه فترضينا، وترضانا فترضيه.

إلى ابن الأمان وآمنة.. إلى ابن السلام وعبد الله.. إلى آمنة الأمومة.. إلى عبد الله الأبوة.. إلى من جعلته علياً في علاك، وجعلته حسناً مرضياً في بديع معناك، ودانته حسينا لمن والاك، وفطمت نفسه عن هواها وكشفتها لنا بمعناها، فكان روح قدسك، وإنسان حقك، وعبد عظمتك، ويد قربك، وقدم سعيك، ووجه جمالك، ومعنى حالك.

إلى مدينة العلم.. إلى مدينة السلام.. إلى نسائم الرحمة.. إلى السلام.. إلى سلام القيام.. إلى المخاطب في الناس بياسين.. إلى المخاطب بالرحمة في العالمين.. إلى المخاطب بقوانين الحياة في ألف لام ميم {الم}.. إلى مرتقى السموات في حامي {حم}.. إلى كتاب الله في كاف ها يا عين صاد {كهيعص}.. إلى المخاطب بعظمتك في ألف لام راء {الر}.. إلى المأذون بالسفور بحقك في طأها {طه}.. إلى من لم يعرفه غير ربه، ولم يشرفه بغير عبده.. إلى بسم الله الرحمن الرحيم.. إلى عبد الله في السموات والأرض.. إلى الطاوي للسموات والأرض بعبوديته لربه.. إلى نور السموات والأرض.. إلى مصباح الصدور.. إلى سراج القلوب.. إلى السكينة.. إلى رسول السكينة.. إلى المنزل للسكينة.. إلى من أنزل بالحق.. إلى من بالحق نزل.. إلى من أبرزه الحق بالحق.. إلى من بالحق للخلق برز.. إلى عبد الله.. إلى رسول الله.. إلى حق الله.. إلى كل الناس.. إلى كل الأجناس.. إلى حاضر الناس.. إلى قديم الناس.. إلى جديد الناس.. إلى من شرف الناس.. إلى من شرف به الناس.. إلى من حقق الناس.. إلى من تحقق به الناس.. إلى من شرف الناس.. إلى من تحقق بالناس.. إلى وجه الناس.. إلى رب الناس.. إلى ملك الناس.. إلى إله الناس.. إلى خادم الناس..

إلى عبد الناس.. إلى روح الناس.. إلى مظهر روح الناس.. إلى محمد.. إلى أحمد.. إلى محمود.. إلى حامد.. إلى حمد الله.. إلى الحمد لله رب العالمين.. إلى الحمد لله مالك يوم الدين.. إلى إياك نعبد وإياك نستعين.. إلى اهدنا الصراط المستقيم.. إلى صراط الذين آمنوا وعملوا الصالحات غير ضالين.. إلى الأسوة والمثال.. إلى القدوة والكمال.

إلى الله ورسوله.. إلى الرب وعبد.. إلى الرسول وإله.. إلى العبد ورب.. إلى الظاهر والباطن.. إلى الباطن والظاهر.. إلى كل شيء... تتوجه ونلجأ مؤمنين مفتقرين.

بهما إليهما تتوجه شاكرين، ونسجد حامدين، وندخل باب الرحمة مطأطين، ونسألهما مفتقرين، ونغني بهما غير مستغنين، لما أنزلوا على هذه الأرض من نسمات السكينة في نسمات السلام، وانقشاع غمة الخصومة، وغمة الصراع في حرب باردة أو ساخنة.. فها هي ريح السلام تهب علينا طيبة عطرة. وها هم خصوم السماء يزحزون عن أماكنهم، ليحل محلهم جنود للسلام وطالبون للسلام...

فنسأله تعالى ببركة رسول السلام، ومدينة السلام، أن يتم نعمة السلام لأهل هذه الدار، من دور الخصاص ودور السلام.

ها هي الرسالة الروحية، وها هو الروح المرشد من دار السلام، من مدينة السلام من حضرة السلام، من لانهائي السلام تنتصر على قوى الخصاص، تنتصر على الملتوين المفرقين بين الناس من اللثام. مكروا مكرا ومكر الله مكرا، وبار مكرهم - وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال - وانتصر مكر الله. والله المكر جميعا.

لقد عملت الدوائر الروحية في سائر بقاع الأرض جاهدة دائبة، لله ذاكرة، وله مسلمة، وبه مؤمنة، وعليه معتمدة، وبه متوكله لتكون بأهلها جندا في معركة السلام، يقودها عالم الروح، لتوحيد عقول البشر على الأرض، وتهيئة توحيد قلوبهم بينهم في أنفسهم، حتى يعرفوه بين جوانحهم، وحتى يعرفوه أقرب إليهم من حبل الوريد، على كل نفس قائم، ومن ورائها محيط، حتى يعرفوا أنفسهم وجوها ناضرة في مرآة ربها ناظرة، أو يعرفوا أنفسهم وجوها عليها غبرة ترهقها قترة.

إن رسالة الروح هي رسالة الله تعريفا عن نفسه وقيامه بنفسه على خلقه، مظاهر نفسه، وعوالم قيامه، وحضرات أنامه، نياما فيه أو قياما به. فإذا استيقظوا أنامه، قاموا قيامه، إذا تناسوا أنامهم، للهو في معانهم، نطق منهم بأناه، وقام بهم بمعناه بعد أن كان قائما عليهم بقيومه، قام بهم بقيامه، فقامهم بمعناه، بفناء أنامهم في نيامهم، وصحو أنامه في قيامهم.

إن السماء تستقبل أبناء الحقيقة باسمه راضية، والأرض تستقبل أبناء الحقيقة ساعية نامية، طيبة راضية. إن أبناء الحقيقة ما هم إلا أودم الخليفة، يتخلون عن بيوتهم رؤوسا لها إلى بيت الحقيقة أطفالا فيها. إنها دورة الحياة بين القديم والجديد، وبين الجديد وما يتجدد منه، بعثا لقديمه في دورة دائرة دائبة ليس لها نقطة بدء. كل بدء فيها هو انتهاء، وكل انتهاء فيها هو ابتداء، مشارق ومغارب، مشرقين ومغربين، مشرق ومغرب. إن المشرق والمغرب يختلفان ويتلونان، ولكن المشرق باطنه مغرب، والمغرب باطنه مشرق. إن الليل والنهار يتعاقبان ويتداخلان، بداية الليل نهاية النهار، وبداية النهار نهاية الليل. إن الله يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل، في وحدة يوم من زمان، وقيام حقي من إنسان.

وإنكم أيها الأيام، فيكم الليل والنهار، فيكم الشروق والغروب، عليكم وعلى أرضكم يقوم المشرق والمغرب. أنتم أيها المشارق والمغارب، أيها العالمون.. أَلربِّ العالمين - في أنفسكم - ألا تَدَّكُّرون؟! وله - وهو معكم - ألا تخضعون! وبه - وهو لكم - ألا تقومون! وله - وهو إياكم - ألا توحّدون! ورسول رحمته لكم ألا تقومون!

إن الله معكم حيثما تكونون. إن الله لكم عرفتم أو لا تعرفون. إن الله هو نور إشراقكم، وهو سكينه ظلامكم، إذا كنتم له لا تجحدون.. أفرأيتم إن أرسل عليكم النهار سرمدا من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؟! لا تظنوا به الظنون إذا نشر الليل عليكم، ونشر الليل بكم، ونشر الليل فيكم، فإن النور بذلك يكمن ويسكن فيكم ليأخذ في الظلام مكانه، وليتعلم فيكم على الظلام حنانه، حتى يذهب في رفق ويقشعه في سلام.. إذا قتلتهم فأحسنوا القتلة، فإذا نشر فيكم نوره فأدرتكم الحقيقة، وفهمتم الطريقة، أشفقتكم على أهل الظلام، وحننتم لأهل الظلام، واحتضنتم بينكم أهل الظلام، لتميتوا الظلام فيهم، وتشرقوا بنوركم في قلوب أهلهم في رفق وإشفاق وحنان. لا تَخَاصِمُوا بينكم ولكن توادوا.. لا تنافروا بينكم ولكن تحابوا.. لا تفرقوا بينكم ولكن توحّدوا واتحدوا.. وإذا خاطبكم الجاهلون فكونوا لهم سلاما.

هذا ما تأتيتكم به السماء اليوم، وقد جاءكم السماء به في الأمس، وهو ما ستكونون به أنتم سماء في الغد، ترعون به عوالمكم وتسهرون به على ما تخلق منكم.

إن الربوبية بالسماء اليوم تعلمكم لتكونوا عباد حاضرهم أرباب غدكم.

إن الروحية من السماء اليوم تهيبكم لتكونوا أنبياء أو أصحابا للأنبياء.

إن الروحية من السماء اليوم تفتح لكم أبواب السموات والأرض بفتحها لكم أبواب أنفسكم.

إن الروحية من السماء اليوم تجمعكم أرضا على سمواتكم وتحبيكم سماء على أراضيكم.

إن الروحية من السماء اليوم جماع الأديان.

إن الروحية من السماء اليوم جماع الإحسان.

إن الروحية من السماء اليوم جماع العوالم والأكوان.

إن الروحية من السماء اليوم تجعل منكم جميعا أعلاما على الله.

إن الروحية من السماء اليوم تجعل منكم جميعا وجوها لله.

إن الروحية من السماء اليوم هي ممن هو من ورائكم محيط.

إن الروحية من السماء اليوم هي ممن هو أقرب إليكم من حبل الوريد.

إن الروحية من السماء اليوم هي ممن هو معكم أينما كنتم.

إن الروحية من السماء اليوم تعرفكم أن الله إنما هو أنتم والله أكبر.

إن الروحية من السماء اليوم إنما هي قيامة الحق في قيامكم.. إنما هي تحقيق الخلق في تحقيقكم.. إنما هي حشر الخلائق في حشركم.. إنما هي تجمع الحقائق في تجمعكم.. إنها البعث.. إنها القيامة.. إنها الساعة.. إنها الحق...

ها هي تنشر ألوية السلام بين الناس، وتستل سخائم الخصام من صدور الناس، ليتنبه الناس أنهم كانوا في خصام أكبر، وأنهم يجب أن لا يكتفوا ويفرحوا بسلام لأبدانهم بل عليهم أن يطلبوا السلام لقلوبهم حيث جنانهم.. ولعقولهم حيث حقائقهم.. ولنفوسهم حيث مغائهم.. لسلامتهم من الفناء.. لسلامتهم من القطيعة.. لسلامتهم من الخيبة.. لسلامتهم من الفاقة... لسلامتهم من العجز في سلامهم مع الله بين جوانحهم.

ها هي الروحية من السماء اليوم توشك أن تنتهي من حربها الصغيرة إلى حربها الكبيرة.. من حروبها المؤقتة إلى حربها السرمدية.. إلى الحرب بين الخلق والخالق.. خلق الخلق من نقطة ليعرفه.. ليعبده.. ليظهره.. ليكونه.. ليجده.. فإذا هو خصيم مبين، ما كتم خصومته، ولكن أشهر سلاحه، وسنّ قلبه، وأظهر وأعلى في الخصومة صوته.. يبين.. يتكلم.. يدافع.. يماري.. يناقض ضميره.. يخاضم نفسه.. يجافي حقيقته.. يكتم قلقه.. يظهر غير ما يبطن.. يظهر إيمانا بما يقول ويبطن شكا فيما يعمل.. يظهر توحيدا ويبطن تعديدا..

هذه هي الحقيقة الخالدة والمعركة الدائمة، يقوم السلام بغلبة أهل السلام، وينشر دين السلام، ويختفي السلام في اختفاء أهل السلام، وغلبة أهل الخصام.. دواليك.. الأيام يداولها بين الناس.

ها نحن الآن نودع ليلاً من خصام، ونستقبل نهارة من سلام طامعين في نشر ألوية السلام على ربوع هذه الأرض، داراً للسلام. سوف ترفع ألوية السلام في مشارقها، وفي مغاربها باسم السلام، وبالعامل للسلام.

ها نحن هنا لم نحرم نصيبنا في المعركة القائمة من معارك السلام، ونسأل الله أن لا نحرم نصيبنا في المعركة القادمة من معارك السلام فندخل في لا إله إلا الله، ونرفع بنود لا إله إلا الله، ونقوم رجلاً واحداً محمداً رسول الله، نظهره الناس، فيقوم الناس من كل الأجناس. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم قنا شرور أنفسنا، وشرور الأشرار من خلقك. اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا. اللهم أنزل على قلوبنا سكينتك، وعلى أرضنا سلامك ورحمتك.. اللهم قومنا بكرمك وجودك، وعافنا من إقامة عدلك. اللهم عاملنا بما أنت له أهل، وعافنا مما نحن له أهل... اللهم أعل كلمة الحق والدين، وانشر لواء السلام والإسلام واليقين، واجعلنا جميعاً من المسلمين. اللهم اغفر لنا، وتب علينا وارحمنا، وول أمورنا خيارنا ولا تول أمورنا شرارنا. وأصلح شأننا حكماً ومحكوماً، رواداً ومرودين، أئمة ومؤتمين، علماء ومتعلمين، متابعين ومجاهدين، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقاك.

أضواء على الطريق

دعا الرسول سائر العوالم إلى ربه معلوماً عنده وعلماً عليه، وظهر بينهم لهم من أنفسهم بما هم عليه، فعرفته البشرية بشراً، وعرفه منها أهل القلوب قلباً، وعرفه أهل القوالب والجلود قلباً وجلداً، كما عرفه أهل النفوس نفساً، وأهل العقول عقلاً. وأدركه أهل الأرواح روحاً، كما قدره أهل الأشباح شبهاً.

أما الأكوان فقد رآته كونا، كما رآه الوجود وجوداً، كما عرف الربانيون فيه ربا، واجتمع الآلهون به آلهاً، كما اجتمع العبيد فيه عبداً، واجتمع الأوامد عليه آدماء لهم، والملائكة عليه ملوكاً عليهم.

إنه المرأة الصافية التي رأت وترى الكائنات فيها وجودها على ما هي عليه. أما هو فهو على ما هو عليه ما عرف غير ربه، ولم يعرف هو عنه إلا بما رآه فؤاده وبصيرته مما أحاط به من علم عن الله بإذنه، في نفسه، وفي حسه، وفي قيامه، وفي روحه، وفي عقله، وبقي هو مجهولاً على نفسه.

مصادر التوثيق والتحقيق

١	سورة البقرة - ١
٢	سورة غافر - ١
٣	سورة مريم - ١
٤	سورة يوسف - ١
٥	سورة طه - ١

(١٣)

الإسلام لله في الإسلام لرسول الله

حديث الجمعة

١٥ رمضان ١٣٨٠ هـ - ٢ مارس ١٩٦١ م

اللهم إنا أسلمنا لمحمد، فلك أسلمنا، وآمنا بمحمد، فبك آمنا، واتصلنا بمحمد، فبك اتصلنا، وإليك وصلنا..

اللهم إنا عنه عرفنا، فقرآئك قرأنا، وكتبنا بأيدينا أخذنا.

اللهم عنه لا تقطعنا. اللهم منه فزدنا، والسكينة على قلوبنا منه أنزلها، وصلاتك وملائكتك علينا منه أوصلها.. لا إله غيرك ولا عبد ولا معبود سواك. لا عبد لك إلا من كان كلمة منك، وروحا من روحك، وقياما من أمرك..

اللهم لك فعبدنا، وإياه فاجعلنا، وفيه فامحنا عنا..

اللهم اجعل منه بدءنا وإليه انتهاءنا.. فهو كل شيء لنا وهو بك ومنك كل شيء لك عندنا. انتهى القديم إليه اجتماعا، وقام بك في الحاضر انطبعا، وبعث به في المستقبل أمة وأتباعا.. إليه انتهى قديم أمرك، ومنه بدأ جديد أمرك، وبه قام قائم أمرك.. عبدا لك هو طلعتك، وعبدا لك هو حضرتك، وعبدا لك هو حقك، وعبدا لك هو خلقك...

اتجه إليه الماضي مستقبلا قبلته فكان له مستقبلا للحق به، ويتجه إليه المستقبل بمحدثه يستقبل قبلته فكان له ماضيا في الحق بك، ويقوم الحاضر به مستقبلا فيه قبلته. به تمت نعمتك على خلقك، وبه ظهر قديم حقك، لحاضر خلقك، وقامت البشرية لحاضر خلقك أنهم مستقبل حقك لنفوسهم من خلقك.

كانت به القيامة في قيامه، وكانت به الساعة في لقائه وسلامه، وكان حسن الخلق في متابته، كما كانت الحقيقة في الإيمان به. كان بك جماع الأشياء، كما كان جماع الأمور، كما كان وحدانية الأمر

من أمرك.. تابعناه فسرناه في سبيلك، وأحببناه فوردنا موارد حبك، واستضأنا بطلعته فامتلاأنا من نورك، مشرقاً بك جماع أنوارك. شهدنا به أنه لا إله إلا أنت وشهدنا بك أنه عبدك ورسولك.

ها نحن في مواسم الخير من شهر أمته، فأكل علينا نعمتك، ولا تحرمنا من إشراق طلعه، تحيي به قلوبنا، وتضيء به عقولنا، وتزكي به أنفسنا، ونتم به الصلاة لك، ونقيم به الصلاة منك، ويقوم به الصلاة منا منه لك، صلاتك وصلاته، فنقومه ونشهدك ونقومك ونشهده.

به عرفنا أنه لا إله إلا أنت، ولا موجود بحق سواك. به عرفنا أن الكون بنا فيك فان، وبه بك باق، وأن طلعتك علينا لا تفارق. به عرفنا أنك اللطيف، تلحق الأبصار فتدرك الأبصار طلعتك، وتشهد حقك، الجنة لها في جمالك، والحضرة لها في وحدانيتك، ما شهدتك واحدا لا شريك لك من نفس، ولا شريك لك من أمر، ولا شريك لك من قيام، ولا شريك لك من ذات، ولا شريك لك من وعي، ولا شريك لك من تدبير.

أنت القيام، وبك القيام، وإليك القيام، كما كان منك القيام. فلا إليك إلا من كان منك، وما كان منك إلا ما هو كائن بك.. لا إله غيرك.. لا مرتقى لمرتق فيك إلا بقائم بوحدانيتك، ولا إيمان بوحدانيتك مع قيام الشرك بك، ولا قيامة لشرك بك ما آمن الكائن أن كينونته ليست إلا من كينونتك. تتسع كينونتك لكل كينونة، ولا تتسع كينونة في السموات والأرض لعظمة كينونتك. فلا إليك.. لا إلى غيبك إلا حاضرك، ولا حاضر لك إلا ما جاء من غيبك.. لا إله غيرك ولا موجود سواك.

علمنا محمد عبدك ورسولك أنك على كل نفس قائم، وحذرنا فيما نكسب وفيما نكتسب، وأمرنا أن تكون كسبنا، وأن يكون فيك اكتسابنا، لا نلتفت لغيرك، ولا نعبد سواك، ولا نقوم مع شريك، أو وهم شريك لك، مشركين في الأمر بك.. أنت أمرنا، وأنت قيامنا، وأنت حسبنا، وأنت وحدانيتنا، وأنت واحدنا، وأنت أحدنا، وأنت أنا، وأنت معاننا.. أوجدتنا وتجلت بنا بجودك وكرمك.. وحجبتنا عنا منك بحكمتك ورحمتك لتجعل منا عبادا لك، خلفاء في عوالمهم عنك على أنفسهم من نفسك، يشهدونك في شهود أنفسهم لا شريك لك، ويعرفونك في معرفة أنفسهم لا إحاطة بك، ويقومونك في سلام أنفسهم عبادا لك، لا إله غيرك ولا موجود سواك.

إننا لا نطلب لنا فيك إلا أن نكون بك. أنت حسبنا وأنت وكيلنا - ونعم الوكيل - . وأنت حسبنا - ونعم الرب ونعم الحسب - لا يدين أبدا.. ما يرسل بالآيات إلا تخويفا.. ليس له إرادة بعذاب،

وليست عنده إرادة في عقاب، غفر قبل المعصية فلا رغبة في حساب، ترك لنا حساب أنفسنا فكان هذا حسابنا، وجعل في يقظة الضمير عذابنا، وجعل في تداركنا برحمته عزاءنا.

اللهم من وهم الحساب فعاونا، ومن وهم العتاب فأشفنا، وعن خيالات النعمة فأبعدنا، واجعل نعمتنا في كشف القناع عنا، لنشهد بلطفك وجه لطفك.

اللهم فاغفر لنا ولكل مسيء، فكلنا عبادك، وارحمنا مخطئين فنحن أهل لأخطائنا، وأنت أهل لرحمتك بنا، وأهل لعفوك ومغفرتك لنا.. اللهم عافنا مما فعل السفهاء منا، واغفر لآبائنا عما فعلوا، وعما صنعوا، وعما خلفوا لأنفسهم فينا.

اللهم أورثنا خيرهم ولا تورثنا غفلتهم وشروورهم. اللهم ارحمنا بمن رحمت، وأكرمنا بمن أكرمت، وأوصلنا بمن وصلت، ولا تجعل لنا طلبا إلا في رحمة منك، ولا تجعل لنا نظرا إلا لعظمتك وسعتك وجودك وكرمك. والفت اللهم أنظارنا عن أعمالنا إن حسنت، واكشف القناع لنا عن أعمالنا إن ساءت وفسدت، ولا تئسنا من رحمتك إن كشفت إساءتنا لنا، ولا تطغي أنفسنا إن تكشفت علينا نعمتك لنا. اللهم قوم ميزاننا، وثبت في الطريق خطونا، وأنر بنورك عقولنا، وزكي بفضلك نفوسنا، وقوم بحكمتك جوارحنا، ويسر بفضلك سبيلنا.. اللهم اجعل قلوبنا على قلبه، قلبا واحدا منك، وقلبا واحدا لك.. اللهم جدد قلوبنا بقلبه قلبا واحدا له، وقياما واحدا علينا، وقيوما واحدا به، وقياما واحدا لنا.

اللهم اجعل من محمد دوامنا، ومن محمد بدءنا، ومن محمد انتهاءنا لك عبوديتنا. اللهم اجعل منا له بدءا فيه، وخلقنا منك، واجعل منه لنا انتهاء إليك بحق له إلى حق لك. اللهم ابدأنا منه خلقا لك، وانها إلى حق لك. اللهم اجعله واقع الحياة لنا في أنفسنا، وفيما يحيط بنا، ولا تجعل معه غيرة عنه تحجبنا، وعن طريقه تمنعنا، ومنك تقطعنا.

اللهم صلّ عليه منا، وصلّ علينا منه، صلاة منه بها تحيينا، وصلاة منا بها تشهدنا.

اللهم به فارحمنا، وبه فأوصلنا، ومنه وصلنا. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم وفق حكامنا وولّ أمورنا خيارنا ولا تولّ أمورنا شرارنا بما كسبنا، واغفر لنا وارحمنا وخذ بيدنا وعلى أنفسنا فانصرنا ولاقنا كما تحب وترضى، واجعل خير أعمالنا خواتيمها واجعل خير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

- {قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان}¹.
- {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}².
- {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}³.
- {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته}⁴.
- {ومن يضل الله فلن تجد له وليا مرشدا}⁵.
- {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}⁶.
- {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى}⁷.
- {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا}⁸.

مصادر التوثيق والتحقيق

سورة الحجرات - ١٧	١
سورة الأحزاب - ٦	٢
سورة الحجرات - ١٤	٣
سورة الحديد - ٢٨	٤
سورة الكهف - ١٧	٥
سورة الأنبياء - ١٠٧	٦
سورة طه - ١٣٢	٧
سورة الكهف - ٢٨	٨

(١٤)

ظاهر الله وغيب الله في لا إله إلا الله

حديث الجمعة

٢٣ رمضان ١٣٨٠ هـ - ١٠ مارس ١٩٦١ م

أوجهان.. أأمران.. أربان.. إلهان.. أحقان...!؟

لا إله إلا الله. هو الله الحي القيوم. لا يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء. استوى إنسانه على عرشه في غيب لا يدرك، واتسع بكرسيه للسموات والأرض في ظاهر أمر يدرك.

ما وحد موحد إلا والاثنيانية صفة قيامه. وما أوجد موجد وجودا إلا والأحادية صفة قيومه.

إن الرسالة التي جاء بها رسل الله، ما جاء بها هؤلاء الرسل ليُعلموا عن وجود الله في نفسه أو ذاته أو غيبه، ولكن ليُعلموا عن وجود الله في خلقه.

كان الخالق في أحديته، وفيها أوجد الخلق فظهر بصفاته وأول تعدداته بتجلياته وتكنزاته، باثنييته من خالق ومخلوق.. هما في حقيقة واحدة لله تجمعهما، فتغيب الخالق من ظاهر هذه الحقيقة، وتظاهر بالخلق - علما عليه - من هذه الحقيقة. وهذه الحقيقة تجعل من ظاهر الخلق ظاهرا لها، ومن غيب الخلق غيبا لها. وبذلك كان ظاهر الخلق هو ظاهر الله، وغيب الخلق هو غيب الله. وكان الله جامعا للظاهر من أمره، وللغيب من أمره من حقيقة الخلق والخالق. إن الله في غيب وظهور بحال سرمدي، خلق فسوى. وفيه العظيم والأعظم لهما سوى.

إذا شهدنا شهدنا أنه لا إله إلا الله في ظل هذا الإدراك، وفي ظل هذا البيان، وفي ظل هذا الاعتقاد استقامت شهادة أن لا إله إلا الله في أنفسنا، ومن حولنا، وفي قيامنا، فكا لا إله إلا الله بقيامنا، ولا إله إلا الله في بطوننا، ولا إله إلا الله مع ما حولنا، فكانت لا إله إلا الله حصننا، وحياتنا، وغذاءنا، وحمائتنا، وقدرتنا، وقوتنا، وطريقنا، وحاضرنا، ومستقبلنا، وماضينا.

ها نحن في هذه الجماعة نحاول أن نعلم أنه لا إله إلا الله، ونحاول أن نشهد أنه لا إله إلا الله.. مستميتين في محاولتنا.. يعمل بنا رب الفلق، كما يعمل معنا الله أحد.. كما يعلمنا الواحد الصمد في دائرة لا إله إلا الله.

ها هي السنون تمضي بنا، والوقت يقطعنا ونقطعه، ونمضي به كما مضى بنا، ونحن في محاولتنا على الدرج الأول من معراج لا إله إلا الله.

ها نحن نستعين بالله قيوما حيا في حياتنا، وفي قيامنا، وفي عقائدنا، وفي آمالنا، وفي رجائنا، وفي توكلنا، وفي اكتفائنا، وفي حسبنا، مؤمنين برسوله قريبا في قرب، ظاهرا في ظهوره، بعيدا في بعده، متعاليا بتعاليه.. إنه عبد ربه.. إنه عبد الله.. إنه عبد إنسانه.. إنه إنسان رحمانه.

وها نحن نحاول أيضا أن نعلم أن محمدا رسول الله، حتى تنهيا لنا الأسباب فنشهد أن محمدا رسول الله، فيتسع أمامنا الرجاء - وقد يصادفنا العطاء - فترانا محمدا رسول الله، فنقوم محمدا رسول الله، فنعلم محمدا رسول الله، فنشهد ويشهد محمدا رسول الله، في أنفسنا وعلى أنفسنا ومن حولنا. حسبنا هو ونعم الوكيل.. ففي هذا حسب الله والتوكل على الله.

إذا حاولنا العلم عن لا إله إلا الله، وحاولنا مشاهدة أن لا إله إلا الله، وانتقل بنا ذلك إلى العلم بأن محمدا رسول الله، وشهدنا بذلك أن محمدا رسول الله فقد أقننا الركن الأول من أركان الإسلام.

وها قد مرت بنا الأيام، وأوشك العمر أن ينقضي، في نظرة للزمان تطول أو في لحظة من الزمان تعلم.. ونحن - كما قلت - نحاول أن نعلم ونشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فتسير بنا الأقدام خطوات، وتكبو بنا الأقدام مرات، ونصعد السلم في ثقل وبطء درجات، وأمامنا الطريق منظور، والأمر معلوم، والسلم مشهود.. ولكن أين لنا الطاقة وأين لنا المهمة على هذا التصاعد.. على هذا المرتقى؟ وقد حُفَّت الجنة بالمكاره، وأحاطت بنا النار بالشهوات. غريب أمر الدين علينا، مجهول أمر الدين لنا، يحول بيننا دونه وهم العلم به، وخيال الوصول إليه بلفظ يلوكه الفم ولا يقوم به القلب ناطقا أو قارئاً أو كاتباً. لا إله إلا الله محمد رسول الله.. ألفاظ يتحرك بها اللسان، ولا يتحرك بها الجنان، ولا يقوم بها الوجدان، ولا يتعشق لها القلب، ولا يخشى في أمرها له معلوم رب!

أين هو دين القيمة؟ أين هم القيمة؟ أين هم المجاهدون في الله؟ أين هم الظاهرون بالله؟ أين الذين هم ذكر الله؟ أين هم القائمون على النفوس بما كسبت؟ أين عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا، وينشرون بخلقهم في الناس السلام، بالمسألة في هذا القيام؟ أين تبادل الوعي؟ أين التواصي بالحق؟ أين التواصي بالصبر؟ أين المجاهدة في الله؟ أين التعاون على طريقه؟ أين الدليل؟ أين السبيل؟ أين

التكاتف في البحث عنه في عباده بين عباده ممن تولى الله أمرهم، وممن قَوَّم الله ذكركم، وممن أنار الله قلوبهم، وممن أنطق الله ألسنتهم، وممن حقق الله عقولهم، وممن زكى الله أنفسهم، وممن قوم الله جوارحهم، وممن جعلهم لبنات بناء بيته تتوحد فيرتفع إلى عنان السماء.. بيت قبلته للناس، وساحة رحمته للناس، ومدينة معرفته للناس، وشمس إشراقه في الناس، من الناس لبناته وللناس آياته وصفاته؟

إن الناس يؤدّون منسكا في ضجيج من حجيج، أو منسكا من اصطفاف لصلاة مستقبلين بيت الله، وما استقبلوا الله بيتا، ولكن استقبلوا ظلام أنفسهم، يرتد إليهم بجهلهم فما يزدادون بإتيان مناسكهم من الله إلا بعدا. فما وضع المنسك إلا على أسس تقبلها العقول، وعلى أمور يقوم بها حاضر القيام من الناس، في حقائق يكشف عنها العلم، ويبينها العلم، ويقربها للإدراك العلم، ويكشفها للعقل العلم، مصدره العليم الخبير، يؤتي بيانه، ويحقق إنسانه، ويجمع شتات بنيانه في لبنات من الناس يسعون إليه طالبيه في أنفسهم، يتجمعون على ذكره متواصين، يقلب منهم القلوب، ويغفر لهم ما سبق وما بقي من الذنوب، ويستتر عن غيرهم ما تبقى فيهم من العيوب.. يكشفها لهم في ستر بينه وبينهم، يواسيهم على عيوبهم بوصفها بالحسنات لأنه ما خلق الكمال إلا من كائن معيب، فكانت الكينونة المعيبة هي الأصل للكينونة الكاملة القريبة - {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله. إن الله يغفر الذنوب جميعا}¹، {ما يفعل الله بعذابكم}² ما يرسل الله بآياته من العذاب إلا تخويفا.

إن الله لا يبرز آية إلا لمن تجاهل نفسه لله في الله آية. إن آية الله لك إنما هي عين وجودك، وعين قيامك، وعين شهودك، وعين مشهودك. إن آية الله للمؤمن، إنما هي قيامه، مؤمنا بالله طائعا لله، أو عاصيا لأمر في الله.

إن الله في حقيقة الأمر لا يعصى من عاصٍ، ولا يطاع من طائع إلا بأمره، ولكن الله في حقيقة أمره إنما يقوم بأمره في قائم به. وما جاءت الأديان في كل زمان وفي كل أرض ومن أي إنسان إلا لتكشف هذا وتُعلِّه وتُشق للناس إليه طريقهم.. أن يقوموا الله معتقدين، فيقومهم الله مكرمين.. أن يقوموا الله مسلمين، فيقومهم الله مؤمنين.. أن يقوموا الله طالبين فيقومهم الله متيقنين. وهذا ما يدعونه لأنفسهم باسم الأديان بزعم الموحدين.

إن الناس في قيامهم بالله، وحياتهم بالله، ومناسكهم بالله، وبعدهم بالله، وقربهم بالله، ما قربوا في قربهم إلا إلى أمرهم في أنفسهم، وما بعدوا في بعدهم إلا في بعدهم عن إدراك الله في أنفسهم، وما استقام أمرهم وانتظم عقدهم إلا في قيامهم قيام الله بوحدانيته، وما انفرط عقدهم وخبا أمرهم إلا

في جهلهم لقيامهم قياماً لله. ما وحدوا الله إلا بإدراكهم وحدانية الله في وحدانية أمرهم أمراً لله.. وما قطعوا أنفسهم عن الله إلا في عزل أمرهم وقيامهم وشأنهم عن أن يكون لله {قل ما عند الله خير...}³، {قل كل من عند الله}⁴، {ولو شاء ربك ما فعلوه...}⁵، {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم. والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}⁶، أولئك.. {الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}⁷، أولئك صلى عليهم النبي فكانت صلاته سكناً لهم، واستغفر لهم النبي فكانت المغفرة نصيباً لهم، أولئك نفوس دخلت في عبد الله مطمئنة راضية، فكانته في رضائه وزادها من طمأنينته. انتشرت فيه لأنها منه فكانت طليقة في السموات والأرض، وما فوق السموات وما تحت الثرى، لأنه عبد الله الذي اتسع لما لم تتسع له السموات والأرض، فكان وطناً للنفوس المطمئنة تحيا فيه، وكان مدينة للعقول المنيرة، والنفوس المشتعلة، والرقاب العتيقة من الرق للألفاظ والمعاني، المتحررة من قيود الصور والمباني، فكان الرسول لها القلب والقلب، وكان الرسول لها العقل والعقل، وكان الرسول لها القيام والقائم، انطلقت فيه وانطلقت به، فكان ويكلها على نفسها وراعيها من شروها.. وكان أمر الله لها وأمر الله عليها وأمر الله بها..

هذه هي الحقيقة.. هذا هو الإسلام.. هذا هو الإيمان.. هذا هو اليقين.. قلوب متراسة وعقول متوحدة ونفوس متألفة.. لا فلق.. ولا فرقة.. ولا انقسام.. ولا قطيعة.. ولكن ألفة ومحبة ووحدة وحياة وقيام.

هل نرى.. هل نرى من يصح أن نشير إليه بأنه المسلم؟ هل نرى من يصح أن نشير إليه بأن إليه يُسلم المسلم؟ هل نرى من يصح أن نشير إليه بأنه المجاهد؟ هل نرى من يصح أن نشير إليه بأنه متابع لمجاهد فتابعه، ونؤاخيّه، ونعرف المجاهد (المرء على دين خليله، فلينظر أيكم من يخال)⁸؟ هل تتفقه في ذلك؟ هل تدور أحاديث الفقه بيننا حول التفقه إلى ذلك، والتعريف عن ذلك، والإرشاد إلى ذلك والقيام بذلك؟

ها نحن في شهر مبارك من شهور العام، تؤدي فيه منسك الصيام.. فهل صمنا عن الظلام نتغذاه في نهارنا وفي ليلنا باسم الصيام؟ لا نعرف معنى لا إله إلا الله، ولا نعرف معنى لمحمد رسول الله، وهو الذي أُرشدنا إلى هذا المنسك.. فهل صمنا عن غيرهما وطعمنا من موائدهما؟ إن الله ورسوله معنا.. إن الحياة تجمعنا.. إنه الحي في حياتنا.. إنه القيوم في قيامنا بالحياة.. أدركنا الحياة أو غفلنا عن الحياة.

إن كل ما يعيننا في حياتنا من كل مظاهر الحياة، إنما يدور على هذه الشهادة التي نصفها بشهادتين، وهي شهادة واحدة، أن نشهد أن لا إله إلا الله، فنعلم من الله أن محمداً هو ذكر الله، وأنه الحق من

الله، وأنه نور السموات والأرض، من نور الله، وأنه القيوم بقيام الله فيمن يقومه، وأنه القائم بيننا مثلاً ومعنى لقائم الله على أنفسنا في الإنسان، وأنه معنا من الله إذا كان الله قد عنانا فعيناه، وآمنا به أوجدنا فطلبناه، ففي وجودنا وجدناه.

كيف نقول من وراء الكل محيط وننسى أنه من وراء محمد محيط؟ كيف نقول إنه على كل نفس قائم، ولا نؤمن به قيوماً قائماً في قائم محمد؟ إنه بعثه من خلقه أماتها - وهو الميت فيه والكل فيه موتي - بعثه بالحق فكان مجيئه الحق، وظهوره ظهور الحق.. يجيء الحق للجميع على ما جاء لهذا الإنسان الجامع.. يجيء الحق لكل من اجتمع عليه، لكل من دخل فيه، لكل من كانه، لكل من طاف حول بيته، لكل من لبى نداءه فحج.. لكل من رجع إليه عبد أولية تجتمع عليه العباد، وتتابعه على ما كان العباد لتكونه، وتبعته بالحق حتى يكون الله، وحتى يشهد أن لا إله إلا الله...

بُعْثْ معلما، وقام مكلما، وواصل في الله متعلما، وقام في الله مكلما، وطلب إلينا أن نرى فيه حقا، حتى نكون مرآة لحقه، وحتى يكون لنا مرآة حقنا. فإن كنا معه كذلك، فالحق قننا وربنا وحدناه فكنا، وربنا فيه شهدناه، وفي القيود أخونا عرفناه، وفي التوحيد إيانا شهدناه، وفي العطاء ولدنا لأقنائه، وعملنا رأينا، وحقنا قنناه، معلما بالله، معلما عن الله.

انقطعت النبوة من بعده لأن الخلق أصبحوا به الله وحدوه أنبياء، والله اعتقدوه به أولياء، والله قاموه به شهداء، والله عرفوه حقائق.

عَرَفَ ما عَرَفَ عن الله. وقام بما اتصف من الله. وامتد فيمن امتد فيه نور الله. هل عرف الناس عبد الله؟ هل شهد الناس وجه الله؟ هل قامه الناس وجوها لله لا تلحقها غبرة ولا تنالها كدرة، ناضرة له به ناضرة.. لا يلحقها الفناء، ولا ينال منها الجزاء، ولا يزعمها الحساب، ولا يمتنع عليها الإياب.. إيابا إلى قديمها من أحسن تقويم.. وإيابا إلى مستقبلها أحسن تقويم، بقيامها في أحسن تقويم؟ هل طلب الناس رسول الله فعرف الناس رسول الله؟ هل آمن الناس برسول الله فأمنوا بالله في أنفسهم؟

نرجو أن يرزقنا الله شهادة أن لا إله إلا الله، وأن يرزقنا رسول الله شهادة أن محمدا رسول الله، ونرجو من أنفسنا أن لا نقاوم العلم عن لا إله إلا الله أو العلم بأن محمداً رسول الله - هذا ما يجب أن نسعى إليه، وأن نعمل له، وأن نرجوه لأنفسنا في يومنا وغدنا.

اللهم قوم فيك سبيلنا.. وحقق فيك رجاءنا.. وأوفر منك حظنا.. وقرب إلينا المنال لآمالنا.. وأحيي اللهم بماء الحياة منك.. من فيض بحار جودك.. أرض قلوبنا، وتخلل بإشراق نورك رؤوسنا

وعقولنا.. وقوم بفضلك وقدرتك وحكمتك جوارحنا وأعمالنا.. وخذ بيدنا في الطريق.. وفي السبيل.. إلى وحدانيتك نشهدا كما نقومها ونجهلها، ونعلمها كما نزعها ونخاصمها، ونسعدا كما نشقاها بغفلة عنها.

اللهم أعلِ كلمة الحق والدين، وانشر كلمة اليقين، وأحْ ظلام نفوسنا، وظلام دنيانا، وظلام ما حولنا، وأنر الحياة بسلامك لنا، وأنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وبما ظلمنا أنفسنا.. لا إله غيرك ولا معبود سواك.. عبدنا لك يا مولانا.. وكن لنا في رجائنا وفي مسعانا.. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

أضواء على الطريق

• {وما أرسلناك إلا كافة للناس} ٩.

• {لكم في رسول الله أسوة حسنة} ١٠.

• (ما أعطيته فلائمتي) ١١.

• (من خالف سنتي فليس مني) ١٢.

مصادر التوثيق والتحقيق

- | | |
|----|---|
| ١ | سورة الزمر - ٥٣ |
| ٢ | سورة النساء - ١٤٧ |
| ٣ | سورة الجمعة - ١١ |
| ٤ | سورة النساء - ٧٨ |
| ٥ | سورة الأنعام - ١١٢ |
| ٦ | سورة محمد - ١-٢ |
| ٧ | سورة الأحزاب - ٦ |
| ٨ | حديث شريف: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل). أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي. |
| ٩ | سورة سبأ - ٢٨ |
| ١٠ | سورة الأحزاب - ٢١ |
| ١١ | عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق. |
| ١٢ | من حديث شريف طويل: "...أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكيني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني". صحيح البخاري، وصحيح ابن حبان. |

(١٥)

إنسان الله

معية آدم الرسول وآدم ما قبله وآدم ما بعده

حديث الجمعة

٩ ربيع الآخر ١٣٨٠ هـ - ٣٠ سبتمبر ١٩٦٠ م

أستغفر الله لي ولأهل بيتي، ولأهل هذا البيت، ولأمة محمد ماثلة عندي في هذه البشرية. أستغفر الله لنا ولهم ولسائر العوالم، ما ظهر منها وما بطن. أستغفره وأعوذ به، أعوذ به وأستعينه، أستعينه وأسترحمه، أسترحمه وأستهديه، أستهديه وأستحييه، أستحييه وأوحده، أوحده وأسأله اليقين بقيام وحدانيته فضلا منه وكرما.

إن قيام هذا البيت وقيام هذا الجمع، قلّ أو كثر، ومهما قلّ فهو الكثير، ومهما كثر فهو فيه القليل. إن قيام هذا البيت، وقيام هذا الجمع إنما يقوم على العبودية لله، إنما يقوم على العبودية للحق، إنما يقوم على العبودية للمعروف الموجود، إنما يقوم على العبودية للموجود المطلق، إنما يقوم على العبودية للشهود الذي هو عين الغيب ووجهه، إنما يقوم على العبودية للغيب الذي هو عين الشهادة وروحها، إنما يقوم على العبودية في قريب معناها، وعلى العبودية في بعيد معناها، إنما يقوم على العبودية في قائم مبناها، وعلى العبودية في باطن معناها، إنما يقوم على العبودية في قريب معناها، وعلى العبودية في بعيد مبناها.

إننا لنطمع أن يكون في قيام هذا البيت تتجمع في الله لبناته، بداية قيام لبنت من بيوت الله على هذه الأرض من أرض الله، جديد لتقديم على سنن متلاحق من سبق متصاعد، تعريفا عن الله في فطرته وصبغته، من بيوت ترفع يذكر فيها اسم الله به، وبيوت لكلمات لله به توضع لتشفع، من الشجرة الطيبة لآدمية الله في بشرية الله، أصلها ثابت ممتد في الأرض بجذورها، وفروعها ممتدة في السماء بغصونها، تؤتي ثمارها، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. وما ثمارها بإذن ربها إلا كلمات طيبة، تحمل طيب أصولها وسر أصولها وقيام أصولها، بدايات لكلمات أصولها يبشرى نهايات لنهايات، أصولها حية مرضية، متجددة سرمدية.

عباد الله! أَرْضَيْتُمْ أَنْ تَكُونُوا لِلَّهِ عِبَادًا فَتَكُونُوا لِاسْمِ اللَّهِ عَمَادًا، وَتَكُونُوا لَغَيْبِ اللَّهِ شُهَدَاءَ، وَعِنْدَ النَّاسِ بِهِ أَمْرًا مَشْهُودًا، وَحَقًّا مَوْجُودًا. وَحُضْرًا مَوْجُودًا؟

عباد الله! هَذَا مَا جَاءَكُمْ بِهِ دِينُ اللَّهِ فِي قَدِيمِ جَنْسِكُمْ عَلَى مَزِيدٍ فِيهِ لَا عَلَى تَنَاقُصٍ فِيهِ، وَعَلَى كَمَالٍ بِهِ لَا عَلَى جَفْوَةٍ وَغَلْظَةٍ بِهِ.

إِنْ أَحْسَنْتُمْ تَقْوِيمَ مَا كَانَ عَلَى أَرْضِكُمْ إِلَّا طُفُولَتَكُمْ، سَخَرَتْ لَهَا الْآبَاءُ وَالْأُمَهَاتُ، وَمَا ارْتَدَّ إِلَّا عَلَيْهَا أَسْفَلَ سَافِلِينَ بِمَا تَطَوَّرْتُمْ وَبِمَا تَوَارَثْتُمْ مِنْ غَفْلَةٍ فِي نَوْمِكُمْ، وَقَدْ تَلَقَى وَجُودَكُمْ كَلِمَاتُ رَبِّهِ مِنْكُمْ لِيَرْتَدَّ إِلَى طَرِيقِ كَمَالِهِ، وَمَا زَالَ يَتَلَقَّاها لِيَصِلَ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ بِأَرْضِهِ مِنْ ذَاتِهِ بِقِيَامِهِ، بِمَعْنَاهُ مِنْ كَمَالِ أَرْضِكُمْ ذَاتًا وَاجْتِمَاعًا.

إِنْ أَرْضَكُمْ هَذِهِ مَا زَالَتْ فِي رَقِيهَا مِنْ بَدَايَةِ تَكْوِينِهَا وَبَدْئِهَا مِنْ حَيْثُ ظَاهَرَ بَنِيَانُ الْبَشَرِيَّةِ فِيهَا وَتَخْلَصُهَا مِنْ ذَاتِهَا إِلَى مَعْنَاهَا بِذَاتِ مَالِهَا. أَدَمِيَّتُهَا الْوَلِيدَةُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ بَعَثَ نَشْأَتَهَا فِي دَوَامٍ مُتَكَرِّرٍ. وَمَا زَالَتْ فِي تَطَوُّرِهَا بِالذَّهَابِ وَالْإِيَابِ تَطْلُبُ الْكَمَالَ، وَمَا زَالَتْ إِلَى كَمَالِهَا فِي مَزِيدٍ، وَبَتَطَوُّرِ الْمَعْرِفَةِ يَتَضَاعَفُ تَطَوُّرُهَا إِلَى جَدِيدٍ، فَهِيَ بِفَطَرَتِهَا لَا يَنْقَطِعُ جَدِيدُهَا وَلَا يَتَوَقَّفُ عَنْهَا مِنَ الْحَقِّ مَزِيدُهَا، آدَمًا وَاحِدًا بِقَدِيمِ آوَادِمِهِ، وَجَدِيدُهَا وَمَزِيدُهَا مِنْ ظِلَامِهِ وَنُورِهِ وَغَفْلَتِهِ وَيَقْظَتِهِ.

إِنَّ التَّجَافِيَّ مَعَ الْقَدِيمِ - فِيمَا ظَهَرَ مِنْ فُسَادِهِ - مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ. فَإِذَا أَدْرَكَتْهُ النَّفْسُ أَوْ أَدْرَكَهُ الْقِيَامُ، مُتَجَدِّدًا فِي قِيَامِهِ بِفُسَادِهِ فَقَاوِمُهُ، فَهَذِهِ هِيَ الْمَجَاهِدَةُ وَهَذَا هُوَ الرَّشَادُ...

فَانظُرُوا مَاذَا فَعَلَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِكُمْ مَعَ أُمَّتِهِمْ وَهَدَاتِهِمْ وَحُكْمَائِهِمْ مِنَ الْأُتَمَّةِ وَالْهَدَاةِ وَالْحُكَمَاءِ فِي عَصَرِهِمْ. هَلْ رَحَبُوا بِهِمْ أَمْ خَاصَمُوهُمْ؟ تَأْمَلُوا هَلْ هَذَا أَمْرٌ مُتَجَدِّدٌ بَيْنَكُمْ، أَوْ مُتَجَدِّدٌ فِيكُمْ أَوْ مُتَجَدِّدٌ أَمَامَكُمْ. هَلْ تَرَحَّبُونَ بِالْجَدِيدِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، أَمْ مَا وَرَثْتُمْ عَنْ آبَائِكُمْ عَلَيْهِ تَعَكُّفُونَ؟ وَإِذَا تَابَعْتُمْ جَدِيدًا فَفِي أَمْرِ مِلْذَاتِ أَنْفُسِكُمْ وَعَنْ بَقَايَا الْفَضَائِلِ عَنِ الْآبَاءِ تَبَاعَدُونَ، وَأَمَامَ الْمَادَةِ دُونَ رُوحِهَا تَسْجُدُونَ؟ فَإِذَا مَا رَأَيْتُمْ هَذَا قَائِمًا وَدَبَّرْتُمْ أَمْرَكُمْ لِإِزَالَتِهِ بِمَجَاهِدَتِهِ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْمَجَاهِدَةُ فِي اللَّهِ حَقِيقَةً تَدْرِكُونَ.

أَمَّا مَا يَتَجَلَّى بِهِ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الْبَشَرِيَّةِ بِالْهَدَاةِ مِنَ أُتَمَّةٍ وَحُكَمَاءٍ وَوَرِثَةٍ لَأَنْبِيَاءٍ، فَإِنْ شَهِدْتُمُوهُ فَاسْعَوْا إِلَيْهِ جَادِينَ، وَإِنْ افْتَقَدْتُمُوهُ فَاجْتَهِدُوا فِي طَلْبِهِ صَادِقِينَ، فَإِنَّهُ أَمْرٌ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ، مَوْجُودٌ لَا يَنْدَثِرُ، ظَاهِرٌ لَا يَخْتَفِي، مُتَجَدِّدٌ لَا يَتَوَقَّفُ. هَكَذَا قَالَ كُلُّ هَادٍ صَادِقٍ يَوْمَ هُدًى فِي الشَّرْقِ أَوْ فِي الْغَرْبِ أَوْ فِي الْأَوْسَطِ مِنَ الْأَرْضِ، يَوْمَ كَتَبَ لَهُ النَّصْرُ فِي رِسَالَتِهِ عَلَى الْمَعَانِدِينَ أَوْ لِأَتْبَاعِهِ مِنَ الْمَوَاصِلِينَ.

هَذَا قَانُونُ الْفَطْرَةِ، وَهَذِهِ صِبْغَةُ اللَّهِ. وَمَا قَامَ هَذَا الْوُجُودُ فِي قِيَامِهِ عَلَى مَا هُوَ قَائِمٌ إِلَّا بِصِبْغَتِهِ. وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً!

إن من يتجلى بهم الله لا يحملون رسالة مجاهدة للناس ولكنهم يحملون رحمة مهداة. ولكن رسالة المجاهدة تقوم من حملة الفقه في التعريف عنهم ومقاومة خصومهم ولو في غير بيئة ظهورهم، وفي الوقوف بجانبهم والالتفاف من حولهم في حال ظهورهم وسفورهم، وإعناتهم من المفسدين لتعطيل عملهم.

إن الله وهو الواسع العليم الذي اتسع وجوده بمكانيته من سر دائرة ذاته اتساعا مطلقا لا نهائيا بحيث لم يبق فراغا لغيره، أتم اليوم فيه والنبيون بأمرهم وملكهم فيه، والأولياء بغرفهم وحقائقهم فيه، والأئمة بكراسيهم وكتبهم فيه، والحكماء بعروشهم وعوالمهم فيه. الأولون بأوليائهم فيه، والآخرون بآخرياتهم فيه، والمواصلون بطرقهم وأعلامهم فيه، ليس بعيدا عن الصغير وليس محوطا من الكبير. ففيه - وهو الواسع اللانهائي - يتساوى الكبير والصغير، ويتعادلان في لانهائية وجوده. فإذا قدرنا الكبير فيه - وهو اللانهائي - كان هذا الكبير هباء في لا نهائية وجوده. وما كان الصغير فيه إلا في عين معنى الكبير، فكلهم فيه هباء {قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السماوات والأرض وما بينهما، يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير} وهو لم يخرج عن قانون قدرته مع محمد إذ يقول له {ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا} ٢.

إن محمدا وهو يعلم الناس، وهو يسعى إلى كسب مزيد من رضا ربه، إنما علم ويعلم الناس بحاله، كما علم ويعلم الناس بمقاله. حمل إلى الناس بصغيره ما ألقى إليه منه في كبيره، فظهر وما زال يظهر لصغيره علما على كبيره، من الكبير المتعال. فهو قد جاء الناس بهدي - بظلمهم وبعبثتهم - ما أدركوه، وبقيام - بجحودهم - ما عرفوه. جاءهم بسنن ما اعتقدوه، وبسبيل ما اهتمدوه، وبنور ما أبصروه، وبماء ما شربوه وبنار ما استوقدوه، وبأبواب ما ولجوها، وبجنان ما طرعوها، وبكتاب ما قرأوه، وبعلم ما أخذوه، وبإنجيل ما قلبوه، وبتوراة ما فتحوها. ولكنهم بظلام أنفسهم ادعوه، وبجهلهم زعموه، وورقا حملوه. فكانوا كالحر المستنفر فرت من الحق قسورة.. {كمثل الحمار يحمل أسفارا} ٣، تفرقوا في الأرض يحملون أوراق أسفارهم من كتبهم ما حملوها، ويحملون أوزارهم ما وضعوها، ويحملون أوزارا مع أوزارهم لأمم أذلوها وبلاد فتحوها ما لله دعوها ولا لله أخضعوها. وبعد قليل فقدوها، والأرض ما فارقوها، وحياة التراب ما أنهوها، وحياة النور ما وصلوها، أثقالا مع أحمالهم يوم يحاسبون أنفسهم بأنفسهم حملوها، فإذا قيل لهم من سلم.. إذا قيل لهم من محمدي.. إذا قيل لهم من آدمي.. إذا قيل لهم من بشري يا أيها الناس.. جددوا في الله إيمانكم، وجددوا عن الله عرفانكم، واطلبوا الله في أنفسكم تجدوه، وفي غير أنفسكم لن تعرفوه، وضعوا أصابعهم في آذانهم حذر الموت، ولجوا في عنادهم، وعاشوا في أحقاد آبائهم وأجدادهم.

هذه صبغته، وهذه فطرته، وهذه حكمته في خلقه كلها علا في الناس صوت للحق به. تأملوا فيما جاءكم به رجال الفطرة والحكام والهداة والمرشدون، وكذلك كان في أمم الأنبياء والمرسلين. إن كل ما جاء البشرية من دين إنما يدل على هذا الحق الواضح المبين...^٥

ولكن الناس يجحدون الله معهم.

إن الله يحول بين المرء وقلبه، لأنهم لعقولهم لا يعملون، وهدى نفوسهم يتابعون.

إن الكفر بالله إنما هو كفر العقول بالقلوب. إن الله في قلوبكم وهو ما يجب أن تؤمنوا به بعقولكم، وإن كريم العبودية لعقولكم هو ما يجب أن تدركوه بقيام الربوبية في قلوبكم. إن الذي قال لكم (العقل أصل ديني) ما كان إلا عقلا كبيرا استيقظ فأدرك ما بفؤاده. ما كذبه فؤاده وما كذب فؤاده. رأى ربه فؤاده بعين عقله، وبعين بصيرته، وبعين رشاده. انعكس بصره في بصيرته فرآه ليس كمثله شيء، رآه الإنسان القديم، رآه في أي صورة ما شاء ركه.. وشاء ففي كل صورة ركه. رآه نور السموات والأرض. رآه على ما رآه فما رأى إلا معناه. ورأى بعين عقله وقد تفتحت.. وعين بصيرته وقد أبصرت.. رأى أنه في الله، وأنه على ما رأى من عظمته إنما هو قطرة في بحر من الحق الذي به يؤمن وله ينشد ولمرضاته يعمل ولمزيد رفده يطلب. رآه عبدا لله، السموات والأرض داره. رآه عضدا لله، للسموات والأرض من داره يوسع وينشئ لجديده على مثال مما هو ومما له في قديمه، فعرف نفسه من ربه في مستديمه، أنشأ وينشئ سموات وأراضين، وسموات وأراضين. أليس هو عبد لرب هو رب العالمين؟؟ فقال مقالته (إن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض).^٥

الناس بين يديه وأمامه عوالم في نشأتها. الناس بين يديه وأمامه كلمات لله في طلعتها. الناس فوقه كلمات تمت لله. والناس دونه كلمات في طريقها للتمام، وهو معهم وبينهم ليس إلا جماع كلمات لله في نفسه ينشد بينهم ربه لنفسه. ينشد عبوديته. ينشد رفيقا أعلى ليعرف عنه، وليعرف عن الملائكة الأعلى وما فوقه، وعن الملائكة الأدنى وما دونه، ليعرف مما عرف فيقول وقد عرف ما قال (إن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه)^٦، وهم إذ يطلبونه كما يطلبونه لم يخرجهم الطلب من وصفهم، من أنهم كلمات لله وأرباب لأكوان وعوالم، وهم ملاك لدور على مثال من داره، يرى فيهم ويشهد أن الرب يبحث عن ربه ليكون عبدا لله، كما يبحث العبد في غفلته عن عبد له ليكون ربا للناس. عرف الأرباب عبادا صحت في الله عبوديتهم، ورأى العبيد أربابا لم تصح لله عبوديتهم فقال ما قال (إن الله يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه).^٧

بجع نفسه على آثار الناس عليهم يستقيمون على ما استقام هو عليه، فيطلبون صراطه المستقيم ويدخلون في دينه القيم القويم، ولا يتفرقون عن الصراط المستقيم فتتفرق بهم السبل، من وضعهم بتحريفهم لسبيله عن موضعها فيتفرقون عن صراط الله.

يبحث هو في قومه عمن يؤمن بربه، يبحث عمن يطلب العبودية لله ليرى فيه هو وجه دوام الله. ولا يقوم في هذا إلا من شاهده وجها لربه في معناه، يفتقده بين قومه، ويعمل على طلبه، ويسير في الناس حديثا باخعا نفسه على آثارهم لعله يجد فيهم من يدخل على الله برضائه، بطلبه، بإرادته، باختياره. يفتقده ويتألم لفقده فيقول مقالته (واعجبي من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل)^٨

إذ يعمل على أن يأخذهم بيده إلى طريق الله رغم أنوفهم، لعلهم إذا أذيقوا الجمال رغم أنوفهم ثم أطلقهم مع أنفسهم بعد أن يتألفهم برفده وعطائه يفيئون إلى أنفسهم فيدخلون عليه مدخل الرضاء، فإذا بهم إذا ما أطلق لهم العنان، عادوا إلى ما كانوا عليه في جاهليتهم، عادوا لأنفسهم بأنفسهم في أنفسهم - إلا من رحم ربه - فيعبر عن ذلك بمقالته (الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام)^٩، وحاله يقول ها أنا قد شددتهم فما ثبت إلا القليل من خيرهم في معدنه في جاهليته، ولو تركته في فطرته لانتهى يوما بها إلى ما صار إليه بعد أن عجلتها فشددته، ثم يعلن (لا يدخل الجنة أحدكم بعمله.. حتى أنا إن لم يتغمديني الله برحمته)^{١٠}.

أما من فسد معدنه فما صلح بجذبي له، ولا برفدي إليه، وكان عبثا عليّ وعبثا على جماعتي. فلا تكرهوا الناس حتى يكونوا مسلمين، لا إكراه في الدين وقد تبين الرشد من الغي. وما كتب عليكم القتال إلا لحماية حرية الرسالة وبلاغها.

هذا هو عبد الله ورسوله إلى الناس. بعثه الله في الناس وأمره أن يمشي في الناس بنوره، وأن يمتد في الناس بأمره، وأن يقوم في الناس بروحه، فيسجد الناس لرب الناس فيشهد رب الناس فيشهد الناس رب الناس. هل فعل الناس؟ هل تعرض الناس؟ هل تقبل الناس؟ هل أدرك الناس؟ قام هو فيما أمر، وحرص على الحق فيما به أمر، فتابعه ما ندر، وتابع الناس من به وبدينه غدر.

إن عشرات القرون تابعت واتباع والناس هم الناس على معادنهم. لا مهتدي إلا من هدى الله. ولا مستيقظ إلا من أيقظ الله. وما استيقظ مستيقظ إلا بالله فيه. وما تنبه متنبه إلا بالله فيه، {فذكر إن نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشتى}...^{١١}

إن تذكر على ما أمر رسول الله وقد تذكرت، وعلى ما تابعت به رسول الله وقد تابعت، علّ الذكرى تنفع المؤمنين، علّ الذكرى توقظ الغافلين، علّ الذكرى تحيي موات القلوب، علّ الله يأخذ بيد

المسترشدين، علّ الله يأخذ بقلوب المتذكرين. فإن فعل الله بك ذلك فخيره، وإن فاتك ذلك فيمن يفوتك فيه فقضاؤه وأمره. وما لحقك من الدنيا فيه ضير.. {إن إلى ربك الرجعى} ١٢.. {والى الله ترجع الأمور} ١٣.

اللهم كن لنا على ما أنت لا على ما نحن. اللهم فزدنا من رحمتك وإن كانت بنا لاحقة ولنا غامرة فرحمتك لا نهاية لها. اللهم عبّدا لك على ما أنت لا على ما نحن. وإن كانت عبوديتك علينا مفاضة، ولكن العبودية فيك لا ينتهي مرتقاها، ولا يتوقف معناها ومبناها، فاللهم فيها فزدنا. واللهم بها فقرنا. اللهم تولّ أمورنا على ما أنت لا على ما نحن، فإننا ما فعلنا إن أحكمنا أو ضللنا، وإرادتك مفاضة في إرادتنا، وإرادتك هي الأحكم والأرحم والأعلم. اللهم فأفض علينا من إرادتك برحمتك، وأفض علينا مزيدا من حكمتك. اللهم أدخلنا السلم والسلام فيك على ما أنت لا على ما نحن، فإننا مهما سلمنا ومهما سلطنا ومهما اتسعنا فقبلنا فسلام منك مفاض علينا وما زال في النفس بقية. اللهم أحينا على ما أنت لا على ما نحن، فأنت الحي القيوم - على ما أنت - لا حد لحياتك على ما تعاليت ودانيت وتنزهت وعظمت وكبرت. وما وصفناك لنا إلا بما علينا به أفضت وفينا أقت. وأنت على ما أنت لا وصف لك، ولا إحاطة بك. فإن كآ منك في قيام فنحن نطمع في مزيد برحمتك منك وبحكمتك إليك. اللهم اغفر لنا وارحمنا وولّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، وتولنا بحكمتك ورحمتك وهديك وفضلك، حكاما ومحكومين، غافلين ومستيقظين، مستنيرين ومظلمين، روادا ومرودين. وأقنا برحمتك يا مولانا فأنت أرحم الراحمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة المائدة - ١٧
- ٢ سورة الإسراء - ٨٦
- ٣ سورة الجمعة - ٥
- ٤ عن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر رداي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. المحدث: العراقي. وصفه أنه موضوع، وذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ومعظم المتصوفة.
- ٥ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض." أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.

- ٦ حديث شريف ذكره الشعراني في "لطائف المنن" مشيراً إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، كما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي، وكذلك تفسيرات بعض الصوفية للقرآن الكريم بنص: "إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم".
- ٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٨ حديث شريف: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل". صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبت لأقوام يُقادون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون". أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.
- ٩ من حديث شريف: "تجدون الناس معادين، نخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا". أخرجه البخاري ومسلم. صحيح ابن حبان.
- ١٠ حديث شريف رواه البخاري ومسلم: "سدّدوا وقاربوا وابشروا فإنه لن يدخل الجنة أحدكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله منه برحمته".
- ١١ سورة الأعلى - ٩:١١
- ١٢ سورة العلق - ٨
- ١٣ سورة آل عمران - ١٠٩

(١٦)

الإسلام

سراج الفطرة وطريق الإنسان

حديث الجمعة

٢٠ جمادى الآخرة ١٣٨٠ هـ - ٩ ديسمبر ١٩٦٠ م

أشهد أنه المعروف لا وصف له. أشهد أنه الموجود لا عدم له. أشهد أنه المشهود لا غيبة له. أشهد أنه الحي لا موت له. أشهد أنه القيوم لا انقطاع له. أشهد أنه المعلوم لا جهل له. أشهد أنه الموصوف بكل وصف، لا يحدده وصف ولا تقيدده صفة. أشهد أنه لا إله إلا الله وأشهد أن عبده قديم بقدم الرب فيه، وأشهد أن الموصوف بالعبد والرب معنى من معانيه.

لا إله غيره ولا معبود سواه. ما تألّه فيه إلا وصف من أوصافه ومعنى من معانيه. وما تنزه فيه إلا حق من حقائقه ومبنى من مبانيه. وما ظهر منه إلا صفة من صفاته وحضرة من حضراته.

علم الإنسان كيف يظهر وكيف يبين، كما علمه كيف يرتقي وكيف يختفي. علم الإنسان كيف يتعبد، وكيف يتأله، وكيف يشرق، وكيف يتكبر، وكيف يتخلق، وكيف يتحقق، وكيف يعلم، وكيف يجهل، كيف يقرأ وكيف ينسى ما قرأ، كيف يجهل ما يجب أن يجهل، وكيف يتجاهل عما به يعلم. علمه كيف يعلم ومتى يتعلم ومتى يتجاهل، كما علمه كيف يعمل وكيف يستسلم، وكيف يقوى وكيف يضعف، كيف يرضى وكيف يغضب، كما علمه متى بذلك يكون، ومتى بشيء من ذلك لا يكون، كما علمه كيف يتعدد وكيف يتوحد، كيف يظهر فرداً، وكيف يظهر مجتمعاً، وكيف يتطور من فرد إلى مجتمع، ومن مجتمع إلى فرد.

جعل للإنسان فيه كل أوصافه وكل معانيه، وجعل الإنسان منه هو الإنسان فيه. كله من أوصافه وكله من معانيه. وألبسه غلاف الكون من مجاليه.

هذا ما جاء به الدين في تأسيسه بأزمانه ومؤسسيه، وهذا ما جمعه الإسلام وأبرزه للناس، وجدّده في الناس، وأحياه في الناس، وأقامه في الناس بكل أحواله ومعانيه، برسوله وصحبه وآله ومبانيه. ويجدده ليظهره في رسالة الروح بأجلى معانيه.

إن الإسلام كحقيقة فيه فطرة، وفيه عقيدة، وفيه مجتمع، وفيه إنسان، وهو إذ يعالج أمر الفطرة إنما يعالجها بالفلسفة لطلب الحقيقة، وطلب المعرفة بالعلوم الاجتماعية، وبالعلوم الكونية، وبالعلوم الروحية على مختلف ألوانها وأسمائها ومواضيعها وأطوار إبرازها، وكشفها وتعميمها بواقع فطرة الحياة.

والإنسان في هذا كله هو الكائن الفطري، هو الكائن الشئّي، هو الكائن المادي، هو الكائن التراي، هو الكائن الوقي، هو الكائن البدئي، هو الكائن المحدث بألوانه في أبدانه، هو الكائن الأولي لمبناه، والكائن الروحي لمعناه، وهو في الوقت نفسه نهايات كل هذه البدايات واجتماعها. يبدأ بها ويرتقي فيها ثم يجمعها فتجتمع ثم يرتقي بجمعها فيخرج فيها وترتقي فيه فيكونها وتكونه. يجمع بينها فيه على تناقضها، ويمتد ويتشعب بها على وحدته، يفرق نفسه ويجمع نفسه، ويبين بين أبعاضه، ويتقلب في صفاته، يجمعها فيه ويوحدها به ويتوحد معها، ويتوحد بها وتتوحد، يقوم شيطاناً ويقوم رحماناً، يقوم وجهها ظاهراً، ويقوم غيباً لا يدرك وإلها لا يوصف، يقوم رباً ويقوم عبداً، ويقوم روحاً، ويقوم نوراً، ويقوم ظلاماً، ويقوم سراً، ويقوم جهراً، ويقوم بياناً، ويقوم كتماناً. يقوم على ما هو، ويقوم علماً على معناه على ما هو.. فهو هو.. وهو هو.. وهو فيه، إنما هو هو ما عرفه إلا هو.. وما عرف إلا له.

إن الإنسان في قانون الفطرة هو ثمرة الفطرة، وهو الفطرة، وهو ما وراء الفطرة. وإن الإنسان في الفطرة هو قانونها. وكما هو قانون الفطرة هو ذات الفطرة، وطاقة الفطرة، وعجز الفطرة، وظهور الفطرة، وغيب الفطرة.

هذا هو الإسلام في الفطرة أو الفطرة في الإسلام أو الإسلام دينا للفطرة أعطيته والتزمته. أما الإسلام عقيدة وكتّاباً، والإسلام مجتمعاً مظلماً أو مشرقاً، فهذا أمر آخر، وشأن آخر، ووعي آخر، وعلم آخر، وقيام آخر.

إن الإسلام في طرفه الآخر من الفطرة بتطبيق عقائده الفطرية هو مجتمع فطري، وبتطبيق عقائده الكتابية هو مجتمع كتابي.. مجتمع يجمع طبقاته، ويتوحد في ذاته، ويجتمع على نواته، وينتشر منها في دوائر تجمعاته. يتزايد في حلقاته، ويتوجه إلى بؤرة ذاته، وينتشر من بؤرة ذاته في دوائر امتداده ومعارج تنزلاته، وحيواته، وعوالمه، ومنشئاته من حقه وخلقه تلقائياً دون تدبير أو توجيه أو تبليغ إلى مجتمع مظلم مادي أو مجتمع مشرق نوراني.

إن الإسلام كمجتمع فطري، أو المجتمع الفطري كمجتمع إنما ينظم نفسه بنفسه في ظل ما هدي به في غريزته صديقاً لما وعى مما حُمِلَ إليه من عقله فاروقاً فيما أمر به من غريزة حرصه على الحياة، مؤمناً لفطرة الواقع في متابعاته، أما باجتهاد مفرداته، مُكبراً لله على نفسه بعجزه، شاكراً النعمة من الله في نفسه بتذوقه، طالبا الله في فطرته بعقله واستقامته وصفائه.

إن الإسلام إنسان ومجتمع، إنما هو مظهر الإسلام فطرة في نهايات الجنس على صلاحية من الفطرة بآدميته وقيام إنسانيته. والإسلام مجتمع مثالي، لا يكون مظهراً للإسلام فطرة وللجنس رسالة ما لم يدرك فيه وينتشر به وينتشر عنه ويقوم عليه الإسلام عقيدة. فبالعقيدة تسارع عوامل الفطرة بإنتاج ثمارها فيه. فعقائد الإسلام ككأبا هي من قوانين الفطرة قياماً.

إننا في جماعتنا هذه وفي قيامنا هذا، إنما يشغلنا، إنما نعمل، إنما نتواصى، إنما نتذاكر بالإسلام في دائرة العقيدة. أما الإسلام في دائرة الفطرة فهو غني عن فعل الخلق لقيام الخلق بالخلق وقيام الخالق بالخلق، قياماً كفائاً لا وسيط فيه ولا وسيلة فيه ولا عميل فيه. الحقيقة فيه أقرب إلى الناس، وإلى نفوس الناس، وإلى قيام الناس، وإلى ذوات الناس، وإلى عقول الناس، أقرب إليهم من حبل الوريد بفطرتهم، نامية أو ضامرة بكسبهم أو اكتسابهم.

لا سلطان لمخلوق على مخلوق، ولا سلطان لحقيقة على حقيقة، ولا سلطان لحق على حق. لا سلطان لعبد على عبد، ولا سلطان لرب على رب. بل السلطان كله لوحدة الفطرة. لا يشغل مفردات الناس، ولا يشغل مفردات العقول، ولا يشغل مفردات النفوس، ولا يشغل مفردات الهمم إلا ما يعني صاحبها في ذاته وفي نفسه. يبدأ بنفسه، يحرص على نفسه، يعمل لصالح نفسه، بعقله هو، بتجربته هو، يستقيم ويخرف، ينهض ويكبو، يحسن الاتجاه ويلتوي، الله بالغ فيه أمره، لقد أعطى كل شيء خلقه، وجعل فيه هديه وحسابه ومعراجيه وهاويته، وعوامل بقائه وعوامل فنائه.

إن الإسلام كدين لفطرة هو المعرفة، هو كشف القناع عن معرفة الكائنات بكيئوتها، والأشياء بشيئيتها، في المدى القصير أو الطويل، للتطور بأطوارها وفي الزمن الطويل لدوام قيامها بذواتها ومعانيها في غناء الله عن العجلة بسر دوامه، وبإحاطة الله بقدرته على الأشياء إلى ما يريد وما يشاء. وما إرادة الله إلا إرادة الكائنات وما مشيئة الله إلا مشيئة الأشياء على ما كانت هذه الكائنات إن كانت، وعلى ما شاءت هذه الأشياء إن شاءت، وإن بدت الكائنات والأشياء فيما عملت أنها قد أتت عملها خبط عشواء أصابت أم أخطأت. فغناء الله عن العالمين أعطى العوالم حريتها فيما تريد إلى ما تريد.

هذه الفطرة تبدو ولا سلطان لها علينا مدركا لنا في وحدتها إلا في سلطاننا نحن على أنفسنا. كما يبدو كذلك أن لا سلطان لنا عليها، إذ لا نستطيع أن نقوم منها سبيلا فسييلها قائمة على ما هي، ولا نستطيع أن نقوم فيها أمرا فأمرها قائم دائما على ما هي كذلك. وهذا الأمر لا يشغلنا فيما هو خارج عنا ولا لغينا إلا بقدر ما يمس سلطاننا علينا في ذاته.

فإذا كانت الفطرة لا سلطان لنا عليها، فكذلك الإسلام كمجتمع فطري لا سلطان لنا عليه، ولا نستطيع أن نقيمه أو أن ننشره. ولكننا نستطيع أن ندخله ونقوم فيه. ونستطيع أن نترك له أنفسنا لينتشر فيها. نستطيع أن نقومه بأنفسنا لأنفسنا، إذ مظهر الإسلام كفطرة إنما هو المجتمع البشري بأسره، والجزء لا يحكم الكل.

أما الذي يعيننا أن نجتمع عليه، ونحدث عنه، ونتواصى فيه، ونفقد منه، إنما هو الإسلام عقيدة وكتابا. ونحن في هذا الإسلام العقائدي إنما نتابع إنسانا منا ورسولا من أنفسنا، وعبدا من عباد الله بيننا، تواجد بيننا بذاته وبصفاته وما زال يتواجد بيننا بمصاحبيه ومتابعيهم، هو من نسليه محمدا ومن يتصف عندنا برسول الله، ومن تلوك ألسنتنا اسمه وتردد ذكر ربه، ترديد أسماء من نفتقد في حال فافتنا، ومن نذكر في حال حاجتنا.

إن ترديدنا لاسم من نفتقد عند فقدته لا يحضره. وإن ذكر ما نطلب عندما نحتاج لا يوجد. إذا شعرت بالعطش فرددت اسم الماء كما تردده الأنعام، هل أرتوي من ترديد اسم الماء فأشعر بالري في نفسي، فيبعد الظمأ عني؟ إذا أحسست بالجوع فرددت اسم الخبز، هل يرد هذا الاسم وأنا أردده غائلة الجوع عني؟ هل أشبع من ترديد كلمة خبز؟ أو ما يقابلها من أسماء الطعام؟!

إننا نذكر محمدا وربه كما يردد الريان لا الظمان اسم الماء، وكما يردد المتخوم لا الجوعان اسم الطعام. إن ترديد الاسم لا قيمة له، ولا يقيم في الإنسان شيئا، ولكن المطلوب إنما هو الصلة بالمسمى، إنما هو القيام بالذكور. كلما جاءهم ذكر محدث.. كلما جاءهم من يقوم بذكر الله من قيامه ذكرا لله، استمعوه لاهية قلوبهم، ظاهره، انصرفوا إلى دنياهم وتركوه، انصرفوا إلى لهوهم، انصرفوا إلى تجارتهم، وتركوا ما عند الله، وتركوا ما عند الذكر المحدث علما على الله ووجهها لله، ويدا لله لهم منبسطة، ووجهها لله منبسطة أساريه، وحوضا لله فيه ماء الحياة، ومائدة من الله فيها ومنها خبز الحياة، لا يذكر لفظا ولكن يقيم في الناس حقا، يقومه ويقدمه، لا يطلب مقابلا، ويبدله كرما لا يطلب أجرا أو شكرا.

إن ذكر الله المحدث، إنما هو الإنسان، إنما هو عبد الله، إنما هو بين الناس.. من الناس.. ناس حقق الله فيهم ذكره، ورفع لهم ذكرهم من معنى ذكره المرفوع والموضوع فلا يُشارك رفيع الدرجات ممن رفع

من الناس ولكن يتابع ويعتقد ولا يحقد عليه. وكذلك رفيع الدرجات ممن وضع. وضع الله لذكره بيوتا، ورفع بذكره بيوتا، وأحيا باسمه بيوتا، وأفنى بقدرته بيوتا، وأعدم بحكمته بيوتا، وذكر بفضله بيوتا، وأعطى بمنته في البيوت غرفا، وجعل من الغرف قبلة استقبلها الناس مصلين، وطاف بها الناس حاجين على مدى الأزمان والدهور. فما ارتفع رفيع إلا من رفعه رفيع في الدرجات. وما داني مدان إلا كان في مدانته رفيعا.. كان رفيع الدرجات مدان في مدانته كما كان رفيع الدرجات في تنزهاته. والإنسان في الرحمن والإنسان في الله هو رفيع الدرجات. والإنسان في رفيع الدرجات هو الدرجات. والإنسان في الدرجات هو كل ما فيها وكل ما لها من صفات.

الإنسان كل ذلك. هذا ما جاءت به العقيدة، رفعنا بعضكم فوق بعض درجات وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا. فمن كان ذكرا لله كان رفيع الدرجات. هذا ما جاء به الإسلام عقيدة. ولا يستقيم الإسلام عقيدة إلا إذا اعتقد المسلم في رسول الإسلام كل هذه المعاني له محققة.. إلا إذا اعتقد المسلم في رسول الإسلام أنه معطي ومبيئ لكل هذه المعاني بدوره، ومربٍ وخالق للإنسان المتابع له بكل هذه المعاني، فيطلب رسول الله، ويطلب في طلبه وفي اعتقاده به وجه الله، لأن وجه الله حق للمرسلين ونعمة للمرسل إليهم. إن الرسول هو الحق من ربهم وجهها لله وقيامها للحق به.

الناس يقومون به ويبعثون به، ممتدين من روحه ونوره وهديه، فيكونون رسلا في مجتمعهم هم له وجوه حقه. وهو من ربه لهم وجه الحق منه. والناس بمتابعتهم له في متابعتهم لمن امتد فيهم بروحه ونوره، إنما يدخلون في صلتهم بربهم وربهم في صلتهم به في بناء للحق متماسك. الصلاة عنده صلة بين العبد وربهم، والصلاة عنده صلة بين الرب وربهم، والصلاة عنده وعي عند العبد عن ربه في نفسه، وعن إلهه قائما على نفسه على ما يشهده فيه في نفسه، امتدادا من اشراقات وأنوار وفيوضات ربه معلوما له بوجهه مجهولا عليه بإحاطته.

إن الرب مدرك في الإسلام في إدراك الإنسان المسلم لمعاني الإيمان تطرق قلبه وحسه، وتشرق في وعيه وإدراكه، وتقوم في زكاة نفسه، وتُحيي قائم جوارحه وأحاسيسه على صورة مدركة عنده، ومن مصدر لا يُجهله.

هذا هو الإسلام كعقيدة وهو ما نعتقده وهو ما نقوم فيه وهو ما نتواصى به. لا يتخذ منا بعضنا بعضا أربابا من دون الله فيه، بل نرى الله فينا في جماعنا، ونرانا في الله بجماعنا. نرى الله فينا بقدر ما يُظهر من صفاته. يظهرها فينا من استقامته ومن حله ومن كرمه ومن فعله، بإيثار له على أنفسنا أو بذل له في أنفسنا، ومن معرفته بنفسه، ومن علمه بكونه، وبترك الدنيا وزهد فيها على إحاطة بها، وطلب

للآخرة وعمل لها في مستقيم طريق إليها، في شوق للحقيقة وقيام بها. كل هذه الصفات إنما تقوم فينا معنونة معناها في الله من معناه في رسول الله، قائمة برسول الله بمعناه من ربه بربه.

إن الله عند المسلم له معارج يعرج فيها العارج إليه طلبا له حتى يلقاه. يطلبه الطالب بعقيدته، ويعرفه العارف بشريعته، ويوحده السالك بهيمته، فيطلب الله روحا أعظم وذاتا أقدم عروجا إليه في معراجة.

إن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، وسلم هو من فتنة نفسه وطغيانها. إن المسلم من أسلم الله لا غيب له، ومن علم الله لا ظهور له.. إن الله وراء ما ظهر، وإن الله هو الظاهر فيما ظهر.. أينما نولي فوجهه - والله أكبر - إن انعكسنا في انفسنا فلا نرى إلا وجهه - والله أكبر - وإن تأملنا ببصيرتنا فيما حولنا لا نرى إلا وجهه - والله أكبر -.

هذه هي عقيدة المسلم إن استقام بالإسلام كعقيدة، وهي لب الإسلام. إن العقيدة هي اللب الذي يتجه بها المسلم إلى طرفي الإسلام فطرة ومجتمعاً. اتقوا الله بالعقيدة يعلمكم الله بالفطرة، وكونوا عبادا لله في الفطرة يقومكم الله في المجتمع غرف وبيوت عقيدة وقبلة صلاة. لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها.

إن المجتمع في الإسلام يتكون من رجلين. إن المجتمع في الإسلام يبدأ من رجلين. إن الفطرة في الإسلام تبدأ من كائنين. تبدأ من كينويتين تتمثلان في معنيين من رجل وامرأتين، أو من رجل بين أم وابنة. جعل المسيح وأمه آيتين، كما جعل مثله مثل آدم، كما وحد محمداً مع أمه وابنته في قوله - فاطمة ابنتي روحي وأم أبيها، كما وحد بين الزوجين، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن. {أن تقوموا لله مثنى وفردى..} ١. كما تتمثلان في أخ وأخيه من رجلين. واضرب لهم مثل الرجلين، واضرب لهم مثل ابني آدم بالحق.. ولدان لآدم.. أخوان في آدم.. صديقان في أبوة أو عدوان في أبوة، وكذلك أب وولده أو ولد وولده أو والد ووالده.. يتزاحمان على معنى في الأبوة أو على صفة من الأبوة، على حقيقة من الأبوة، بهما يتكون مجتمع فطري في الإسلام، مجتمع من رجلين وجه للقديم من القديم، ووجه للباقي من الباقي كلقمان وولده، حكيم وولده الحكيم، وإبراهيم وأبوه، ثم إبراهيم وبنيه.. ناصح بدأ بنفسه فانتصح، وبدأ بولده أو لوالده لينصح فتناصح، فتكون منه المجتمع الفطري في الإسلام متوحداً متحداً، أو منشقاً منفصلاً. من هذه النواة في الإسلام يتواجد المجتمع وينتشر وينمو كوحدة لمجتمع.

فإذا لم يكن الإسلام كعقيدة منبها لمفردات الناس أن الله قائم على هذه المفردات، على كل نفس بما كسبت وأقرب إليها من جبل الوريد، أينما كانت وكيفما كانت فلا تسليم ولا إسلام.

فإذا تنبه الناس إلى ذلك فعملوا فيه أخوة متناصحين ليكونوا من أخوتهم مجتمعاً متماسكاً، قاموا فيه بيتاً واحداً ليكونوا من بيوتهم - نعدد وتلاحق - بيتاً أكبر ومجتمعاً أوسع، وتناصحوا فيه آباء في أخوة، وأبناء في أخوة ليكونوا برابط المحبة بعد رابط الطبيعة والفطرة إخواناً يتكون بهم مجتمع في فطرة الله، فلا إسلام ولا اجتماع عليه.

إذا لم يكن للناس تواصي برابط العقيدة على ما أرادت العقيدة، وهدى رسول العقيدة، وهدى المعتقد الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فلا إسلام ولا مسلمون.

إن الذي فرق وجمع في قانون فطرته جعل الإنسان من صبغته. فإذا لم يصل به أهل العقيدة إلى ذلك لا تسلم العقيدة لأهلها، وإذا لم تسلم العقيدة من الشوائب لم تصلح امتداداتهم في الفطرة من الرواسب. واقتضت قوانينها فرقا جديداً لجمعهم.

إن الناس يريدون مجتمعاً إسلامياً وهو أمر لا يتعذر عليهم في ظل العقيدة السليمة {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير..}² فلهم أن يوجدوه في أنفسهم وأزواجهم وأولادهم ومن يعولون من أهلهم ويبتئهم. إن هذا لا يمتنع على مفردات المسلمين إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. ولكن المسلمين يخطئون الفهم لدينهم فيخطئون المسلك والطريق إليه ويحتفي الباب وتجهل القبلة والبيت، فيسيرون في صحراء جرداء لا يدركون لهم فيها طريقاً إلى واحة غناء بالزرع وعيون الماء ويهتدون فيها بنجم يفني عنهم ظلمة الليل السرمد، يدخلون البحار الزاخرة للحياة لا حدود لها ولا سفينة ولا ربان لهم. فكيف يصلحون؟ وكيف بهم يمكن أن يصلح غيرهم؟ وكيف يقومون رواداً للحياة بالحق؟ وكيف يقام بهم لله حق وهم مع ذلك - وهذا ما هو أدهى - يزعمون أنهم المسلمون، وأنهم يمثلون الإسلام، وهذا الزعم هو الحائل الجبار بينهم وبين الإسلام ومجتمع الإسلام؟

إنهم يطلبون ما أوجده وجود محمد بينهم بالحق، وما قام به محمد من الحق فانتشر به الحق فتنجم به الإنسان، فكان الحمد من ذاته والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم. إن المسلمين أو أذعياء الإسلام - بتعبير أصح - يطلبون الآن هذه النتيجة من الشدة على الكفار في نظرهم ممن يستعمرونهم ويسلطون عليهم بظلمهم لأنفسهم، وينسون حتى أن يقيموا أولاً بينهم معاني الرحمة فيكونوا رحماء بينهم.. إن شدتهم على الكفار ما أعطيت لهم إلا لأن مجتمعهم قام بالرحمة بينهم حتى إذا ما دخل الكافر فيهم بإسلامه كان له بينهم ما لهم وعليه ما عليهم. وبذلك يعنونون الحق ويقيمون ساحته، ويعنونون الرحمة، ويعنونون جمال الفطرة. وجمال الفطرة في وحدة المجتمع بانتظام العقيدة والطريقة. كيف يقوم مجتمع إسلامي لا محمد له، ولا قبلة له، ولا علم له، ولا إمام له، ولا أسوة ولا قدوة له؟

ولكن الإنسان خلق عجولا، إنه يطلب النهاية والغاية قبل أن يحقق أصول البداية، وقبل أن يسلك إليها طريقها ويتوسل لتحقيقها بوسيلتها. إذا قلت له أذكر الله في نفسك، كما يذكر أهل الله الله في أنفسهم، التوى به الوعي والنفس فوهم وزعم أن أهل الحق يقولون إن الله قد حل بهم، وهذا أمر وهمي خيالي لا تسنده حقيقة...

إن المعاني وراء الألفاظ هي التي تحكم السلامة للمعاني والحياة للألفاظ أو تقرر الملامة على المعنى الخاطئ. أما الألفاظ في ذاتها فإنها لا تعطي شيئا ولا تحدد أمرا ولا تدين مدانا بخطأ. إذا قلنا إن الله فيكم - وهو فيكم - أو إذا قلنا إنكم في الله - وإنكم في الله - فهذا أمر عند أهل المعرفة والإيمان أمر بديهي وأولي، ولكنكم تزعمون أن هذا أمر خطير أو فكر عميق وأن الناس لا يصلحون لأن يقال لهم ذلك، ويتجاهلون أنه سبق أن قيل لهم، وصلحوا له بعد معارك، ويأبى الناس إلا أن يكرروا هذه المعارك مع تكرار القول، كلما اقتضى الأمر التكرار لمحو الظلام بصوت النور.

سبحان الله! الناس في واقع ووجود يتأهلون للعلم به. إنه الواقع وليس العلم. إن العلم لا ينشئ جديدا على الواقع. إذا قيل لكم أنتم في الله والله فيكم، فهذا ليس علما به نتعلمونه، ولكنه الواقع إن شئتم أقسموه بكشفه فموتوه بإيمانكم وعملكم، فإنه قابل لأن يتكشف لكم. وإن شئتم أنكرتموه على أنفسكم فإنكم بعملكم تحرمون كشفه. وتأتي سكرة الموت بما كنتم عنه تحيدون، وقد أوجدتم أنفسكم من عملكم بما كان من الحق بكم على صورة غافلة هي أنانيتكم بالإنكار والغفلة، فتتعرفون عليها بما كان من الحق بكم تحلى عنكم فتندمون وتتعذبون وتذوقون العذاب ألوانا. وما أشد العذاب إلا إدراككم لهذا الذي فقدتم والذي لا تستطيعون أن ترجعوه إلى أنفسكم. لا، لا تستطيعون أن ترجعوا أنفسكم إلى هذه الحياة مرة أخرى بإرادتكم. ليس هذا في مكنتكم ولن يكون في مكنتكم، ولكنه في مكنة الله بقوانينه، إن شاء فعله ووقتما يشاء، وإن شاء لم يفعله، وقد وعد أنه يفعله لمن يشاء مرجعا عظامه مسويا بنانه. إنه قد يعيدك إلى هذه الأرض بلون جلدك وبارتفاع قامتك وبعدد مسامك وتقاطيع وجهك ورسوم بصمتك من بنانك. وقد يعيدك باسمك وقد يعيدك بأنانيتك ولا شيء من ذلك...

ولكن متى؟ لا تدري. ولكن أين؟ لا تدري. هذا في مكنة الله ويجب أن يعتقد الإنسان في مكنته وأنه عليه لقادر وأنه يوم يفعله، فإنه فاعله على مثال من قيامك اليوم عليها. تأمل كيف تواجدت اليوم؟ ألم تتواجد بالميلاد من أب وأم؟ ألم يقل لك إنك كنت روحا مخاطبا قبل مجيئك؟ إنه يوم يعيدك لن يعيدك إلا مولودا من أبوين كما هو مقيمك الآن. ألم يقل لك إنه كان لك وجود قبل هذا الإيجاد حمل صورتك واسمك ومعارفك، وقصة حياتك في وجودك الآن؟ ما تواجدت الآن إلا مبرزاً من قديم وجود لك، وجودك اليوم إنما هو إبراز لوجودك القديم. وإن الله في قابل لمبرزك بما

كتبت اليوم وكسبت اليوم وبما أردت اليوم، وبما أجبت به اليوم لدعوة العقل والضمير، ومحقق لك - ما صدقت - ما افتقدت اليوم مما أردت أن تكون فيه به، وتود لو كان لك في وجودك مما تعشق وتحب وهذه هي جنتك.

إنك تكتب اليوم بقلم القدرة في ألواح كتاب الله في أم الكتاب عندك مستقبل كائن إنساني يبرزه الله على هذه الصورة وهذه الصفات المنطوي عليها ضميرك الإنساني.. إنك تكتب هذه الصفحة لكائن يبعث يوما ما بها، بما أردت. (يُبعث المرء على ما مات عليه)^٣.

إن الذي كان منك مشهود اليوم بما أنت فيه، وهو ما سيكون يوما لك بما منك يكون. تجاهل حاضرك بما تكره، وتجاهل ماضيك بما تعقل من مراد لك فاتك في يومك، وانشد الكمال في مراد لك من الله مع مثال يرضيك، تحتذيه فيحتويك، وعلى مثاله يعيدك وينشيك، ترتضيه ويرتضيك. ابدأ معه حياة الغد من اليوم لا تؤمن بماضيك ولا تكرره بإصرارك على ما أنت فيه ولا بحاضرك، فتكتب مستقبلك على ما أنت عليه مما تستهويه، ولكن آمن في مستقبلك واعمل له فإن كل كمال من الله - وإن تحقق لك - فعند الله ما هو أكمل منه، فانتظره وارتجيه، واتخذ لك مثالا تحتذيه، وارضه لنفسك وتابعه على ما لنفسه ولك يرتضيه.

هذا ما جاءنا به الإسلام عقيدة {لكم في رسول الله أسوة}٤. وهذا ما يجب أن تتواصى به معا وتتذاكره معا. لا سلطان لنا على مجتمع ولا سلطان لنا على فطرة. ولكننا بين يدي الفطرة والمجتمع بين يدي رحمته. يشغلنا أمر أنفسنا فيه وأن ننمو فيها بحقائقه، ونزيد بالمعرفة فيه في المعرفة عن أنفسنا، وبالمعرفة عن أنفسنا معرفة عنه فيه.

هذا دين العقيدة. وهذا ما نرجو أن نتواصى دواما فيه بالحق ونتواصى فيه بالصبر، وأن لا نتعجل فيه، وأن يأخذ بعضنا بيد البعض فيه مهما كانت عدتنا، فإن ذرات من القلوب عند توحدها تكون لله كتابا مرقوما وكرسيا منصوبا مرموقا. إننا إذا توحدا وتمسكنا بطريقنا فقمنا بالله وقد أقام الله الحق بيننا بروحه فإن الله يقيم بنا حقه، فنشهد الله معنا والله أكبر. هذه هي عقيدتنا وهذا هو الإسلام.

نسأل الله أن يجعل من محمد لنا، بقيامه علينا حظا نشهده به، وحقا نقومه به، وحقا به ننشره في الناس. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم ادفع عنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقك. اللهم جنبنا الفرقة والخصام وارزقنا الألفة والوئام. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا. اللهم وحد قلوبنا، وزكي نفوسنا، وأثر عقولنا، وقوم جوارحنا، وقوم جماعتنا وجمعنا. اللهم أقم حقك فينا وانشره بنا. اللهم فرج كرب

المكرويين وعسر المعسرين وضيق التعسين، وارزقنا الحرية في كوننا من كونك في كونك، وأعتق رقابنا من النار، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

أضواء على الطريق

- أَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ. فَإِنَّهُ يَرَاكَ.
- اللَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَأَقْرَبُ إِلَيْهَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَمِنْ وَرَائِهَا مَحِيطٌ.
- كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَإِنْ وَبِقِي مِمَّنْ عَلَيْهَا مِنْ كَانَ وَجْهًا لِلَّهِ.
- يَرِثُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا يَوْمَ يَرِثُهَا عِبَادُ اللَّهِ الصَّالِحِينَ.
- يَبْدُلُ اللَّهُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، يَوْمَ يَقُومُ عَلَى الْأَرْضِ أَمْرُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَقْبَلْهُ النَّاسُ لَأَنْفُسِهِمْ مِثْلَهُمْ الْأَعْلَى ثُمَّ زَعَمُوهُمْ فِيهِ، وَزَعَمُوهُ لَهُمْ عَلَى سَفُورٍ مِنْهُ وَعَلَى قَبُولٍ وَاضْطِرَارٍ مِنْهُمْ.
- الْجَنَّةُ الَّتِي عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ مَفْتُوحَةٌ عَلَى دَوَامٍ، وَالْدُخُولُ فِيهَا وَالْخُرُوجُ مِنْهَا، قَائِمٌ عَلَى دَوَامٍ.

مصادر التوثيق والتحقيق

- | | |
|---|---|
| ١ | سورة سبأ - ٤٦ |
| ٢ | سورة آل عمران - ١٠٤ |
| ٣ | حديث شريف: "يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ." أخرجه مسلم |
| ٤ | سورة الأحزاب - ٢١ |

(١٧)

ذو القرنين

و

ذو قرنيها

في الرقاب وتحت السحاب

حديث الجمعة

١٣ ذو القعدة ١٣٨٠ هـ - ٢٨ أبريل ١٩٦١ م

يا سامق يا كل سامق (النظرة الأولى لك والثانية عليك)¹.

أحرص على ما هو لك، وتهياً لما هو عليك. إن لك أن تطلب الله لتعرفه، وعليك أن تمثل الله وتعرفه. لا تفرط فيما هو لك، فإن أحسنت فيما هو لك أمنت من العيوب فيما هو عليك. هذا ما نصح به عبد الله ورسوله وسيد الناس مسلماً طلبة فوجده، أسلم له وآمن به، عرفه فعرف ربه، وآمنه فأمن نفسه. لم يتناقل إلى الأرض في الطريق التي سلك، ولم يخل عن البذل بما من الله ورسوله ملك حتى وفي فمن الله ملك، ولم يتوقف في طلب العلم عن المزيد حتى لهو باب مدينته - أو مدينته من جديد -.

رفع طبقا فوق طبق وهو بين الناس، ومشى بقدميه على الرؤوس لم ينظر ما تحته، ولكن نظر رأسه وتحسسها تحت أقدام الحقائق، فتصاعد طبقا فوق طبق، لم ير أحدا تحت قدميه لأنه لم ينظر بعد عند نعليه. ولكنه رأى أقداما فوق رأسه يطيب لها أن تأخذه إليها، لا ينقطع له لعولها اجتياز ولا ينقطع له بها إحساس، ولا غرابة فقد كانت أبوة ذاته بفطرتها علما على معناه في طلب الله، فكان متخلقا بفطرته على طلب مولاه، فكان جديرا أن يكون أبو جدته أبو طالب علما على علي في الطلب والمطالب. ذلك هو المسلم نبت في دين الله، وبعث في بعث رسالة الله، وأسلم لرسول الله، فكان مسلماً لله، وكلمة وشجرة طيبة لله، وابنا لحقيقة رسول الله، وآدما لأبناء محمد الله وعبدا لله.

عرف رسول الله عليه مجهولا، وعرف ربه في الكل معلوما فعرف نفسه، عرف نفسه في الله عليا سامقا قديما يطلب الله، وعنوانا لرجل في طلب الله. وعرف في رسول الله مولاة كما عرف فيه إمامه، فترسم خطاه أمامه، فتبعه في متابعتة بقرآنه ثم تابعه في صورته وعنوانه فما فصل بينهما غبار ولا فرقهما دار.. فلم ينقطع له في الله مسير، ولم ينته له في الله مسار.

أخرجه الله في رسالة الإسلام عنوان المسلم للمسلمين، وعنوان المؤمن للمؤمنين، وعنوان العارف للعارفين، وعنوان المبارك للمباركين، وعنوان القدس للمقدسين، وعنوان وجه الله للعارفين، وعلم الشهادة للشهداء لسيد المرسلين، باب مدينته للعالمين، وخزينة رحمته للمؤمنين، وحوض مائه للواردين، وكلمة الله منه، وكلمة الله إليه، وكلمة الله فيه، وكلمة الله لأُمته، عنها يصدون ولها يخاصمون أو يصالحون، فيها يكسبون أو معها له يتابعون، فيها يتخلصون، تتكاثر فيتكاثرون، وتنتشر فينتشرون، فلها منه يُعْنُونُون، وبها معه يُعْنُونُون.

فما عرفه الناس لأنفسهم، وما طرقوه بابا لمدينة العلم لمعلمهم، وما قرأوه كتابا لدينهم، وما شهدوه وجها لربه وربهم، وما امتدت إليه أيديهم - يد الله - لنجدتهم يُبَايعُونَ، أو لخلاصهم من أرض تواجدهم طريقا لله بها يتمسكون، أو عبدا لله وخادما للناس يتابعون.

حكموا عليه بهوى أنفسهم لأنفسهم - ولا يزالون - لا بما هو عليه، ولا بهواه مما سمعوا ويسمعون، فما تفتحت آذانهم لما يقرعها مما يدركون، رأوه بعيونهم وما تفتحت بصائر أبصارهم لما يشهدون، ولو شهدوه لطلبوه، ولو طلبوه لسعدوه، وكانوه، فهل اعتقدوه وتابعوه فلم يحيوه؟! إنه حوض الحياة ما وردوه، وماء السقي ما تعرضوه، وروح أرواحهم ما استحيوه، ودوام رسولهم ما عرفوه، ووجه ربهم ما شهدوه، ورجاء أنفسهم ما حققوه، ودوام الحياة لهم ما رجوه وما أملوه، وأمر الله بينهم ما أطاعوه، وندائهم الصارخ ما لبوه.. إنه الطريق ما سلكوه.. إنه الليل لقلق أنفسهم ما سكنوه.. وإنه النور لعقولهم ما استضاءوه.. وإنه الحرية لأرواحهم ما استنجدوه.. وإنه إنسان كل شيء الذي تحدثوه وما طلبوه.. إنه ذو قرنيتها ما حذروه.. إنه خادمها في الحياة الأولى، وحاكمها في الثانية ما تأملوه وما عبروه.. النظرة الأولى له بها يعلم ومنها يستعلم وبفيضها يُعَلِّم ويتكلم، والنظرة الثانية عليه بها يُعَلِّم، ومنها يعلو ويحكم، وإليه ينظر وله يسلم.

كيف هو؟ وكيف كان؟ وكيف صار؟ وإلام وصل؟ إن فيه أمر رسول الله للدنيا، وأمر رسول الله للآخرة، وأمر الرسول في نفسه لنفسه، به يعرف الرسول وبه يحتجب الرسول. إن له أن يعذب وإن له أن يتخذ في الناس حسنا. أما من آمن فله جزاء الحسن. وأما من كفر فيعذبه، يضرب بينه وبينه بسور ظاهره من قبله العذاب وباطنه من قبله الرحمة.. يعذبه حتى يفني إلى أمر الله.. يعذبه

وقد عصى والعصا لمن عصى، والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقالة.. إنه لا يعذب الأحرار.. إنه لا يعذب الذين آمنوا بالله ورسوله وسلوكوا السبيل، بل يجزيهم جزاء الحسنى ولهم من الله ما له إخوان على سرر متقابلين. إنه توريث الأرض لربها وللصالحين من عباده فالأئمة من ذريته. إنه فارس الأولى وفارس الآخرة.

أما العبيد الذين لا تصلحهم إلا العصا فيعذبهم عذاب السيد الشفوق.. عذاب الرحمن الرحيم، عذاب المشفق.. عذاب الأبوة يوم تعذب، عذاب الأمومة يوم تغضب.. فن أفاء، فعفا الله عما سلف، وأصلح له بيد الرحمة ما من نفسه أتلف.

فإن لم يصلح فيرد إلى ربه.. يرد إلى ما رب على نفسه من دنيا عمله.. يرد إلى ما رب على نفسه من مال أحب.. يرد إلى ما رب على نفسه من جاه طلب.. يرد إلى ما رب على نفسه من طاغية سالم أو له أسلم.. يرد إلى ما رب على نفسه من ظلام استراح له أو جهل اطمأن به فيعذبه ربه هذا العذاب الأكبر.. يرد إليه عمله.. يحيط به عمله.. يتحكم فيه عمله، وهذا هو العذاب الأكبر، وهو العذاب المنكر، العذاب الذي لا يدركه الإنسان ولا يريد أن يدركه في دنياه.

إن الله يداول الأيام بين الناس.. النظرة الأولى لهم، والنظرة الثانية عليهم.. ليس هذا أمرا يخص عليا دون الناس، ولكن الرسول وهو يعرف عن المسلم ما يكون، عرف عن مسلم بين الناس كان - أسلم فسلم، وسلم فعلم، وعلم فأكرم، وأكرم فكرم. عليه الحق أنزل، فصار حقا، فبالحق إلى الناس نزل.

بالحق أنزل الله قديم محمد لآدم آدمًا على صورته، فكان محدث محمد صورة له، فكان بمحدثه.. كان بجلدته صورة قديمة من الحق لآدم بعثا له. وطلب إلى الناس أن يؤمنوا بما أنزل على محمد كشف عنه غطاؤه - وهو الحق من ربهم - فإن فعلوا متابعين كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم لأنه سوف يقع لهم ما وقع له. وقد أخبروا وبشروا وأعلموا ليعلموا أنه بالحق أنزل، وبالحق نزل، وبالحق ينزل. وهكذا هم إن كسبوا الحياة، وهذا هو الحق من ربهم يتم لهم ما قام وتم لمحمد إن آمنوه ليكونوه منه ربهم من ربهم.

بالحق أنزله في قديمه الأزلي على آدم بدئه الأبدي، في نظام الله السرمدى. بالحق ينزله.. وقد سواه، إذ نفخ فيه من روحه، فأصبح لا قديم ولا جديد. أصبح لا خلق ولا خالق. أصبح لا عبد ولا معبود يوم فعل، فأُنزل بالحق على بدء حياتكم، وإنسان نشأتكم، وآدم تواجدكم. كلكم إليه خلقا وكلكم

إليه حقا. بذلك صار الخلق حقا في قديم ولم يصبح الحق المحدث في حاجة لعون لمن ينزله وقد صار في مكنته أن ينزل فنزل رحمة منه وحنينا لمن كان بينهم بخلقته يوما.

{وبالحق أنزلناه} ^٢ والمتكلم غيب المتحدث عنه {وبالحق نزل} ^٣ والمخاطب عين المتكلم عنه.

عرف علي ذلك في محمد بعد متابعتة ومصاحبته فأسلم ما ندم، ما طلب دنيا طلبها الناس معه وما طلب آخرة عمل لها الناس في مصاحبته، ولكن طلب أن يكون رباطه بمحمد دائما لا ينقسم، وصلته بمحمد قائمة لا تنقطع، وحبه ل محمد مشبوبا بين جوانحه لا يفتر، ونظره على محمد مستقيما لا يتلفت يمنى ولا يسرى، لا ينقطع عن متابعتة ولا يغمض عن مصاحبته، وهكذا يريد في دوام لا يتوقف أبدا. ترك الدنيا والآخرة خلفه، وتابع محمدا إلى ما يسير إليه، لم يوقف الموت متابعتة، فلم يعرفه في حق محمد فكان هذا له في حق نفسه. كان محمدا هواه وكان له كل الحياة، وكان له أمله ومغناه. فنى فيه فناء لم ينقطع مرتقا، وبقي به بقاء لم يتوقف مغناه. عرفه لا إله إلا الله، عرفه وحدانية الله فكان في مرتقا أنه لهذه الدحية من دحى الله في ملك الله ذو قرنيها، ولكل كوكب حاكمه وإنسانه في قانون الله. وكان لأبناء رسول الله أباهم وآدمهم في أوادم معناهم ما انتسبوا إليه بالروح أو الجسد. وكان للناس طريقهم وحوضهم وسيدهم ما شرفوا بسيادته، وخادهم ومعناهم ما شرفوا بوحدانية أحدية عبوديته.

تخلى ويتخلى به رسول الله عن النشاط في هذه الأرض ومن فيها وما فيها مخلقا له بحقه حقا منه عليها، مواصلا رسالته في عوالم الظلام والنور، للأبيض والأحمر والأسود، من الإنس والجن والملك.. يعلم الملائكة حتى لا يعترضوا على ربهم، ويعلم الجن حتى يمتثلوا لإرادة سيدهم، ويعلم الإنس حتى يؤمنوا بأبيهم، عبدا لله وربا لهم.. في الدنيا والآخرة يرعاهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، ويغفر لهم خطاياهم، فهم له من عين معناه، وأنه لهم بعين معناه. فهم أبناء لآدم، وكلهم آدم. إنهم آباء وأبناء بجمعهم يتابعون حقا لحق رسول الله وخلقنا لخلق رسول الله، وكلهم في حقيقة أمرهم من رسول الله. إنهم عباد لله، وأرباب عوالمهم بالله، خلف قائد ركب عوالمهم وسيد العالمين.

كل هذا جاءت به رسالة محمد، فغنى بها من غنى، وسعد بها من سعد، ونجا بها من نجا، وأسلم لها من أسلم، وها هو كما أنزل بالحق، بالحق ينزل، وكما جاء من الغيب من الغيب يجيء، وكما نبت من الأرض من الأرض ينبت.. يتلاقى بشقيه من الأرض والسماء، في رسالة الروح ووسطاء الروح، ودوائر الروح، ومدرسة الروح، وأمة الروح. يمتد بنوره في المظلمين ويتقلب بإسلامه في الساجدين.

ها هو إنسان الأرض يتخلله إنسان السماء فيصبح خليلا للرحمن...

ها هو إنسان السماء، يتعشق إنسان الأرض، فيصطفي لنفسه، فيُحِبُّ ويُحَبُّ.. ها هو إنسان الأرض حبيب إنسان السماء، ها هو الإنسان حبيب الإنسان. ها هو الإنسان خليل الإنسان، ها هو الإنسان رفيق الإنسان، ها هو الإنسان عبد الإنسان، ها هو الإنسان رب الإنسان.

بالرسالة الأولى لكامل الذات وسبقها من الذوات قام البلاغ، وبالرسالة الثانية للروح ومرتها في عوالم الروح يقوم البيان. إن الذي أنزل محمدا بالحق أراد أن يعرف باسم محمد حضرة صفاته ونبي الأنبياء وإمام الأنبياء وقدوة الأبناء عبدا ورسولا وجماع المرسلين، هو الذي أمره بأن يتجهد من الليل بمن يتجهد به نافلة له امتدادا للنور الذي أنزل معه، حتى يبعث في الناس بالمقام المحمود، وهو المبعوث فيهم على دوام بالمقام المفروض، {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}.

أنكر الناس عليه ما به من الحق ووقفوا عند ما به من الخلق، فلم يعرفوه محمد مقام. ولا أحد من أنفسهم في حمد الله قيام. ولم يسلموا له محمود بعث في دائم قيام الخلق في دائم قيام الخالق، ولكن الله الذي أنزله بالحق وصرح له أن ينزل بما فيه من الحق، وجعله يقوم ويتقلب في الساجدين، عرفه وعرفنا أنه راده إلى معاد في دائم دورة هو بها أولية رسالة فهو معاني الأولية للحقائق والآخرة للخلائق في رسالة الله، بل في رسالة الإنسان في الله.. من الإنسان إلى الإنسان.. في دوام لا ينقطع بدورة في الله لآدم يدورها، كلها عم الظلام، وآن إشراق يوم بفجره من السلام في دوام لا ينقطع أبدا وما توقف في قديم أزلا. هذا هو رسول الله وآدم الله وحق الله وعبد الله في سرمدية الله. أما السفر بذلك محمود المقام فأمر من اختيار الرحمة لمن تختار له من عوالم الليل.

هذا سمعناه منا، وهذا عرفناه عنا، وهذا تدارسناه بيننا. ولكن أين هو لنا؟ إن الذي يهمننا ويجب أن نعني به، والذي يُسعدنا، والذي يجب أن نحقق لأنفسنا، أننا به نعمل وفيه نقوم وإليه نسعى.. وهذا ما ترونه في هذه الأيام وفي هذا العصر من أمر الروح ووصلتها، وأمر النفوس الصالحة واستجابتها. وهذه هي طريق الله، وهذا هو دين الله، لمن آمن بالله ولمن سلك إلى الله مسلك. فنسأل الله أن يقوم نفوسنا لإرادته، وأن يهين لنا سبيل الرشاد فيه، وأن يمن علينا بطريق الإيمان، فنسلم لرسول الله قائما، دائما، قديما، باقيا، متجددا، متعددا، متكاثرا، متجمعا، منتشرا. لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.

اللهم انصرنا لك على أنفسنا.. اللهم وفقنا وسدد خطانا وخذ بيدنا. اللهم قوم فيك سبيلنا وأصلح أمرنا.. اللهم ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، اللهم انصرنا على أنفسنا حكاما ومحكومين، اللهم قومنا حكاما ومحكومين، اللهم بصرنا حكاما ومحكومين، اللهم وفقنا حكاما ومحكومين، اللهم سدّد خطانا حكاما ومحكومين، اللهم تولّنا حكاما ومحكومين، اللهم أحْيِ قلوبنا حكاما ومحكومين، اللهم

تولّنا في الصغير والكبير من شأننا حكما ومحكومين، اللهم أنزل السكينة على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك..

أضواء على الطريق

- نَحَى نفسه عن إنائها وأناها، وأدخلها في النفس الأكبر للرسول من أصلها ومعناها، لتعمل بمعناه لا بمعناها، وتتواجد بأناه متخلصة من أناها، وسلم ذاته مُسلِّها لذات الرسول، لتكون صمام قلب لمجالات نفسه يحددها الرسول، فيها يتواجد في دوام تواجده فيه، ويظهر به في دوام ظهوره عبد السجود وعلم الموجود ووجه الشهود.
- (أقبل عليّ تحت السحاب)°. (أنا مدينة العلم وعليّ بابها)°. (من كنت مولاه فعليّ مولاه)°
- (مالي والدنيا أنا في الدنيا عابر سبيل)°
- (عليّ مني بمنزلة هارون من موسى وإن كان لا نبي بعدي)°.
- (بايعتك على ذلك ١٠ - هذا أخي ووحيي وخليفتي فيكم ١١ في أول الرسالة ولكم ملك العرب والعجم ١٢)°.
- (أما يرضيك يا علي أن تكون أنت أخي؟) ١٣ - عند الهجرة والمؤاخاة.
- (جعل الله ذرية كل نبي في ظهره وجعل ذريتي في ظهرك يا عليّ) ١٤.
- {وتعيها أذن واعية} ١٥ - (هي أذنك يا علي) ١٦ -.
- {قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا} ١٧ - (يا علي أنت ذو قرنيها) ١٨.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من حديث شريف: "يا علي. إن لك كنزا من الجنة، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة." جاء في حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل. كما جاء بصيغ مختلفة في المكتبة الشيعية.
- ٢ سورة الإسراء - ١٠٥
- ٣ سورة الإسراء - ١٠٥
- ٤ سورة القصص - ٨٥

- ٥ من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حين كسا علياً عمامة يُقال لها السَّحَابُ، فأقبل عليٌّ ذات يوم وهي عليه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا عليٌّ قد أقبل في السَّحَابِ". الراوي: محمد الباقر بن علي بن الحسين، المصدر: ذخيرة الحفاظ، وجاء في المكتبة الشيعية بأكثر من صيغة وسند.
- ٦ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأتِهِ مِنْ بَابِهِ". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.
- ٧ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد عليٍّ رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بلى قال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بلى قال فهذا وليٌّ من أنا مولاه اللهم والِ من والاه اللهم عادِ من عاداه. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٨ إشارة إلى الحديث الشريف: "مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب استظلَّ تحت شجرة ثم راح وتركها". أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد.
- ٩ حديث شريف. "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي". صحيح مسلم وصحيح البخاري.
- ١٠ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فيما سمي "حديث يوم الدار" أو "حديث دعوة العشيرة"، حين جمعهم الرسول وحدثهم عن رسالته فرفضوا دعوته، وما قاله: "فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيتي وخليفتي فيكم؟ فقال سيدنا على وهو أحدثهم سناً "أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه. تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.
- ١١ حديث شريف: "هذا أخى ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا" يعني علياً رضي الله عنه. أخرجه الطبري في تفسيره، وجاء في سيرة ابن هشام، كما أخرجه ابن جرير في "التفسير" وابن عساكر.
- ١٢ عبارة جاءت في كتب السيرة النبوية المختلفة بتعبيرات متعددة، في إشارة لليوم الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم قومه للإسلام وما قاله لهم: "يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة فقال عز وجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...". تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.
- ١٣ إشارة للحديث الشريف حين آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه، بعد الهجرة، فقال لسيدنا علي: "أنت أخي في الدنيا والآخرة". أخرجه الترمذي، وابن عدي، والحاكم. ويصفه المحدثون بأنه موضوع.
- ١٤ حديث شريف: "إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب". أخرجه الطبراني، والسيوطي، وغيرهم من المحدثين.
- ١٥ سورة الحاقة - ١٢
- ١٦ جاء في تفسير الطبري أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ما قرأ آية {وتعيا أذن واعية}، قال للعلي كرم الله وجهه "سألت الله أن يجعلها أذنك".
- ١٧ سورة الكهف - ٨٦

١٨ من حديث شريف: "يا علي. إن لك كنزا من الجنة، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة." جاء في حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل. كما جاء بصيغ مختلفة في المكتبة الشيعية.

(١٨)

بقية الله

رسالة الروح بعد رسالة النفس

ليقظة العقل وقيام الحياة

حديث الجمعة

٢٠ ذو القعدة ١٣٨٠ هـ - ٥ مايو ١٩٦١ م

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء}.١

يا أيها الناس..

استيقظوا من نومكم..

ارجعوا البصر كرتين.. كرة إلى ماضيكم على أرضكم، وكرة إلى ما تنتظرون من مستقبل جنسكم على أرضكم. إن فعلتم! ينقلب إليكم البصر خاسئا وهو حسير. إن فعلتم! يكشف عنكم غطاؤكم. إن فعلتم! تعلم نفس ما قدمت وما أخرت، ولم عادت؟ ولم وجدت؟ وفي أي طريق سُيرت؟ فتعرف كيف نشأت ومن بدأت. إن فعلتم رأيتم ثبات جنسكم، وتجدد مفرداتكم، ودوام ذكركم فرعا لقديم، وأصلا لجديد.

يا أيها الناس..

إن الذي تدعون من ذكركم الله إنما هو معكم أينما كنتم، وكيفما كنتم، ومتى كنتم، وهو جماع ما أنتم على ما أنتم تشهدون في حاضر يومكم، من الأرض بدأكم ولا بدء لكم! كما تشهدون من الأرض انتهاءكم ولا انتهاء لكم! تشهدون يوما من أيام أو ليلة من ليالي، وأيامكم لا تعد ولياليكم لا تحصى.

يا أيها الناس..

إن الذي تلوك ألسنتكم من أمر ربكم، إنما هو ما هو قائم على كل نفس منكم بما كسبت، إنما هو ما هو من وراء كل نفس منكم بما يحيط، أنتم له وجوه - على ما أنتم - علما على حكمته، وعلما على إرادته، وعلما على صنعه، وعلما على أمره، وعلما على حقه، وعلما على خلقه، وعلما على فعله، وعلما على فاعليته، وعلما على ما فعل، وعلما على ما انفع، وعلما على ما يفعل، علما على أسمائه وصفاته. ملكوته بين جوانحك، وقبلته في قلوبكم، وعوالمه في ذواتكم.

يا أيها الناس..

لا تسوفوا أمر الله وهو عليكم قائم، ولا تسوفوا وجه الله وهو بكم قائم، ولا تسوفوا ما وعدكم الله في أنفسكم وهو في قيامكم نافذ قائم، ولا تسوفوا ما وعدكم الله وهو بينكم قائم، ولا تسوفوا ما أعلمكم الله أو علمكم عنكم، فهو بينكم وفيكم وبكم متواجد وموجود ويتواجد.

يا أيها الناس..

لا تسوفوا ما جاءكم به الدين في شأن جنة أو نار، وفي شأن دنيا تمرون بها أو آخرة تستقرون فيها، أو قبلية لا وجود لكم في زمانها، أو بعدية تتواجدونها تواجدا لا تفنون فيه أبدا. فكل ذلك أمر الله وشأنه، وكل هذا لكم قائم، وعليكم قائم، وبكم قائم، وفيكم يقوم، وبكم ينفذ، وبإرادتكم يتواجد، وبإرادتكم في الغفلة عنه يختفي، وبكشف الغفلة يشهد ويدرك.

يا أيها الناس..

لا تفرقوا بين الله ورسله، ولا تفرقوا بين رسل الله وبينكم. إن الله يصل رسله ويصلي عليهم في حياتهم برسالاتهم وعليهم فيمن يدعون بدعوتهم. وإن رسله يصلونكم ويصلون عليكم ما وصلتموهم بمتابعة، ويتصفونكم ما اتصفتموهم بحبة، ويتواجدونكم ما تواجدتموهم بمعرفة بالله.. وبذلك يصلي الله عليكم صلاته عليهم، فيخرجكم بصلاته وصلته من الظلمات إلى النور. إن الله وملائكته يصلون على كل نبي.. إن الله وملائكته يصلون على كل إمام.. إن الله وملائكته يصلون على كل ولي.. إن الله وملائكته يصلون على كل نفس تزكت.. إن الله وملائكته يصلون على كل عبد لله، على كل عبد للرحمن، على كل رحمة مهداة. لقد كشف محمد ذلك للناس فانقطع به الإنباء عن الحياة، وقامت به الحياة لكافة الناس، وإن عباد الله وكل من صلى عليهم الله وملائكته يصلون على الناس لتكون صلاتهم وصلتهم بالناس سكا لهم ورحمة من الله عليهم، وصلة من الله بهم وصلاة منه عليهم. وبذلك كانت أمته بمعناه، الحق الوسط بين قديم ومحدث الحقائق للخلائق من أمم البشرية السرمدية.

يا أيها الناس..

لا تغيبوا الديان فيغيب الدين.

يا أيها الناس..

ادخلوا في الدين لتشهدوا في أنفسكم الديان. إن الله معكم على دوام. وصفاته قائمة عليكم وقائمة بكم على غير انقطاع. في أمن وسلام.

يا أيها الناس..

أما آن لأرض نفوسكم أن تشرق بشمس الله، وأن تغذى بنور الله، وأن تقوم بأمر الله؟! أما آن لأرض نفوسكم أن تخشع لذكر الله، وأن تستقبل ماء الحياة، وأن تهتز وتربو وتثمر فتكسو أديمها بخضرتها، وتغذى أرضها بثمرتها؟! أما آن لها أن تخرج أثقالها، وتخرج من نحووها إلى حركتها.. فتتصاعد في السماء بغصون شجرتها.. وتمتد في باطن الأرض بجذور عترتها.. وتقوم شائخة بوحدها.. وتمتد وتتسع وتتكاثر جنة لله ببهجتها، فيها كلمات الله الطيبة، فيها أصول إنسانية الله من أوادمه، فيها كلماته التامات في وحدتها قدسي حضرتها؟!

يا أيها الناس..

أما آن لكم أن تدركوا في الله عظمة أنفسكم به موصولة، وضالة أنفسكم عنه مقطوعة.. بين شجرات خبيثة تجتث من فوق سطح الأرض فما لها من قرار.. وشجرات طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها بإذن ربها كل حين؟!

يا أيها الناس..

أما آن لكم أن تبدأوا من أنفسكم متأملين، وأن تطلبوا الله بدءاً من معيتكم شاكرين، ولربكم معكم ذاكرين؟! أما آن لكم أن تدركوا أنكم ظاهر ربكم؟! أما آن لكم أن تدركوا أن ربكم ليس إلا باطنكم من الله؟! أما آن لكم أن تدركوا أنكم وربكم من الحي القيوم؟ بالحياة منه تقومون فيظهر، وبالحياة عليكم يقوم فتحيون، وبوابة الموت إلى الحياة تجتازون، فتعلمون أن الموت ما خلق إلا نعمة لكم، لها تجهلون وبها تجحدون، وأن الحياة به مخلوقة لكم ولسعادتكم وديموميتكم لها لا تدركون ولا تطلبون ولا تعلمون، وأن الله الحي القيوم لا يُخلق ولا يخلق، ولكنه يفعل بالظهور فيظهر خلقاً، وينفعل بالكبرياء والتعالي، فيختفي عن جلايبه من خلقه إلى معانيه من حقه.

أما آن لكم أن تعلموا أن الإنسان في معناكم، وأن الإنسان في غيبكم، وأن الإنسان فيما لا تدركون من غيب أو شهادة، إنما هو الإنسان؟ لا يتبعض ولا يتجزأ ولا ينفصل ولا يختلف.. ولكنه في أمر صامد لأنه من الحق ولأنه الحق.

إن الإنسان هو الخلق، وإن الإنسان هو الحق، وإن الإنسان هو العبد، وإن الإنسان هو الرب، وإن الإنسان هو الظاهر، وإن الإنسان هو الباطن، وإن الإنسان هو المخلوق، وإن الإنسان هو الخالق، إن الإنسان هو كل شيء.. فإن فقد إنسانيته فهو لا شيء.. إن الإنسان هو الله في كنزيتة وتعالیه. إن الإنسان هو الله في فاعليته وتدانيه. إن الإنسان هو الله في قدرته بالله خالقا، وفي تجلي الله به موصوفا بالخلق.

لا تعطوا حاضر إنسانيتكم ما لا يستحق أو أكثر مما يستحق، ولا تمنعوا إنسانيتكم عما تستحق. ما من كمال للإنسان إلا وعند الله أكمل منه. وما من فعل للإنسان يسيء إليه ويضيعه إلا وعند الله ما هو أقسى منه.

إن الإنسان بحقيقته هو المختار لعدمه بإرادته، والمختار للحياة بها بإرادته. واختيار الإيمان هو اختيار للحياة، واختيار الكفر هو اختيار للعدم. ومن شاء فليؤمن بالله في نفسه. ومن شاء فليكفر بالله في معنى غيره. إن الله لا يقبل أن يشرك به، ويغفر ما دون الشرك به.. {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}²، {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله. إن الله يغفر الذنوب جميعا}³.

إنكم بتواجدكم على هذه الأرض، وعلى هذه الصورة، وبهذه الإمكانيات، وبهذه الإرادة الحرة الطليقة، كانت لكم فرصة الحياة. إنها فرصة الأنا. إنها فرصة الوجود.. إنها فرصة العمر.. إنها فرصة الشهود.. إنها فرصة التواجد.. إنها فرصة الزواج والتخالل.. إنها فرصة التوالد والتكاثر.. إنها فرصة الامتداد بحاضر الحياة، في التكاثر بمظاهر وجلود الحياة لكسب ذات الدوام بالحياة.

إنكم في هذه الحياة، إن حييتم، تمتدون في آباءكم سَامِقِينَ، وتمتدون في أبنائكم قَائِمِينَ، وتمتدون في مزاوليكم متسعين، وتمتدون في أحبابكم وإخوانكم شافعين. إنكم في هذا النوع من الحياة على هذه الأرض من حيوات إنسانية الكواكب، ومن حيوات إنسانية الروح، تجمعون ما بين حياة عوالم الروح وحياة عوالم الكواكب، تجمعون بين حياة الخلق وبين حياة الحق، تجمعون بين ظاهر الحياة وباطن الحياة، تجمعون بين مرضي الحياة في دور الرضاء، وبين مقلو الحياة في دور الابتلاء. إنها صورة صغيرة مجسمة لحياة العالم الأكبر.

إنكم في حياة ما قبل آدم تتواجدونه. إن ذواتكم هي أرض آدم ولبنات ذاته بيتا لله، ما ارتبطت قلوبكم، وتراصت ذواتكم، والتحمت نفوسكم، واتحدت عقولكم، وامتزجت أرواحكم، وتوحدت في الله وجهتكم، فاستقامت طريقكم. فآدم الله يقومكم وتقوموه، ويشهدكم وتشهدوه، ويتواجدكم وتتواجدوه، بيتا لله تتجمع بكم أركانه، ويتصاعد بكم بنيانه، ويتجدد بكم في الدهر زمانه، ويبقى ويصمد في الحياة ذكره وعنوانه.. ذكراً لله وعلماً على الله ووجهها لله، في وحدة لوجه ناضرة بوجه ربها لوجهه ناضرة، تقوم قيام أمره، وتكشف مكنون سره، وترفع للناس فيهم عنهم ستره.. أول عابدين لا آخر لهم وأول ذاكرين لا انتهاء لهم، وأول عاملين لا انقضاء لعملهم ولا توقف لبنائهم وفعلهم.. بهم يستدير الزمان على هيأته كيوم خلق الله السموات والأرض من سدم دخانها من النفوس سرجا لله، وأراضين لله، وسموات لله، وملك وممالك لله.. إنسان الله لهم جماعهم رب العالمين، ملك ومالك يوم الدين وجهها لله وطلعة له.. مشهودا لوجه المعبود من الله مخاطبا من وجوهه بالعابدين {إياك نعبد}، ومن وجوهه بالفقراء المفتقرين {وإياك نستعين}.. ومن وجوه علمه الذين يعلمون أن عطاء الله غير مجذوذ، وأنهم وربهم في تعالٍ لا انتهاء له، فيطلبون الأكثر من الرشاد، ويفارقون ما بقي من العناد {اهدنا الصراط المستقيم} ٦ يطلبون مزيدا من استقامة السبيل الذي لا نهاية له والذي لا بداية له، والذي لا يحده عرض ولا تشغله أرض.. {صراط الذين أنعمت عليهم} ٧ أولين مع من أنعمت عليهم من العابدين فما كنا في أولئك بأولين.. فالأولية فيك لأولية معناك وهذه نعمتك لمن تشاء، يا صمد الصفات، لا تنقطع أولياتك، ولا تتوقف عن إبراز آحادك.. وكل أحد فيك ليس كفؤا لأحديتك، وإن كان أحدية خلقك.. وأحدية عبادك يتوحدون مع أحدية عبدٍ لك.. يا أحد الآحاد.. يا أولية الأولين بلا أولية له.. يا أولية الأولين السرمدية، والسرمدية من فعله ومن عطائه.

ها نحن نعتقد أمرك، ونرى عدمنا مع وجودك، كما نرى ضعفنا وقدرتك، ونرى سعادتنا في اصطفائك، لم تلد ولم تولد، كلماتك إلى آدم بك منك إليك بإرادتك هو أحدها وجماعها أوجدته فيه باصطفائك، وجعلته وجهه ربوبيتك إلينا ووجه عبوديتك إليك، وكنت قديمه بنورك، وكان جديدي في معنى ذاتك. كنت مذكوره وكان ذكرك. كنت أوليته وكان أوليتنا. أوليتنا فيك لك.. به عرفناك وبه نتواجد بمعناه لمبناك عبادا لك جددته لنا عبدا رسولا.. وجعلته بقديمه من معناه بك موصولا.. وجعلته بما أودعته من حقل لنا حوضا ووصولا، وجعلتنا الأحياء بصلته والعباد بمعرفته، وجعلت أمتة أمة وسطا يقومون آدمًا ويعبدون أنفسهم لقديم لآدم، ويجددون أنفسهم في الحياة آدمًا.. ويتركون ويخلفون من بعدهم آدمًا.. هذا دينهم وهذا إيمانهم وهذا شرعهم وهذا علمهم.. إذا ارتضيتهم تفضلا منك على عبدك ومرتضاك للدوام رسالة، وارتضيتهم للدوام كغابا، وارتضيتهم للدوام آدمًا، وارتضيتهم للدوام إنسانا، وارتضيتهم للدوام حقا، وارتضيتهم للدوام لك عبدا.

إن هذه البشرية.. إن هذه الأرض.. إن هذه الدحية بين دحى الله في واسع ملكه تحمل أصول إنسانية ما قبل آدم. منها يبدأ ومنها يصطفي بأولية بيته يرفع، كما تحمل إنسانية ما بعد آدم عليها يتحقق بمعاني حقه ببيته يوضع.

إن هذه الأرض وهذه البشرية تقوم بها جنة آدم كما تقوم بها أرض بعده، ومنها ذات قطيعته وذات رجعتة وذات نشأته، كما تقوم بها أرض اختباره وأرض اجتباؤه وأرض علمه وارتقائه، في معانيه من ذاته.

إن هذه البشرية كتاب جامع للحياة، بحاضر الحياة من قائم الحياة.. ترى فيها بدايات لآدم، وترى بينها نهايات لآدم، وترى فيها اصطفاءات لآدم. ويرى بين أهلها حقائق لآدم، ويقوم عليها عباد للرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. كما يقوم عليها رجال للطاغوت يفسدون في الأرض باسم الإصلاح، ويقومون بالصلاح باسم الفلاح، ضل سعيهم، إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، وإنهم المفسدون ولكن لا يشعرون. فكيف عن الفساد يردون؟ وكيف السبيل إلى حماية الأرض منهم؟ إلا بالالتجاء لله رب العالمين الذي بحكمته أبدعهم، ومعرفة أسباب حكمته، والعمل لإجابة إرادته.

إن هذه الأرض يجتمع عليها آدمية ما قبل آدم، وآدمية آدم، وآدمية ما بعد آدم.. عليها يتلاقون وعليها يتعارفون.. إن هذه الأرض تجمع آدماء في اصطفاؤه وآدماء في ابتلائه، فيها يتباغضون وعليها يتنافرون ويقتتلون.

إن هذه الأرض تجمع آدماء هُدي السبيل، وآدماء ضل السبيل.. تجمع آدم الصحيح السليم وآدم العليل السقيم. عليها يتعارفون، ويتعاونون، ويتناصحون.

يا أيها الناس..

ابدأوا معارفكم من أنفسكم، وابدأوا أمركم من ذواتكم، وابدأوا حياتكم من يومكم من حاضركم، واعلموا أن ما تشهدون من روح الله تدانيكم وتكلمكم من وراء حجاب من بينكم إنما هي بقية الله من حقيقة رسولكم من أنفسكم، جاء به الحق إلى أرضكم وكان أولية عباد لبيت الله من بينكم، بكم يقوم وبكم يبعث، ولم يكن آخرة عباد الله منكم أو آخرة بيوت الله لكم.

إن الروح المرشد الذي يدانيكم مرسلا من الروح الأعظم على الوجود القائم بكم، إنما هو رسول الله، إنما هو بقية رسول الله تدانيكم من حقيقة الأعظم بالحق لكم من الله لتذكركم وتجدد لكم أمور دينكم، لتعلمكم أن الدين إنما يقوم في شهادة أن لا إله إلا الله وفي شهادة أن محمدا رسول الله، وأن شهادة

أن لا إله إلا الله تُشهد في شهادة أن محمداً هو الحق المرسل من الله، وأن شهادة أن محمداً رسول الله، لا تشهد الحق من الله إلا بشهادة أن لا إله إلا الله.. فهما شهادتان متلازمتان لا تنفصلان ولا يفترقان أبداً، لا يتقدم أحدهما على الأخرى ولا يتخلف أحدهما عن الأخرى (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لا تضلوا أبداً، فإنهما لا يفترقان أبداً)^٨، فكتاب الله في شهادة أن لا إله إلا الله، وعترته رسول الله تقوم بشهادة أن محمداً رسول الله في الناس يتكاثرون، وفي الناس يمتد وفي الناس ينتشر ويتناثر.. فيهم يتواجد، به يحيون ويتواجدون وجوهاً لله وحقائق من الله.. فهما شهادتان متلازمتان في دين الله معنى لا إله إلا الله. ولأن عباد الرحمن يمشون على الأرض عترته رسول الله، وعلمها على رسول الله، وجوهاً لله مطلّة من بيت الله، فهم الحق من الله في دائم تعريفه عن شهادة أن لا إله إلا الله لا يفترقون عن الكتاب ولا يفترق الكتاب عنهم. من عرف الكتاب مستقلاً عنهم فقد ضل وأضل، أضله الله بالكتاب. ومن تمسك بمعناهم دون الكتاب جهلاً منه، وجهلاً به وجهلاً بهم ولم يقيم بكتاب الله فقد ضل.. إنهما لا يفترقان أبداً.. إنهما عماد الحقيقة وعماد الطريقة، وعماد الدين، وعماد اليقين، وعماد النجاة.. {ولمن خاف مقام ربه جنتان} ^٩ من ذكر ربه في نفسه تضرعاً وخيفة.. عرفه في نفسه ونجّاه، وأذهب عنه الخوف ما قطعه وما جفاه، وما نسيه أو تناساه، وما أغفله في أخراه من دنياه، قائماً لله وجهاً له في معناه {وأذكر ربك في نفسك...} ^{١٠}.

إن الله يُخشى في قطيعته، ولا يخشى في عذابه.. مرحباً بناره مع وصلته، ولا كانت جنة مع قطيعته. إن الحقيقة في الجنة في الاتصال به، في اتصال القلوب بالاجتماع عليه. وإن العذاب إنما هو في فرقة القلوب تنفصل عن القلوب عامرة به. إن العذاب في الجهل به، وفي السير في الظلام لا هدى منه ولا نور يسري في القلب عنه.

ليس هناك جهنم إلا في قطيعته، وليس هناك جنة إلا في أن تنجو بوصلته.

ما كان الله ليعذبهم لو سلكوا طريقه، ما يرسل الله بالآيات إلا تخويفاً، ما يفعل الله بعذابهم، إن الله مخرجهم من النار التي طال اضطبارهم عليها، وراحهم بوصلته التي غفلوا عنها، ما تذكروهم واتبعوا السبيل.

اذكروا الله في أنفسكم لا تعمهوه، واذكروه رحيماً لا تجافوه، واذكروه متصلاً لا تقطعوا أنفسكم منه، واذكروه كريماً ما شكرتموه، فهو يرحمكم ويخلصكم من أنفسكم ما طلبتموه، وهو قريب منكم ما ذكرتموه، وهو مجيب لكم ما ناديتموه. وهو ملائكم بكم ما وحدتموه.

اللهم إن حالنا ظاهر بين يديك. اللهم فتولنا وارحمنا. اللهم عاملنا بما أنت له أهل وعافنا مما نحن له أهل. اللهم خذ بيدنا حكاما ومحكومين، وقوم فيك طريقنا، وأوضح لنا سبيلنا. اللهم ولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا. اللهم تولنا برحمتك عاصين وطائعين، وتولنا برعايتك يقظين وغافلين، وخذ بيدنا أجمعين، وأنزل سكينتك على قلوبنا والسلام والسلام على أرضنا.

أضواء على الطريق

من هدي القرآن:

- إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.
- أينما تولوا فثم وجه الله - والله من ورائهم محيط - أقرب إليكم من حبل الوريد - ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر.
- كل من عليها فان ويبقى وجه ربك - يرث الله الأرض ومن عليها - كشفنا عنك غطاءك - قل جاء الحق.
- قائم على كل نفس بما كسبت، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت - إن الأرض يرثها عبادي الصالحون.

مصادر التوثيق والتحقيق

- | | |
|---|--|
| ١ | سورة النساء - ١ |
| ٢ | سورة النساء - ٤٨ ، سورة النساء - ١١٦ |
| ٣ | سورة الزمر - ٥٣ |
| ٤ | سورة الفاتحة - ٥ |
| ٥ | سورة الفاتحة - ٥ |
| ٦ | سورة الفاتحة - ٦ |
| ٧ | سورة الفاتحة - ٧ |
| ٨ | إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكنم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي: |
| ٩ | سورة الرحمن - ٤٦ |

(١٩)

آدم

على صورة إنسانه

فهو لله عنوان عنوانه

نقطة مركز البداية وأطراف دائرة اللانهاية

حديث الجمعة

٢٧ ذو القعدة ١٣٨٠ هـ - ١٢ مايو ١٩٦١ م

باسم.. باسم الله.. باسم الله الرحمن.. باسم الله الرحمن الرحيم..

باسم.. باسم الله.. باسم الله الحي.. باسم الله الحي القيوم..

باسمك.. باسمك الله.. باسمك اللهم..

باسمك لا اسم لك ولا وصف لك ولا شريك لك..

بك نستعين وإياك نعبد..

يا من هو معنا بلا متى، ويا من هو معنا بلا أين، ويا من هو لنا بلا كيف.

يا من هو أنا بلا شريك منا، يا من هو من ورائنا بإحاطته، يا من هو أمامنا بوجوه طلعت، وبطلعة جماله، وبديع أحواله.

يا من هو أقرب إلينا من حبل الوريد، وجوها له على ما يريد، لا على ما نريد.

يا من لا إرادة إلا إرادته، ولا مشيئة إلا مشيئته.

يا من لا إرادة لنا إن عرفناه، ولا مشيئة لنا إن وحدناه، ولا وجود لغيره إن عبدناه.

يا من جنته لنا إن كُتِّه، ويا من نارنا منه إن حُرِّمناه، ويا من حسابه علينا في يقظة الضمير لنا، ويا من إيماننا به في إدراك الافتقار إليه.

يا من هُوَ لا هُوَ، ولكن لا إله إلا الله.. يا من هو الله.. يا من هو لا إله إلا الله.. يا من هو في قلبه عبده ورسوله.. ويا من هو في تنزيهه، وطلب العطاء منه، والنمو فيه.. الله أكبر.

يا من أوجد آدم على صورته، وهو ليس كمثله شيء.. فجعل آدم في صورته ليس كمثله شيء في أي صورة ما شاء ركبته.. يا من هو في معناه إلينا كل شيء، وأوجد آدم على صورته مشهودا في كل شيء، سواء فعله. يا من تنزه عن الأشياء، فكان وراء كل شيء، وخلق آدم على صورته فجعله وراء كل شيء وبدء كل شيء ونهاية كل شيء، ونزهه عن كل شيء.. فجعل كل شيء من أجله خلق. وبإرادتك فيك من أجلك تخلق.

يا من هو ظاهر لم يختفي.. يا من هو حاضر لم يغيب.. وخلق آدم على صورته فجعله ظاهرا لم يختفي ولن يختفي، وحاضرا لم يغيب ولن يغيب.

يا من لم يظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، فشرف الإنسان بظهوره باسم الرحمن، وخلق آدم على صورته فجعله الإنسان، وجعله ما وراء الإنسان من الإنسان، وما أظهره في شيء مثل ظهوره في الإنسان.. وظهره برحمته ذكر الرحمن عبدا للرحمن.

يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.. وأوجد آدم على صورته.. أوجده بإرادته من عمله وإرادته، وأوجده بمعناه من اصطفاؤه لمعناه، فلم يلد وإن ولد من يعادله، ولم يولد وإن ولد ممن يعادله، ولم يكن له في معناه وفي بيته وفي ولده كفوا أحدا يعادله من جمعه في معناه فيهم، بمعناه لهم يتواجدونه ويتواجدهم واحدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

يا من جعل آدم عنوانه، وجعل آدم كتابه وبيانه، وجعل آدم باطنه وإنسانه، يا من عرّفه آدم فأكبر وعرف، وظهره آدم فروي وشرف، وتكنز بالتخلق بأخلاقه آدم فتكنز وغاب، وتجدد منه آدم في غيبته في جلاب اسم الله، وذكر الله.. فظهر به غيب الله، وعرف به ذكر الله، وجاء به الحق من الله، بجديد لتقديم في دائم من آدم إلى آدم بآدم رسولا وعبدا لله.

يا من كرمنا أبناء له، بوصفنا أبناء لآدم، كرما منك ومنّة.. ويا من وعدتنا وواعدتنا، كلمات منك، بمعناه عبادا لك، وكلمات منه بمعناك له أوادم للناس.. وفعلت، وتخلف الأعم، ونحن منهم فتي؟ وأين؟ وكيف هذا الوعد؟ نقول متى بجهلنا ولا متى لك. ونقول أين بجحودنا ولا أين لك، ونقول كيف بتخلفنا ولا كيف لك. يا متانا، ويا أيانا ويا كيفما نكون تكون.. أمرتنا أن نبصر في نفوسنا..

وهذا هو المتى، وهذا هو الآن والكيف لنا، فكيف نسأل أين وأنت معنا؟ وكيف نسأل متى وأنت معنا أيما كذا؟ وكيف نسأل كيف وأنت راعينا ومكيفنا؟ إننا بغفلتنا عن أنفسنا نغفل عن نفسك لنا، ونغفل عنك جماعنا. وبكفرنا بأنفسنا في وحدانيتك نكفر بنفسك وجودنا، ونكفر بك في كفرنا بنا منك، ونبعدنا عن أنفسنا نبتعد عن نفسك، ونبتعد عنك، فنسأل في أعماقنا ونتساءل بيننا متى لنا أنت؟! وأين لنا أنت؟! وأنت لنا حيث أنا، وأنت لنا حيث كذا، وأنت حياتنا كيفما كذا.

يا حياة أحيانا.. ويا أنا اكشف الغطاء منا، فينكشف البلاء عنا.. بلاؤنا في غطائك عنا، وجزاؤنا في ارتداد عملنا علينا أخطأنا أو أحسننا.. فنحن بارتداد أخطائنا في نار من فعلنا، وفي بحيم من خلقنا، وفي جهنم من مسلكنا، وفي ضيق من منهجنا. ونحن في ارتداد ما يسرت لنا وإليه وقفنا، في سعادة بك.. من عملك عملنا.. يا من صنعتنا وصنعت ما كان من صنعنا، يا من جعلت كل شيء منك كل شيء منا، لأننا منك في كل شيء منا.

هذه الأرض وما فيها وما حولها.. هذه البشرية بماضيها وحاضرها ومستقبلها.. هذه الحياة.. هذا القيام المظلم، من دخان متجسد للسماوات والأرض.. هذا القيام الظالم لنفسه بجهله عنه.. منه يبدأ النور، ومنه تبدأ الحياة، ومنه تبدأ الإجابة لمناديه، ومنه تبدأ الحكمة، ومنه يبدأ آدم، ومنه يبدأ الإنسان، ومنه تبدأ الكلمات، ومنه تبدأ الآيات، ومنه تبدأ الحيات. كما أنه من ورائه يختفي الإنسان، ويختفي آدم، وتختفي الكلمات. إنه قيام عظيم على ضالته في موجود الله الواسع العلم. وإنه قيام رحيم في حقيقته، رغم ظلم الناس فيه لأنفسهم، به مغفورين، متضائلين. وإنه قيام رتيب في ذاته مبین بآياته، منبج بعظمة صفاته، على ما يبدو للمدرك في حاله وإن زعم الغافل مظهر فساد أحواله.

إنه الصراع المولد للحياة.. إنه الصراع الخالق للنور.. إنه الصراع المهيئ للدفع.. إنه الصراع بين مثاليات الوجود وخیالات العدم، تظهر به عظمة الله وحكمة الله.. {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}¹ {ولولا دفع الله الناس لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا}².

يا أيها الناس لا تستبينوا بالحياة التي تحيونها، ولا تستعلوا بما تحيون على الحياة.. فأنتم الحياة بظاهر الحياة وأنتم الحياة بباطن الحياة، وأنتم الحياة بقديم الحياة، وأنتم الحياة بمستقبل الحياة، وأنتم الحياة بحاضر الحياة.. إنكم لا تحيون ولا تبقى لكم الحياة إلا بسرمدى الحياة ترتبطونه وتتصلونه وتتواجدونه وتتوحدونه في الحي القيوم.. آمنوا بالحياة على ما هي الحياة. وآمنوا أن الناس على الأرض بمعناهم الناس على الأرض، لهم الدوام ولهم الحياة.. الله من ورائهم محيط مهما تجددوا، والله قائم على كل

نفس بما كسبت مهما توالدوا.. والله في هذه الحياة بالناس مهما حصدوا. (جعلت الأرض لي مسجدا وطهورا) ^٣ (بينما أنا نائم أطوف بالكعبة رأيت رجلا آدم...) ^٤، (أول من تنشق عنه الأرض أنا) ^٥، {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} ^٦...

ففي هذه الحياة من حياة الناس، يبدأ الناس الحياة. وفي هذه الحياة من حياة الناس، يجدد الناس الحياة، ويتجددون بالحياة، عنها يغيبون، وإليها يعودون، وكما بدأوا فيها على ما بدأوا في قديم هم في جديد يبدأون وبقابل يتواجدون. إذا شهدوا الله فيها أحبوا وأحبوا الله فيها، فحرصوا وحرصوا على تجدد أوانيها في جديد منهم، لقديم لهم، بحاضر من أوانيهم يبعثونه بموت يفعلونه لا بموت ينتظرونه عما قليل يفقدونه.. هذه الحياة وعما قليل أو بعيد إليها يعودون وما هم عنها بغائبين.. فهذا هو البعث يبعثون، وهذه هي القيامة يقومون، وهذه هي الساعة يشهدون يوم أنهم لحق الله يدركون ولكلام الله يفقهون. فلم للحق تسوفون؟ ألها مع الله تنتظرون؟ والحق ظاهر في حياتكم فلم لا تنتظرون ولم لا تتأملون؟! وبديعه قائم بكم وقائم لكم فلم لا تشهدون؟! ألها مع الله تطلبون؟ أشريكا لله تتواعدون؟ أغيبا لله تستحضرون؟ لا ولكنكم حاضر الله فيكم وحوكم تجدون، وبه لا تؤمنون، وله لا تطلبون، وأنتم تنظرون فياه لا تقومون، وبتراب جلود ذواتكم تتعلقون، وأنتم من التراب وإلى التراب تعودون، ومنه بالتراب تبعثون، فأين الروح في عقائدكم أيها المسلمون؟ أمسلمون أنتم وأنتم من الروح تيأسون، وإذا تفضلت فظهرت تنكرون وتجدون، وما ظهرت إلا على ما كنتم تواعدون؟ الحق مواجهها تواجهون، وبباطلكم من الأوزار تجابهون وتستكبرون، وأنتم بالروح مع الروح تتصلون، وبالنور من النور تشرقون، وبالنار من النار تستدفئون؟... أترابي الوجود تؤمنون، وحياة الله الحي القيوم في الأحياء - كما تحيون - تجدون ولا تحرصون؟ للروح فيكم تنكرون، وبسربال الأوزار والأثقال تتمسكون، وللتراب خلود، ودوام التراب في أنكم به تجدون، وعنه تموتون وبه تبعثون، والمادة والروح تواصلون، فطورا به تسربلون وطورا منه تتخلصون.

هذه هي الدنيا، وهؤلاء هم الناس. فتي بيقظة يتواصلون؟ وعن الله فيهم يتناجون؟ وبالحق من ورائهم محيط يتذاكرون؟ وبالحياة للحي القيوم أقرب إليهم من حبل الوريد يتعارفون؟ والشيطان يجري منهم مجرى الدم يحذرون ويحذرون؟ متى الله لا يغيبون ولا يسوفون؟ ومتى الحق في أنفسهم بأنفسهم لأنفسهم يقيمون ويقومون؟ فلا يجحدون ولا يتجاهلون، فأباء جهل ينون ويتقيدون. ومتى من هو معهم يخشون؟ ومن هو عليهم يرهبون؟ ومن هو لهم يحبون؟ فلا حاكما يحذرون وينافقون، ولا ظلما يأتون، ولكنهم في استقامة من أنفسهم يقومون، يؤمنون ويستأمنون، ويأمنون بأمن الله معهم يعتقدون، وبه يقومون وفي الناس يقيمون.

هذه هي حال الأرض على ما ترون. وهذا هو حال الناس على ما تذاكرون. فإن سمعتم القول، وقبلتم النصيح، فكنتم لأنفسكم ناصحين، فاعتزلوا الناس وما من دون الله يعبدون، ولا ترتبطوا بهم فيما يعشقون من دنيا بها يتعلقون، وهي مزرعة للآخرة فيها يتواجدون، وعليهم أن يعطوها وصفها إذ يعملون، وأن ينتفعوا بها مرحلة في الحياة بها يمرون، وهم لا يقومون فيها خالدين.

عُدُّوا أنفسكم من الموتى تكونوا من المؤمنين.. وكونوا من الموتى تصبحوا من المشاهدين.. وتعالوا بالحياة عن مشهود دنياكم إلى دنيا هؤلاء الموتى من الناس تحيونهم بينكم فيهم تحيون، وبنور الله في الناس تمشون، وإتمام نوركم من الله تسألون.. ربنا أتمم لنا نورنا - كما توعدون - فيتم الله لكم نوره فتعرفون، وذكر الله تكونون، وأسماء الله تنادون، وبيوت الله ترفعون، وبيوت الله وكلهات الله توضعون.

هذا هو الدين به تُذَكَّرُونَ.. اعبدوا الله على ما يليق بالله أيها العابدون. وعبدوا أنفسكم لذكر الله فبذكر الله تتوحدون. وذكر الله مع ذكر قديم متوحد تتواجدون على ما بشرتم وتعلمون، وعلى ما عرفتم وآمنتم وتطلبون، فتشهدون وتعلمون وتعرفون، فتشهدون وتعلمون وتعرفون.

إن الله وملائكته على النبيين يصلون. وإن الله وملائكته على المؤمنين يصلون. وإن الله وملائكته عليكم اليوم يصلون. إن الله وملائكته بالعارفين العالمين يتصلون، فإياها المصلين لا تجحدوا الصلاة صلة تقوم برب العالمين، وأقيموا الصلاة صلة بقبلته تتصلون وإليها تتجهون، ولا تصلوا صلاة تمنعون بها الماعون، ومن الله بها بعدا تزدادون، إذ كنتم بها من المرائين، فتمسخوا على مكاتكم من الضالين، وتكونوا رسلا مضلين للشياطين.

هذا هو الدين على، ما تُذَكَّرُونَ وعلى ما تسمعون، وغيره حديث الضالين المضلين. ولا توارثوا منقول الغافلين حتى لا تراءوا يوما بثوب الغفلة تلبسون وتبعثون. واعلموا أن الله معكم أينما تكونون، وكيفما تكونون، وأن الدين المعاملة معه على ما هو عليه معكم، وعلى ما يجب أن تعرفوا أنه مع الآخرين فله في حاضرهم تشهدون، ومعه تتعاملون والله ولي المؤمنين وولي الصابرين.

إياك نعبد يا من هو معنا.. وإياك نستعين.. يا قريب يا مجيب يا معين.. يا معلم يا هادي يا مبين.

يا من هو معنا إليك نفتقر وبك نستعين.. اللهم يا من هو اللهم إلى ذكرك اللهم.. وإلى اسمك اللهم.. وبمعناك اللهم.. اللهم إليك نجأ، وإليك نلجأ، ومنك نلتمس، وبك نستعين. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا، والأمن والأطمأنينة على نفوسنا، والرضا والسكينة على قلوبنا، وخلصنا من شرور أعمالنا، ومن شرور الأشرار من خلقك، وآمنا في ديارنا، وآمنا في حرياتنا، وآمنا اللهم من نفوسنا، وآمنا اللهم في أولادنا وأزواجنا، وآمنا اللهم في آبائنا وذرياتنا، وآمنا اللهم في دنيانا

وفي أخرانا.. واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك، وأصلح أحوالنا حكما ومحكومين، روادا ومرودين يقظين وغافلين عالمين ومتعلمين.. لا إله غيرك سبحانه إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

من هدي الرسول والكتاب:

- من أول خلق الله يا رسول الله؟ قال آدم.. ومن قبل آدم؟ قال آدم.. ومن قبل آدم؟ قال آدم ولو ظلمت تسألني إلى ما شاء الله لقلت آدم.. قبل آدم مائة ألف آدم..
- لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم..
- هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا..
- وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا..
- أحسب الإنسان أن يترك سدى..
- كل من عليها فان ويبقى وجه ربك...
- وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى..
- ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير..
- وما كنت متخذ المضلين عضدا..
- واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق..
- والله من ورائهم محيط.. أفمن هو قائم على كل نفس.. ونحن أقرب إليه من حبل الوريد..
- ما وسعتني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبي المؤمن.
- ما ظهرت في شيء مثل ظهوري في الإنسان. إذا أحببته كنته.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة هود - ١١٨، ١١٩

٢ سورة الحج - ٤٠

- ٣ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضها منه في أحاديث أخرى.
- ٤ من الحديث الشريف: "يَنْمُو أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُطَوَّفُ بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبَطُ الشَّعْرِ، بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطَفِ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبَتْ أَلْتَفَتْ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعَدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الدَّجَالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبْهًا ابْنُ قَطَنِ". أخرج به البخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٥ من الحديث الشريف: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا نَخْرُ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا نَخْرُ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ وَلَا نَخْرُ وَلَوْاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا نَخْرُ". صحيح ابن ماجه.
- ٦ سورة القصص - ٨٥

(٢٠)

لبيك

على عرفات أنفسنا

حديث عيد الأضحى

١٠ ذوالحجة ١٣٨٠ هـ - ٢٤ مايو ١٩٦١ م

لبيك.

لبيك الله.

لبيك اللهم لبيك.

لبيك أقرب إلينا من حبل الوريد.

لبيك يا من هو معنا أينما كنا.

لبيك يا من هو من ورائنا محيط.

لبيك يا من هو كل شيء وكل أشياءنا.

لبيك يا من هو كل معنى وكل معانينا.

لبيك يا من هو مشيئتنا وإرادتنا وحياتنا وقيامنا ووجودنا.

لبيك في دمائنا.. لبيك في عقولنا.. لبيك في أرواحنا..

لبيك في نفوسنا.. لبيك في معانينا..

لبيك مستويا على عرش أوانينا.

لبيك يا من هو قديمنا في أحسن تقويم.. لبيك يا من هو قابلنا في أحسن تقويم.. لبيك يا من هو أحسن تقويم.

لبيك يا من لا وجود مع وجوده ولا شهود مع شهوده..

لبيك لا إله غيرك ولا معبود سواك.

لبيك يا بارئ يا معيد، يا من بدأتنا فيما لا نعلم، وأوجدتنا فيما لا نعلم، وتعيدنا للوجود فيما لا نعلم.

لبيك يا من علمتنا كيف نعلم وكيف لا نعلم.

لبيك في علمنا.. لبيك في عمائنا وجهلنا.

لبيك في حياتنا أحياء ولا حياة لنا.

لبيك في معانينا من معانيك ولا معنى لنا.

لبيك في وجودنا من وجودك ولا وجود لنا.

لبيك أيها الحياة.

عباد الله:

في مثل هذه الأيام من كل عام نأتي منسكا نسميه بالحج، ويقطع الزمان في حياتنا أياما، نسميها بالعيد، ونميز في جمعنا بين من حج وبين من لم يحج، ونتميز بوصف الحاج لمن حج.. فما هو الحج؟ وما هو العيد؟ وما هو العود؟

إن الحج في الدين إنما هو على ما يعرفه من عرف الدين ومن دخل الدين، ليس إلا توبة صادقة يتوبها المسيء - وكلنا هذا المسيء - توبة من أكبر الكبائر، هي أصل الكبائر تتساقط بجانبها وبالمقارنة لها كل الأخطاء، هي الشرك بالله، والقيام بالنفس، والعزلة بالأناء. فجعلت شعيرة الحج توبة صادقة من هذا الوزر ومن هذا الاعتقاد ومن هذا القيام، إذا ما أداها العبد، إذا ما أداها المسلم، إذا ما رجع بها المؤمن فارغا قلبه من كل ما سوى الله، وقد ذهب قاصدا بيت الله يطوفه ثم يدخله ويصبح من أهله، مرتحلا إلى مكان يقدهس لأن هذا المكان قدسه من قبله إمامه وأسوته وقدوته عبد الله ورسوله على سنن من سبق. وهو على نهجه يسير وبسنته يعمل.. يطوف كما طاف، ويحج كما حجَّ ويحجافي كما جافى، ويخلع لباس قيامه إلى لباس عزيمته، لا فرق بينه وبين الناس، مُحْرما عن رؤية أنانيته وعزله إلى جديده من اندماجه ووحدته.. هو والناس كل لا يتجزأ.. هو والناس واحد لا يتفتت.. يلون تلبية واحدة، ويقفون وقفة واحدة، ويقطعون يوما واحدا.. كلهم في بادية من صحراء.. على ربوة وهاوية.. يلتفون حول جبل يرون فيه عنوان الرحمة، وتحيطهم سلسلة من جبال يرون فيها عنوان الحماية والوقاية. يلون من ناداهم إلى هذا المكان ليلقاهم في أنفسهم ولا مكان له.. صحراء جرداء إلا من رحمة الله.. تعنون التجرد من الدنيا وشهواتها، والبعد عن التعلق بقيمها وخيراتها، طلبا لمبدعها في جنته من

الأرض الطيبة، يذكر فيها اسمه، ولا يعرف فيها خير إلا خيره ولا ري إلا ربه، ولا يذكر فيها اسم إلا اسمه، ولا يعرف فيها معروف، إلا معروفة في نفس عبده.

إن الحج ليس أكثر من توبة صادقة لمن صدق في توبته، ليس أكثر من رجعة صادقة لمن رجع إلى ربه معه في نفسه، فإذا كان المصلي قد لا يزداد بصلاته من الله إلا بعدا وقد غيبه عنه وسوفه له، وإذا كان الصائم قد لا يناله من صيامه إلا الجوع والعطش إذ لم يهني بالصيام كشف معيته له، فكذلك الحاج قد لا يرجح من إتيانه لهذا المنسك إلا المشقة والنصب وتمضية الوقت في التعب وإنفاق المال، واشغال البال، إذا لم يكن في هذا المنسك نزعة منه في التوبة إلى الله والرجعة إليه. وإن صدق الإنسان في توبته، وإن صدق في رجعته، حج ولو هو في عقر داره. فالحج إنما هو لحظة اليقظة.. إنه لحظة الضمير.. إنها لحظة الحياة يوم يرجع الإنسان صادقا إلى ربه مدركا له في معيته.

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، كل مولود يولد على الفطرة، وارث الإنسان بفعله، وتحمل الله عنه فعله إلى أسفل سافلين.. ثم تهيأت له برحمة الله سبل التوبة والرجعة إلى الله، ليرجع بعمله، وبيقظته، وتوبته، إلى أحسن تقويم عملا منه وعطاء من ربه غير ممنون.

فالإنسان بغفلته متأثرا ببيئته سقط إلى أسفل سافلين من أحسن تقويم. والإنسان بيقظته يرجع إلى طبيعته من أحسن تقويم. ولا يرجع الإنسان إلى أحسن تقويم أو يسير الإنسان في الواقع إلى أحسن تقويم، وهو يلتفت خلفه إلى قديمه.. إلى سقطته.. إلى كبوته، سواء من حيواته القديمة التي لا يدركها أو من أوقاته القديمة التي هو مدركها ولم يقطعها في يقظة وقطعته في غفلة.. فلينظر الإنسان أمامه دائما ولينظر إلى حاضره وغده، ولا يلتفت إلى أمسه إلا بما يقتضيه إدراك التجربة، ولا يأس من رحمة الله، مما حصل من معاصيه وغفلاته من فعله بأمسه، من حاضر حياته أو قديم حيواته.. إن الله يعفو عن كثير، وإن الله يغفر الكثير، وإن الله لا يسأل عبده ما سأل العبد نفسه، ولا يذكره بماضيه من أخطائه ما كره العبد لماضيه بأخطائه.

إن وجود الإنسان على هذه الأرض، على ما سبق أن بدأه ربه في قديم من حيوات، إنما هو في ذاته توبة. إنه رجعة إلى الله، إنه حج مطهر كل مولود يولد على الفطرة، لا يسأل عن حيواته القديمة ولا يرتبط بها مهما كان بها من أخطاء أو سيئات. إنه ابن يومه في حياته الراهنة. الله مولاه والله قائم عليه بما كسب وبما يكتسب والله معه حيثما كان، والله من ورائه محيط.. فليقطع نفسه من شجرة ماضيه ما أدرك خطيئته، وليزرع نفسه في شجرة الحاضر ما رأى أرضها وعرف زارعها.

إن الإنسان بإرادته وبأنفاسه كل يوم في لباس من خلق جديد ما جدد نفسه بتجديد فكره، وما أكبر ربه عما هو فيه وعما هو إليه وما وحد إلهه جامعا لهما، وما آمن بالله إيماناً بهما في معناه مولى له يراعه ولا ينساه.. فما عاد عبد لله من حجه إلا قبله الله لما صنع به الله وقد بدل سيئاته حسنات، وإن كانت أمثال الجبال.. من تاب تاب الله عليه. من استغفر غفر الله له. من رجع إلى الله وجد أحضان الله مفتحة له.

هذا هو العود إلى الله، وهذا هو العيد لمن أعاده إليه الله، وقد أعاده عقله وأعاده ضميره فعادت نفسه إلى الله.. فما أعاده في الواقع إلى الله غيره، وما عاد إلى الله بغير الله.. ومن عاد إلى الله فقد حج. عباد الله:

لا تقنطوا أبداً من رحمة الله. واعلموا أنكم على أرضكم في بيت الله، وفي مسجد الله وفي حج إلى الله، ما ذكرتم الله في أنفسكم تضرعاً وخيفة.. ألم يقل لكم رسوله من أنفسكم ومن أتم على دينه: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) ^١ ؟ ألم يقل لكم: (زويت لي الأرض) ^٢ ؟ ألم يقل لكم: (تناكحوا تناسلوا) ^٣ فيني مباح بكم الأمم يوم القيامة) ^٤ ؟

إنه عرف حكمة الله من خلقه للخلق، إنساً وجناً، ما أوجدهم إلا ليعرفوه في أنفسهم ويمثلوه لأنفسهم، وعرف أنه بالغ فيهم أمره، وأنه جعل لكل شيء سبباً، وأن رحمته غالبية عذابه، وأن رحمته هي التي تقوم في عبده وتتخلله، وأن العبد مهما علا فهو ضعيف، وأن العبد مهما ضعف فهو به قوي. إن الضعف إنما هو في العزلة عن الله حتى العدم، وإن القوة إنما هي في قيام وحدانية الله وعقيدة وحدانية الله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، حتى وجه الله.

إن محمداً عبد الله ورسوله، به ومنه وفيه نعرف الدين، ونعرف اليقين، ونعرف أنفسنا، ونعرف الله. إنه وصلتنا بأنفسنا، وإنه وصلتنا بربه ربنا لنا.. إذا لم تطف عقولنا حول اسمه ورسمه وبيته وكتابه ودعوته ومعناه وقيامه وغيبه وشهادته وقربه وبعده وحبه وبغضه، فلا دين لنا، ولا رب لنا، ولا إله لنا.

إن العودة إنما هي إليه عبداً لله.. وإن البدء إنما هو منه بعثاً به حقاً لله.. وإن الحب إنما هو له وجهاً لله.. وإن الرضا إنما هو عنه رحمة من الله.. وإن الوصلة إنما هي به، حقاً من الله، فهل عرفناه على ما يليق بنا أن نعرفه أو على ما يليق به أن يُعرف؟

كيف يُعرف الله إذا لم يعرف عبده ورسوله؟ وكيف يقدر الله إذا لم يُقدر عبده ورسوله؟ وكيف يوصل الله إذا لم يوصل عبده ورسوله؟ وكيف يقوم الله إذا لم يقوم عبده ورسوله؟

هل لنا عقول نفكر بها؟ هل لنا نفوس نحس بها؟ هل لنا قلوب نحن ونخشع بها؟ إن عقولنا عاطلة، ونفوسنا جذوتها خامدة، وقلوبنا أرضها هامدة، فكيف يكون لنا قيام بالله إذا لم يقم فينا ذكر له ونزوع إليه وتواصينا بذلك فيما بيننا؟ كيف يكون لنا ذلك ونحن نرى آباءنا قل منهم من كان كذلك وما زلنا على أثرهم؟ ونحن نرى جمعنا وأمتنا تستغرب ذلك، وتستبعد ذلك على ما كان عليه أصولها من جاهليتها؟ إن من استيقظ قلبه وجنانه من بيننا فقد استيقظ به أمة للحكمة، فليحرص على ذلك لنفسه وأثره، وليعلم أن ما أصابه من رحمة الله فيه الخير الكثير يعم البشرية، وينتشر فيها من روحه، فيبعث رفاتنا ويحيي أمواتنا، فليدأب على ما هو عليه، وليواصل المزيد فيه.. فما من كمال إلا وعند الله أكمل منه، وما من جمال إلا وعند الله أجمل منه، وما من قرب إلا وعند الله أقرب منه، وما من ارتقاء إلا وعند الله أعلى منه، وما من علم إلا وعند الله أوسع منه.. فاحرصوا على ما أنتم في الله، واحرصوا على طلبكم لما أدركتم من نعمة الله، ومن رحمة الله، ومن الوعي عن الله، واجعلوا حديثكم عن الله وعملكم لمرضاته.

هدانا الله وإياكم سواء السبيل، وجمع قلوبنا في ساحة رحمته، وأنزل السكينة عليها بجوده وكرمه، وأخرجها من الظلمات إلى النور بفضله وعطائه.. لا إله غيره ولا معبود سواه.

اللهم كن لنا في الكبير والصغير من شأننا.. اللهم تولنا فيما نعلم، وفيما لا نعلم، وول اللهم أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا.. وذكرنا حكما ومحكومين.. وخذ بنواصينا إلى الخير حكما ومحكومين.. وتولنا برحمتك حكما ومحكومين.. اللهم اغفر لغافلنا واقبل من عاملنا.. وألف بين قلوبنا ووحيد جمعنا....

لا إله غيرك إليك المصير.

أضواء على الطريق

- {وأذن في الناس بالحج يأتوك....}٤
- {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت}٥.
- {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها}٦.
- {النبي أولي بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}٧.
- {في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}٨.
- {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا}٩.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ". سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ٢ من حديث شريف: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَتَبَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ... أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.
- ٣ حديث شريف: "تَنَاحَوْا تَنَاسَلُوا أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". المحدث: الزرقاني. المصدر: مختصر المقاصد. خلاصة حكم المحدث: صحيح.
- ٤ سورة الحج - ٢٧
- ٥ سورة الأحزاب - ٣٣
- ٦ سورة طه - ١٣٢
- ٧ سورة الأحزاب - ٦
- ٨ سورة النور - ٣٦:٣٧
- ٩ سورة آل عمران - ٩٦

(٢١)

دوام الإنسان وتجديد العنوان في عباد الرحمن

حديث الجمعة

١٢ ذوالحجة ١٣٨٠ هـ - ٢٦ مايو ١٩٦١ م

أستغفر الله، وأعوذ بالله، وأستعين بالله، وأبدأ باسم الله.. ذكر الله.. صبغة الله.. لا إله إلا الله..

كلنا يردد حديث رسول الله.. (الظاهر مرآة الباطن)^١، وكلنا يردد قول كتاب الله {وخلقناكم أزواجاً}٢ وكلنا يستمع ليستجيب {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}٣ {ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير}٤ {ويضرب الله الأمثال للناس}٥، ويبرز الله للناس في أنفسهم وفي الآفاق آياته لعلمهم يتذكرون، لعلمهم يتأملون، لعلمهم يعقلون، لعلمهم يبصرون، لعلمهم يؤمنون، لعلمهم يتحققون.

أبرز الله لنا بالإسلام رسالته، قامت على ما قام به رجلان توحدوا فكانا رجلاً وصلهما من الغيب - غيب الإنسان - حق كانا له وجه، فكان الظاهر بالرجلين، عين الباطن للوجه في الوجهين، وكان الظاهر بأمر رسول الله وظله هو عنوان للباطن من أمر الله وامتداده.. جعل الله طاعته في طاعة رسوله ودوامه، وجعل أمره في أمر رسوله وقيامه، {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً}٦ حكم دائم القيام في دوام الإسلام.

لقد كان رب محمد ورسوله إلى محمد، ما كان في محمد وفي رسوله لأمته من عليّ يوم قال: (أنا مدينة العلم وعليّ بابها)^٧، ويوم عرّف: (من كنت مولاه فعليّ مولاه)^٨ ويوم آخى فقال له: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وإن كان لا نبي بعدي)^٩.. (لقد خلفت الله عليكم)^{١٠}.

إني أعرّفكم، وأبشركم، وأحذركم، وأعدكم، وأنقل إليكم.. تأملوه يوم قال لي: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}١١، جعل لي الخلد في سجودي وقيامي، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}١٢.

كان علينا أن نعرف محمداً ومن آخى، ومحمداً ومن ولد، ومحمداً ومن معه توحّداً، ومحمداً ومن به آمن، ومحمداً ومن في نفسه له جدّد، ومحمداً ومن في نفسه بُعث.. كل هذا لم يكن موضعاً لدراسة لا من أصحاب محمد ولا من أتباعهم على دينه.. اللهم إلا النذر اليسير، والعد القليل ممن نبذهم الناس، وأسماهم قوماً، وما وصلوهم وما في أنفسهم نشرهم، وما في دنياهم تابعوهم، وما في أمرهم شفّعوهم، ولا من ربهم لأنفسهم طلبوهم فأوجدوهم فوجدوهم فتواجدوهم.

من كان جبريل؟ من كان رب جبريل؟ من كان مرسل جبريل؟ ما كان جبريل إلا الأقدم من إنسانية محمد من نفسه في عصره، وما كان مرسله إلا الأقدم منه من الإنسان من أصول هذه الإنسانية تمشي على الأرض.. وما كان محمد وعليّ إلا مظهرين لهذين الحقين القديمين من الإنسانية يمشیان ويدبان على الأرض، سمهما ما شئت.. نفسان تزاوجتا أو نفس ولدت نفساً، أو روح ولدت روحاً، أو نور انشق عنه نور، أو آدم تواجد منه آدم، أو آدمان قديمان تلاقيا وتواجدوا وبعثا. لا عبرة بالألفاظ ولكن العبرة بالمعاني ينشدها الإنسان ليعرف عن حقيقة الإنسان، بما أودع قديم الإنسان في جديده من العقل والوعي.

فليس ديناً أي قول وأي تعليم لا يدل الناس على حقيقتهم بكشف معنى الناس، من رب الناس ملك الناس، إله الناس.. أين رب الناس إذا لم يكن الناس؟ وكيف ملك الناس إذا لم يكن الناس؟ وهل هناك معنى لإله الناس إن لم يتواجد الناس؟ الناس من رب الناس وليس رب الناس من الناس.. الناس لملك الناس وليس ملك الناس للناس.. الناس من إله الناس وليس إله الناس من الناس، ولكن الناس بإيمانهم برب الناس وتوحيدهم لرب الناس، أصبحوا رب الناس. وإن الناس بطاعتهم لملك الناس، ورضائهم عن ملك الناس، أصبحوا في ملك الناس ملك الناس. ولكن الناس في إكبارهم لإله الناس، وطلبهم لإله الناس، ومرتقاهم في إله الناس، وحجهم لإله الناس، وافتقارهم لإله الناس، أصبحوا علماً على إله الناس.

إن الناس في الحقيقة من الناس، خليفة هي مظهر لحقيقة. وإن حقيقة الناس، من حقائق الناس، حقيقة هي مظهر لحقيقة. إن الناس إذا ارتقوا وهم الخليفة، فطلبوا ربهم من إلههم، وطلبوا وجه الله في معاني ربهم، من قديم الناس بحق الله، حقّقهم الله وسرى فيهم نور الله، لمس قلوبهم، وغفر ذنوبهم، وستر عيوبهم، وسد فاقثهم، وأشبع رغبتهم، وآمن رجفتهم، وأزال عنهم ضيقهم وعلتهم.

هذا جاءنا به الإسلام مجسداً في محمد، أسلم لغيبه من أمر ربه، مظهرها له وظاهر حقه، وفي عليّ أسلم لرسوله، أسلم لوجه مولاه، أسلم لمن أحب، أسلم لمن خال، أسلم لمن ودّ، فكان منه الجدّ القديم لجديده في أحسن تقويم، وكان محمد لهذا الجديد منه قديمه.. فتكشف بهما للناس كيف يكون الدوام

للإنسان، إذا ما كان عبداً لله، لا ينقطع جديده، ولا يتوقف في الله مزیده، ولا ينفك عن الجديد قديمه، فيتقدم القديم بأقدم وأقدم، ويتجدد الجديد بأجدد وأجدد. ويبعث القديم خلال القائم، وما كان القائم إلا جديده، بأجد من جديد، وما كان المبعوث منه في الحقيقة إلا قديمه.. فتعالى جد الرب من البدء عن الصاحبة والولد.. وما كان من تعالى إلا الإنسان في حقيقته، وقد فارق معناه من خلقيته.. وما كان الدوام لله في ظهوره إلا في دوام بعث القديم من الإنسان بحقه خلال القائم من الإنسان جديد حقه في جديد الإنسان بحقه، لا تقطعه الأزمان وهو يقطع الأزمان.. لا تغيبه الدهور وهو يفتني الدهور بدورته الخالدة.. علم الساعة وعلمها.. وإنسان القيامة وقيامها، هو عبد الرحمن.. هو عبد الله يمشي على الأرض هوناً وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاماً.

الساعة إلى ربك منتهاها - وها أنت إليه انتهيت - . فقيمَ يتساءلون؟ هل طلبوا ربهم معك فلم يجدوه؟ هل تابعوك فلم يصلوه؟ هل استغفرت لهم فلم يجدوا الله تواباً رحيماً؟ ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (مبعوثاً) بين الجوانح نورا لله أنزل معك، ونور على نور أنزل عليك، بُعثت فيهم الحق يقوم بينهم.. ألم ترى أنا بك نأتي الأرض ننقصها من أطرافها للذين اتبعوا سبيلك، وتابعوا طريقك مستقيماً طريقاً لي، فتابعوك إليّ ودعوا بدعوتك عترة لكتابي، وقياماً لك ثلوه في الناس على مكث، تقوم وتنتقل في الساجدين.. لم نجعل لبشر من قبلك الخلد.. كلمة دائمة لنا وكلمات دائمة منك.. روحنا تتمثل بك في الناس بشراً سوياً، جماع الكلمات، وجماع الحقائق، وجماع الآيات، تسري بنورنا في الناس، نهدي به من نشاء. القيامة في قيامك في القلوب، والساعة في استغفارك لهم من الذنوب، والرحمة يوم تمتد إليهم يدك فتخرجهم مما هم فيه من الكروب. الجنة دارك، والحقيقة معرفتك ومزارك، والحضرة بيتك، والنجاة جوارك، والخلاص متابعتك. أولى بالمؤمنين أنت من أنفسهم، وأزواجك أمهاتهم.. فقد حملت عني هذا الوصف وتجردت منه، لا صاحبة لي ولا ولد، ولكن عباد مكرمون، أنت منهم وأنت أحدهم، وأنت من قدمتك، وما أرسلتك إلا رحمة للعالمين، راعيت فيك الخلق العظيم في قديمك وجديدك فخاطب الناس على قدر عقولهم، ولا تمنع عنهم ما أعطيتك، فكل ما أعطيتك إنما هو لهم، أما ما هو لك فهو عندي لك.. لا تمد عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم.. امنن أو أمسك بغير حساب عليك يا صاحب الخلق العظيم.. يا رحمتي للعالمين.. يا عبدي الأمين.. يا روحي الأمين.. يا من أنت عندي في كل أمر مكين، واخفض جناحك للمؤمنين رحمة بهم منك، ورحمة بهم مني، وإن ظهر خفض جناحك وتواضعك عند الحمقى مظهراً من مظاهر الذل، فإنه مظهر من مظاهر القدرة.. فالعفو عند المقدرة شيمة أهل القدرة، والغضب والاعتزاز بالنفس شيمة أهل الضعف. إن الشيطان كان ضعيفاً، فاعتزَّ بهم العزة على من رآه أضعف منه...

فكنا للضعيف في الأرض واجتثنا الشجرة الخبيثة من عليها، وأبقينا الضعيف كلمة طيبة وشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.. وما أكلها تأتيها في كل حين إلا رد خير الأعمال إليها.. وما الشجرة إلا الناس.. وما الثمرة إلا كلمات الله من بينهم، تتحدث إليهم رسلا من أنفسهم.. يعلمون منهم أن الله من وراءهم محيط، وأن الله قائم على كل نفس بما كسبت، عطاء غير مجذوذ، وكسبا غير ممنون.. أحبوا الله فأحبهم، ورضوا الله فرضيهم، وقنعوا بالله وجوها له، فرضيهم الله عبادا له.

أما أولئك الذين لم يرتضوا الله، ولم يكتفوا بالله ليكونوه، وطلبوا أن يسودوا الله في الناس ما عرفوه، وأن يُعبدوا الله لهم في تعبيد الناس لهم ما وحدوه، وأن ينشروا في الناس علما ما في الله من الله قرأوه، ولا في كتاب الله بأيمنهم أخذوه، ولكنه من أنفسهم كتبوه وإلى الله نسبوه.. طلبوا به الدنيا وفقدوا به الدين، طلبوا به المال وفقدوا به النور، طلبوا به الجاه وما جاء هذه الدنيا إلا كسب الضعة في الآخرة وفي الله.. {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} ١٣، ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وضل سعيهم في الآخرة، فقد صدوا عن سبيل الله بأعمالهم مسوخين، ولم يطلبوا الله فيكونوا فيه مسوحين.. ذكروا الله ولم يروه، وهو لهم مشهود، وعلّموا الله غيبا وهو بهم موجود.. غيبوا نعمة الله، وغيبوا عذاب أنفسهم بقطيعتهم عن الله، وغيبوا القطيعة عن حياتهم فما وصلوا، وغيبوا الحياة عن وجودهم فما وجدوا.. باسم الله وباسم الدين شياطين أنفسهم، وشياطين الناس يوحى بعضهم لبعض زخرف القول غرورا بأنفسهم، وزورا من مثالياتهم بأقوالهم وأفعالهم...

هذا ما آل إليه حال مجتمعنا وما ورثنا من سبق مآلنا..

وما كان محمد وعليّ إلا مثالية لنا، وما كان الوحي ومحمد إلا معنا من ظاهرنا بمحمد، وباطننا بالروح، وباطننا بالنور، وباطننا بالناموس، وباطننا بالرباط من جبريل، وباطننا بالإيحاء والوحي. وما كان مرسل جبريل مع محمد إلا ما كان محمد مع عليّ بفاطمة.. ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا، فيوحى (هذا الرسول) بإذنه ما يشاء، بما أودع الله فيه من قدرته، وبما هيأ الله له من نوره ومن سره ومن حقه ومن حقيقته.. ومن هذا قال محمد فاطمة ابنتي روعي من أغضبها أغضبني ومن أغضبني أغضب الله.. ومن هذا عرّف محمد أن لكل إنسان ساعة، وأن لكل إنسان قيامة، وأن لكل إنسان برزخ، وأن لكل إنسان حق قائم عليه بما كسب في معارج الله.. في ناموس الوجود اللانهائي في قدمه، اللانهائي.. في جدته، اللانهائي.. في سعته، اللانهائي زمنا

ومكانا.. وبذلك قال (كلكم راجع وكل مسئول عن رعيته)^{١٤}، وقال (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)^{١٥}.

هذا هو دين محمد فهل دَنَاه؟ وهذا هو سبيل محمد فهل سلَكَاه؟ وهذا هو حوض محمد فهل وردناه؟ وهذا هو نور محمد فهل في أنفسنا طلبناه فسرى فأسريناه؟

أين نحن من كُتاب محمد، ورسالة محمد، وفطرة محمد، وحقيقة محمد؟ فقد باعدناها وباعدناها وباعدناها، فجَدَدنا جاهلية ما قبلها، وجاهلية ما قبلها، وجاهلية ما قبلها.. نسري ونمشي في ظلمات وندخل بها في ظلمات. فهل يعطي الظلام إلا ظلاما؟ وهل يتوالد الظلام إلا من ظلام؟ وهل يعطي النور إلا نورا؟ وهل يتوالد النور إلا من نور؟ لا تلد الحية إلا حوية، ولا يلد الإنسان إلا الإنسان، ولا يتكاثر الشيطان إلا بشيطان، وإن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم.. كما يجري الرحمن منه مجرى الروح.

أعبد الله كأنك تراه، فإن وحدته كأن لم تكن فإنك به تراه. فإن كنت في ظلام نفسك لا تراه.. ألا تعلم أنه يراك؟ عامله على أنه يراك إن لم تستطع معاملته على أنك تراه.. هل عاملته على أنه يراك يعلم سرّك علمه بنجواك؟ هل عبدناه معنا؟ هل صلينا ووصلنا وأقنا الصلة بمن هو معنا، من هو في حركتنا وفي سمعنا وبصرنا يرانا ويسمعنا؟ ولكننا نعمل على أنه لا يرانا ولا يسمعنا، والحساب ليوم الحساب، والعقاب ليوم العقاب.. ونحن نعيش في عفو وحساب، ونعيش في جزاء وعقاب.. أعمالنا ترد إلينا، وكل فعل محسوب علينا.. خطرات القلب.. نظرات العين.. خشيته وخوفه.. حينه وجهه.. سيرنا في مكان ومن مكان وإلى مكان محسوب علينا، يدنا تمتد فتعمل أو تتكشفتفتصر عن العمل محسوب علينا. من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.

إن رآه عمله فعاش في قديمه يوم قيامته بغيه من معنى موته فهذه جهنمه، يحيا في ضمير يستيقظ فيحاسب ويسترجع، فيعد ويناقش ولا قيام ولا جديد.. أو يبعث في مأمول رجاء، وخيال تمناه، في صورة من وجود ارتآه، وحرمة في قيامه وفي معناه، فيحيا في هذا الخيال يوجده من نفسه لنفسه بنفسه، وهذه هي الجنة رسمت له يعبدها لا يعبد من خلقه لنفسه، ولا يعبد من أوجده ولكنه يعبد ما وجد من عمله ومن صنعه ومن خياله ومن إدراكه ومن فهمه ومن إرادته.. حتى يتساءل يوم يستيقظ عن ربه فيخرج من وهم ويرى الحياة على ما هي الحياة.. يرى صمدانية الله فيما كان فيه وفيما كان مما خرج منه، وفيما يكونه يوم يكون في الله على ما هو الله.

هذا هو الدين إن دناه. وهذا هو الطلب إن عقلناه. وهذا هو الماء إن وردناه. وهذا هو المعراج إن صعدناه. وهذا هو الحق إن تواجدناه.. أما لهذا الليل من آخر؟ إن موعدنا الصبح.. وما الصبح عنا ببعيد.. فلم نترك أنفسنا لسير الزمان، ولا نقطع الزمان؟ فلنسر في الأرض فإن كنا اليوم.. فإن كنا الساعة.. فإن كنا في هذا المكان في ليل فقد سبقنا الصباح إلى مكان آخر، فلنسر إليه، فإن دخلنا في الصباح فلنمشي معه ولا نخرج منه.. إن الصباح.. إن الفجر يدور حول الأرض وتدور الأرض فيه.. وإن الليل يغشي الأرض وتدور الأرض فيه.. فلنتأمل ما يظهر الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا، لعله يتبين لنا أنه الحق، فنؤمن به ونرتضيه. هداانا الله وإياكم سواء السبيل.

اللهم إنك أعلم بنا منا.. فأمرك علينا، وإليك وكلنا أمرنا، فاهدنا مناسكنا، وقوم سبيلنا، وأيقظ ضمائرنا، وأنر عقولنا، وأحي قلوبنا، وجدد مشيئتنا، وقوم جوارحنا، وخذ بنواصينا إلى الخير.. فعرّفنا بعبدك وابن عبدك وأب عبدك.. عبدك ورسولك من أخرجته لنا رحمة وللناس، ومن جعلته لنا سراجا ولسائر الناس.. من جعلته سراجا في قديمه، وسراجا في حاضره، وسراجا في مستديمه.. أخرجتنا به من الظلمات إلى النور، ومن ظلم أنفسنا إلى واسع رحمتك. اللهم أقمنا فيه.. وأقمه بنا.. وأشهدنا له.. وأشهد له لنا.. وأشهد به بنا. اللهم إنا ذكرناك واحدا.. وعرفناك واحدا.. وآمنّاك واحدا.. وأقمناك في أنفسنا واحدا.. فكن لنا عبادا لك.. كن لنا معك واحدا لا تعدد لك ولا شرك بنا.

اللهم فيك فأفئنا.. اللهم بك فأبقنا.. اللهم بكتابك فعلّنا، وكتابك أقرّنا وبه قومنا.. اللهم بك على ما تعلم. اللهم اجعلنا منك على ما نرجو وعلى ما نتعلم.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا، وأصلح لنا حكمانا، وأصلحنا للصالح من حكامنا، وانشر السلام على أرضنا، والسلام في نفوسنا، وأنزل علينا سكينتك، واجعل صلاة نبيك سكا لنا. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

أضواء على الطريق

من قول لباب مدينة العلم، والأذن الواعية، وذو القرنين، والابن للآب الطالب، والأب الثاني (عبد الله السيد الإمام علي):

• دواؤك فيك وما تشعر، ودواؤك منك وما تبصر، وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر.

من هدي القرآن:

- {فارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير}{١٦}.
- {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}{١٧}.
- {كشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}{١٨}.
- {ما كذب الفؤاد ما رأى}{١٩}.
- {خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس}{٢٠}.

من علوم القرآن:

- بمعنى أن الناس في تطویرهم لأکبر هم أصول لخلق الأرض وخلق السموات

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه -: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه..." . بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٢ سورة النبأ - ٨
- ٣ سورة الذاريات - ٢١
- ٤ سورة الملك - ٤
- ٥ سورة النور - ٣٥ ، سورة إبراهيم - ٢٥
- ٦ سورة النساء - ٦٥
- ٧ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم..
- ٨ حديث شريف، يوم غدير خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال ألسنتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال ألسنتُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه قالوا بلى قال فهذا وليُّ من أنا مولاه اللهمَّ والِ من والاه اللهمَّ عاد من عاداهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٩ حديث شريف أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعليّ: أنت مِنِّي بمنزلة هارونَ مِن موسى، إلا أنّه ليس بعدي نبيّ". صحيح مسلم، وصحيح البخاري.
- ١٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١١ سورة الأنبياء - ٣٤
- ١٢ سورة البقرة - ١٨٦
- ١٣ سورة البقرة - ١١:١٢

- ١٤ من الحديث الشريف: "ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ١٥ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ١٦ سورة الملك - ٤
- ١٧ سورة الذاريات - ٢١
- ١٨ سورة ق - ٢٢
- ١٩ سورة النجم - ١١
- ٢٠ سورة غافر - ٥٧

(٢٢)

ثمره

قطفت من شجرة لتزرع في أرض المغفرة (بمناسبة انتقال الأخ أحمد قدرى سليمان)

حديث الجمعة

١٩ ذو الحجة ١٣٨٠ هـ - ٢ يونيو ١٩٦١ م

نَضَجَ باكراً صراعه، واستقام في الطريق اتباعه، فكان مظهرًا لما في الإنسان من معركة مشبوبة بين لطيفه وكثيفه، بين مادته وروحه، بين ظلامه ونوره، بين جهله وعلمه، بين شكره وكفره، بين حياته وموته، بين السير في نوره والسير في ظلامه.. ونضجت فيه قضية المعركة، ودفعه عقله إلى روحه وخلاه عن جسده، وصارعه جسده استبقاء للحياة ودفاعاً عن الحياة.. فنصر روحه بعقله، وخاصم جسده وقد ساندته نزوة نفسه، وكانت المعركة بينهما فيه سجال، وكانت المعركة فيه على أشدها.

ونظر البستاني إلى ثمار أشجاره فرأى هذه الثمرة باكرة النضج بين أخواتها، وخشي عليها من الخفافش لأنها تأبى أن تستتر في أوراق شجرتها، وتخفي عن الناظرين نضجها وبهجتها. خشي عليها البستاني من الليل إذا أقبل بسكينته وانطلق الخفافش بحريته. خشي عليها من غيره فقطفها، ولنفسه أضافها، ووضع حداً للمعركة فيها بين اللطيف والكثيف، بين الشكر والكفر، بين الإيمان والضلالة، بين الاستقامة والفتنة.. جناها وأحسن مثواها وكشف لها عن خلقها بغلافها وعن معناها بحقها.. قطفت هذه الثمرة قبل تمام نضجها، وغابت عن بستانها في نظر الناظرين لأشجار البستان وثمارها.. ولكنها لم تغب عن إنسان بستانها وإنسان شجرتها.

كم عَلمَ - بما آمن - من أن الموت لا محل له في الحياة، وأن الحياة لا محل لها في الموت؟ بالأمس آمن فعَلمَ واليوم عَلمَ فأعلم. وإذا كان اليوم قد عَلمَ وأعلم فإنه سوف يُعَلمَ مرةً وأخرى بما يؤمن به، وبما يتعلم وسوف يُعَلمَ مما يعلم مرةً وأخرى كذلك. لقد عَلمَ ما عَلمَ عن عالم الروح في عالم الأشباح، وعمّا قليل

سَيُعَلِّمُ في عالم الروح ما عِلِّمَ عن عالم الأشباح، مما تجهل بعض عوالم الروح. إن العلم أو ما يجب أن يعلم ليس قاصراً على عالم الأرواح في أشباح النور أو النار. وإن العلم ليس معقوداً في عالم الأرواح في أرواح الأشباح. إن الله وهو المعلم، وإن الله - وهو في كل عالم - وإن الله - وهو الهادي لعوالمه - يعلِّم في عوالم الأشباح من عوالم الروح علماً لا يعلمه في عالم الأرواح من عوالم النور، كما يعلم في عالم الأرواح علماً لا يعلمه عالم الأشباح.

ومن طلب الله حق طلبه، وعرف الله حق معرفته، فأحاط بما علَّمه فيه من علمه عنه، فعرف نفسه صغيراً، ضئيلاً، ضعيفاً، في معاني قدرته وسعته وحرته، وعرف نفسه جاهلاً غافلاً في معاني علمه ويقتضته، وعرف نفسه عاجزاً منحرفاً في معاني إرادته واستقامته.

وعرف نفسه في الوقت نفسه قوياً قادراً في معاني ضعفه.. وعرف نفسه عالماً محيطاً مدركاً في معاني جهله.. وعرف نفسه كبيراً متسعاً منتشراً لانهائياً في معاني ضآلته.. فقد عرف نفسه.. عرفها في ربه عبداً مسوداً وكوناً مخلوقاً موجوداً.. عرفها معنىً في ربه لا تعدد معه، فلا وجود لها بل وجوده، ولا شهود لها بل شهوده، ولا قدرة لها بل قدرته، فلا ضعف بل تواضعه، ولا علم بل كتاب فضله.. عرف نفسه معنىً في ربه، وعرف ربه وجوداً في معناه...

كما عرف ربه مربوباً لمولاه وعرف مولاه آلهاً في إلهه.. وعرف إلهه غيباً في إطلاقه، وعرف إطلاقه لانهائياً في وجوده سواء كان روحاً في أشباحها أو معنى مجرداً عن أوزارها. هذا من عرف الله أو كان في طريقه إليه.. من عرف معناه من معانيه في صفة الإنسان، وعرف نفسه في صفة العنوان. وإذا عرفت الحقيقة فقد قام الله، وإذا قام الله كانت القيامة.

تلقى ذلك بالأمس، وما زال يتلقاه أخ لنا أمسى معنا في ظلام جمعنا، وأصبح معنا في فجر فرقنا. تقلب فيه الليل والنهار معسسين.. وتقلب عليه الليل والنهار واقبين، سرى به النهار فقطفه البستاني في نهاره.. وأمسى به الليل فإذا هو يسكن إلى جواره..

فارقنا على مودة، وقطف على ألفة، ولم يغلبه ليله، وانتصر على معناه نهاره فذهب مغفوراً، وقطف مشكوراً، وذهب مأجوراً، وأضيف إلى الراشدين مرحوماً منظوراً.. فكان هذا من رحمة الله عليه وعلينا.. ومن فضل الله عليه وعلينا.. ومن كرم الله علينا وعليه.. ومن عناية الله بنا وبه.. فحمدنا الله وحمده.. وشكرنا الله وشكره.. وذكرنا الله وذكره.. وعرفنا الأمر وعرفه..

هذا هو أخونا أحمد قدري الذي فارقنا - ولم يفارق - وغادر أرضنا - ولم يغادر - ودخل عالم الروح - ولم يدخل - لأنه كان بروحه في عالم الروح قبل أن يدخله تاركاً غلافه.. لم يجد عليه جديد في أمره

ولكنه واصل ما كان فيه من أمره.. واصل الحياة عالماً بما علم.. جاهلاً بما جهل. واصل العمل.. واصل النشاط.. واصل التوحيد.. واصل العلم.. واصل التجربة.. واصل الكسب...

وها هو يواصل تدريبه.. وها هي تكشف له الطريق.. وها هو يبحث في عالم الروح على ما مات عليه.. وها هو يعاد إلينا فيحدثنا في أسرع مما كنا نقدر وأسرع مما كنا نرجو.. فيعرفنا ما نطلب أن نعرف عن لحظاته الأخيرة في عالمنا.. ولم يعد بعد أخوته من رحلتهم ولكنه عاد إلينا قبلهم.. أراد أن يدخل السلام على نفوسنا، وأن ينزل السكينة على قلوبنا، فنعلم منه أننا على الحق، لأنه كان متعباً مما كان في نفسه من بعض القلق عن مسلكه ككل صادق. فلها هدأت نفسه وسكنت إلى الحق.. عاد ليقول يا إخواني.. لقد كنا على الحق، وما زلنا على الحق، وسنبقى على الحق.. وها أنذا أعود إليكم لأبقى معكم كما علمت وكما علمت.. ها أنا أحييكم وها أنا أستقبل تحياتكم فاحتفظوا لي بمقعدي بينكم ولا تحسبوني غائباً عنكم، فإني سأبقى واحداً منكم.

إن الحياة الآخرة للحياة الأولى.. إن الحياة الثانية.. إن الحياة الجديدة بعد أولى حيوات الإنسان الروحية على أرضنا وفي عالمنا لا تغير ما بين الناس من أوشاج العلاقة والمحبة.

إن الناس مدعوون في الله في وجوده اللانهائي وفي الحق الأبدي منه بأتمتهم من الناس من أنفسهم.

هذه هي أسرة الروح.. هذه هي حضرة الروح.. هذه هي وحدة الروح.. هذه هي إنسانية الروح.. هذه هي حقبة الإنسان بالروح لا بالجسد أو الشبح.. إن الناس يتجمعون على معانيهم بأوانيتهم.. فكما يجتمعون بأوانيتهم يجمعهم الله بمعانيهم، ويظهر بينهم وحدانيته في وحدة معانيهم، كما أظهر وحدانيته في جمعهم من أشباحهم بوحدة أهدافهم، في توأصيتهم في الله بالحق وتوأصيتهم فيه بالصبر واحداً لا شريك له.. قائماً لا قيام لغيره.. قيوماً لا يغفل عن قيامه في عبيده من عوالمه.

إن المعرفة في الآجلة إن لم تبدأ في الأولى فإنها لا تتواجد. فالتواجد في الآجلة لا يكون إلا على صورة مما تواجدت عليه النفس في الأولى.. فإذا كانت في الأولى لا تقوم إلا على قيام الجسد وفرقة الأجساد، فهي في الآجلة إنما تقوم على الكز على النفس والأناية والبعد عن الوصلة بمجتمع الإنسان.

إن الله يظهر في التحاب وفي المحبة بين الناس وهم في أشباحهم، ويتواجد باليقين على صورته في وجودهم بالأرواح بوحدة معانهم في معراج معناه.. إن الأرواح تقوم بالوحدانية في قيامها.. وإن الأشباح تقوم بالوحدانية في وجدانها وعقائدها.. وإذا طلب أهل الأشباح يقين أهل الأرواح فانطلقت من الأشباح أرواحهم وائتلفت في معاني الروح معانيهم، قاموا في عوالم أرواح الله وهم في عالم الأشباح بأبدانهم ما زالوا.

هذا ما جاء به مؤسسو الأديان على تفاوت في الفهم فيه والإبانة عنه وعلى درجات في القيام به.. وجاء محمد رسول الله والذين معه بجماع ذلك للناس، أمة وسطاء، متوحدة في معانيها، مجاهدة في مبانيها، مؤتلفة في نفوسها، متعلمة في عقولها، متوحدة في أهدافها.. متطهرة في أرواحها، متزكية في نفوسها، منتشرة في نورها، مستمدة متجددة في افتقارها.. فكان صاحب البستان، وكان أصحابه فيه وجوه العنوان، وكان عبدا لعنوان الله وحضرة ربه للعيان. وكان الحق من الإنسان للإنسان رسولا من أنفسهم.. عرّف البشرية كيف تنتصر بالضعف مع الله، وعلّمها كيف أن في الضعف معه قوة.. أن في الضعف لله قوة الله، وأن في القوة بالنفس ضعف الشيطان.. علّم البشرية.. علّم الإنسانية أنها إن أدركت الضعف مع الرحمن، كانت عنوان الرحمن بعباد الرحمن يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.. وعرّفها أنها إذا عرفت عباد الرحمن وآمنت بينها بالعنوان يمشي خالصة من الزور والبهتان، أخذت من الضعف قوة.. {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}¹. {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}².. مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل}². بلغ به الناس قبل بعثهم صفوة الناس من قبلهم. أقام الله بهم حجته على خلقه في العوالم الأولى وفي العوالم الآخرة.. في عوالم الأرض، وفي عوالم السماء، وفي عوالم الروح.. علما على الحق من الله الواحد الأحد الفرد الصمد الحي القيوم.

إن أسرة الروح من إنسانية الله تعاني في صبر وفي أثناء المعركة الأزلية بينها وبين المادة.. إن أسرة الروح للإنسان أودع الله فيها من أمره ومن قدرته ومن حكمته ومن علمه ومن رحمته ومن حلمه ومن صبره، ما جعلها فوق إدراك عوالم المادة. ولا تظنوا أن عوالم المادة لفظ قاصر على العالم الأول من عالم الأرض، ولكنه لفظ يشمل عوالم الكواكب جميعا، ويمتد أيضا إلى العوالم الأولى من عوالم الروح التي ما زالت فيها معاني الأنانية، ولم تقم أنانيتها بعد بمعاني الغيرية، ولم تعنون بعد أبدية الفرد الصمد قائمة به لا قيام له بها.. فقيامه أرفع من أن يقومه قائم فيه مهما عظم قدره ومهما علا شأنه، وكل قائم فيه لا وجود له معه، ووجوده لاحق فيه لأصل وجوده منه، ولا دوام له إلا بقدر ما مثل من دوامه، وبقدر ما مثل من زاوية من زواياه وجهها له.. يشرق ليخبر أو يشرق ليفنى.. يشرق في لحظة ويغيب في ظلام أبدي.. أو يشرق في أزلية تشهد في دوام.. والمشرق لا يشرق ولا يدوم إشراقه إلا لمن كان منه.. فن كان منه دام في دوامه، ومن كان منه أشرق عليه في معناه وفي عنوانه، فأشرق به بدوره في دائرة عمله ووجوده.

إن الحق موجود متواجد.. موجود في قيام الوجود لا بدء له.. متواجد في خلق الوجود من الوجود في ساحة الوجود اللانهائي.. خلق السماء بأيد من عباده وإنه لموسع في خلقه بأهل رشاده - عضدا

له -.. {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم}³، {أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم}⁴.

إن أسرة الروح، إن أسرة الله، إن أسرة الحق، إن أهل البيت، إن أهل بيت الله، إن أهل الخيمة، إن أهل السرادق، إن أهل الغرفة، إن أهل الحجرة إن أهل الحجرات، إن أبناء الإنسان، مرفوع ذكرهم، عالٍ في الله أمرهم، محفوظ في الناس خبرهم، متواجد في الناس معناهم.. معناهم عن الناس لا يغيب عترة لرسول الله، وكاباً حياً لله صنو ككابه ولا يفترق عنه، وحجاباً قائماً من رحمة الله عين حجاب، ويذا ممتدة من غيب الله لخلق الله عين يده. قوتهم في الناس في ضعفهم أمام الناس.. علوهم على الناس في تواضعهم عند أقدام الناس.. إرادتهم من الله وإرادتهم بالله في رضائهم عن الناس رضاء عن الله.. وطلبهم للناس تحقيق مرادهم في الله.. مراداً لله هو مرادهم.. قدروا الله حق قدره.. فحيثما كانوا شهدوه، وفي أي عالم تواجدوا تواجدوه، وفي أي وجود وجدوا مثله.. فكانوا عباداً له.. فكانوا عباداً له في الأرض، وعباداً له في السماء، وعباداً له حيث لا يعلم الناس.. بهم عُرِفَ الله، وبهم ظهر الله، وإليهم تعارف الله.. فعرفوه، وفي قلوب الناس بأنوارهم نشره، وفي الناس بحقهم امتدوه.. فقامت بهم وحدانية الله، واحداً لا شريك له، معبوداً في عبادته في أنفسهم.. جعل من قلوبهم بيوته، ومن ظهورهم وجوهه، ومن سلطانهم كرسيه، ومن انتشارهم عرشه، ومن اجتماعهم عليه قوائم عرشه، عليه يستوي بحقه.. فيتوحد العارش والمعروش، والكرسي والعرش، والسلطان ومن امتد عليه السلطان.

إن الله ليس على وصف خلقه، وليس على وصف الناس، وليس على وصف الإنسان.. ولكن خلقه، ولكن الناس، ولكن أوادم الناس، ولكن إنسانية الناس، ولكن إنسانية الله، نتصف وتتخلق بصفاته.. فصفاته ثابتة أبدية أزلية سرمدية يتصفها الناس ما وحدوه، ولكنها لا تحل بالناس، ولا نتصف بالناس مهما قاموه. ولكن الناس يطلبونها موجودة، ويعلمون نفوسهم فيها مفقودة، فيتواجدونها صفات لله، تواجدت في وجودهم، وحقائق لله، تحققت بها خلقيتهم، فأصبحت به حقيقة حية، وهو الحق الدائم لا انتهاء لعمله، ولا انتهاء لفعله، ولا حد لقدرته.

إنه كما خلق آدم كما تعلمون، يخلق في كل لحظة، وفي كل نفس آدم وآدم وأوادم.. وكما بعث محمداً بالحق يبعث الحق محمداً في كل وقت وحين.. وهذا معنى ما تطلبون في صلاتكم على رسول الله في قولكم اللهم صلي على محمد.. أي تطلبون أن يصل الله محمداً والله واصل محمداً وقد وصله.. فقيم المطلب؟ ولكنكم إذا كنتم محمداً على ما اعتقدتم، وكان أولى بكم من أنفسكم، وأزواجه أمهاتكم، فأنتم أبناء له وكان الولد سرا لأبيه.. فتطلبون من الله أن يصلكم، وها أنتم محمد، كما فعل لأبيكم محمد،

ولآبائه محمدين.. إن الله وملائكته صلوا على محمد قديماً.. فإن محمداً إنما هو كائن قديم وما كان في جديده إلا على مثال من قديمه، ولا يكون في جديد له إلا على مثال من قديم له، وإن محمداً الذي عرفتم جديداً ما كان إلا صورة من نفسه من معناه من محمد قديماً، وإن محمداً على ما كان في جديده من قديمه إنما هو كائن بينكم دائماً وفي كل وقت وفي كل حين على ما كان بما عرفتموه جديد القديم، ويصبح جديده قديماً في قديم فلا بد أن يكون له بينكم جديد في جديد على صورة دائمة وذات لا تغيب. إن آمنتموه كذلك امتد إليكم نوره فكتم جديداً في جديده كما كان قديماً في قديمه.

أفمن يجعل الله له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها! (إن لله في أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها) °.

وها هي رحمة الله وغيائه، وقيومية الله، وقرب الله، وقُدس الله، يداني عالم خلق الله من عالم روح الله، بما يبعث بيننا اليوم من أرواح الآباء والأودام، وقد نفخ في الصور الحاجز بيننا وبينهم، من ذواتنا وذواتهم، وقد أصبحت أوانيتهم من عالم البرازخ لا تحجبهم، ولا تحول بينهم عن الامتداد والتداني والاتصال والقرب، كما أصبحت أوانيتنا من عالم الشهادة، من أغلفة معانينا، لا تحول بيننا وبين الاتصال بهذه المعاني القديمة أصولاً لنا ولآباء جاءوا بأمر الله وبإذن الله ليقتربونا إلى الله في أنفسنا، وليكشفوا الغطاء عن ظلام أغلفتنا، حتى توضع أحمالنا وأثقالنا وأوزارنا من ذواتنا، وتتكشف حقائق الله لنا في أنفسنا فطرة الله وصبغته، ومن أحسن من الله صبغة؟ ومن أقوم من الله فطرة؟

هذا هو الحق من الله، فإذا تنبهتم إليه يا إخواني وأخذتم الأمر جداً لا هزلاً، وحرصتم على معاني الحق في أنفسكم حتى لا تتعلق معانيكم من أنانيتكم بأشباحكم فتفقدوا الحق يوماً لأنكم لم تطلبوه في أوانيتكم، ولم تعرفوه في معانيكم، ولم تقوموه بأرواحكم في عوالمه من أشباح ذواتكم، إن الذي هو أقرب إليكم من جبل الوريد إنما هو حق معنائكم، إنما هو في الله بالله أناكم. فلا تقولوا لا إله إلا الله غير مدركيها ولا مقيميها.. ولكن الذين قالوا ربنا الله لا إله إلا الله ثم استقاموا وكانوا خلفاء الأرض، خلفهم الله على أرض ذواتهم وأشباحهم وعلى أرض أغلفتهم، وجعل من غلافهم عالماً يحيونه، ويخلقونه، ويجددونه.

هذا هو الدين إن كان لكم في الدين رغبة، وهذا هو الله إن كان لكم في الله طلب وإليه مسار قبل أن يأتي يوم البوار، فلا تروا الله، ولا يكلمكم الله ولا تعرفوا شيئاً من أمركم أو أمراً من أنفسكم، إلا عالماً لكم أضعتموه فأضعتم أنفسكم، وفقدتموه ففقدتموها، وفقدتموها ففقدتم الله لكم. هذا هو الحق من ربكم فاعلموه، وهذا هو الذكر من ربكم فاذكروه.

لا إله إلا الله لا شريك له.. له الأمر وله الملك وله الحمد.. اللهم إنا نسألك بضعفنا أن تشملنا برحمتك، وأن تحيطنا برعايتك، وأن تكلأنا بجودك وكرمك. اللهم إنا لا نعرف سواك، ولا نطلب من غيرك، ونقوم بمعنانا مفقودا لا وجود له.. فالوجود لك، والأمر لك، والحكم لك، والمملك لك، والهدي منك والفتنة منك. اللهم عن طريق الفتنة فأبعدنا، ومنها نخلصنا، ولا تجعل لأنفسنا سلطانا علينا في مجالها من الفتنة، واجعل اللهم منها مطية طيعة في مجالك من الرحمة.. اللهم قوم فيك أمرنا وخذ بيدنا. اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا والسلم والسلام على أرضنا، وارفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، إنك أنت الأعز الأكرم وأنت الأقوى والأقدر.. اللهم فاغفر لنا وللمذنبين. اللهم أصلح لنا شأن الحاكم والمحكومين، وقوم طريقنا رعاة ومرعيين، هداة ومهتدين.

اللهم ألف بين قلوبنا، ووحد وجهتنا، واجمعنا على كلمة الحق واليقين على كلمة النور والمعرفة.. على كلمة السلم والسلام.. لا إله إلا أنت يا سلام سبحانه نستغفرك ونتوب إليك.

أضواء على الطريق

من هدي الأثر:

- (وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليه مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته [كنته])^٦. لا إله إلا الله قائم على كل نفس وأقرب إليها من حبل الوريد.
- (من طلبني وجدني ومن وجدني عشقني ومن عشقني قتلتته ومن قتلتته كانت على ديتة ومن كانت على ديتة فأنا ديتة)^٧. محمد رسول الله - {قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}^٨.
- (وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)^٩. ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها [إذا أحببته كنته]^{١٠}...
- {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}^{١١}.
- {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}^{١٢}.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ٢ سورة الفتح - ٢٩
- ٣ سورة الفتح - ١٠
- ٤ سورة يس - ٨١
- ٥ حديث شريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.
- ٦ من حديث قدسي: "إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سميعاً عليم، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته". صحيح البخاري. عبارة "إذا أحببته كنته" عبارة للسيد رافع.
- ٧ حديث قدسي يرد في الأدب الصوفي: "من طلبني وجدني، ومن وجدني عشقني، ومن عشقني عشقته، ومن عشقته قتلته، ومن قتلته فعلي ديته، وأنا ديته"، لكن لا تعترف به كتب الأحاديث، لكن المعنى يمكن فهمه من السياق.
- ٨ سورة الإسراء - ٨١
- ٩ حديث قدسي أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وابن ماجة: "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة".
- ١٠ من الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري. وعبارة "إذا أحببته كنته" ليست من أصل الحديث ولكنها معنى من السيد رافع.
- ١١ سورة الأنفال - ١٧
- ١٢ سورة الفتح - ١٠

(٢٣)

العبودية في الله ما تكون وكيف ولمن تكون (إشارة إلى انتقال الأخ أحمد قدرى سليمان)

حديث الجمعة

٢٦ ذوالحجة ١٣٨٠ هـ - ٩ يونيو ١٩٦١ م

رحمه الله.. فقد كان خيرا للإسلام حيا وميتا..

رحمه الله متكلمًا.. ورحمه الله صامتًا.. ورحمه الله أبلغ في صمته منه في كلامه.. رحمه الله في جهله و رحمه الله في علمه.. رحمه الله مفارقا بعالمه من غلافه، وبكونه من ظلامه.. ورحمه الله عائدا بنفسه ليدرك أن الذي فارق بجذته من أمر جمعه، ما كان إلا ما ينبغي من حضرة ربه^١.

إن الذي لا يدرك الله في حاضر، لا يكون إلى الله في قابل، وإن الذي لم يدرك الله في أمسه، لا يبعث به مدركا في يومه. إن الله معية الإنسان أينما كان الإنسان، ومتى كان الإنسان، وأيما ما كان الإنسان.

إن إدراك وحدانية الله إنما هي في غضبة الرحمن، وتوبة الشيطان في الإنسان، بمسح النفس عن العصيان، يوم تأتي لحظة اليقين بسكرة الموت لظلام نفس الإنسان، قرين لحظة البعث لعلم الإنسان بالإنسان في الإنسان، في ثوب من صنع الإنسان نسج من نور الإيمان يملكه أو لا يملكه العنوان، ويظهره أو لا يظهره الجسمان.

إن الذي لنا أن نعرف، وإن الذي لنا أن نطلب، وإن الذي يمكن أننا به نشرف، إنما هو أمر العبودية لله، ما تكون، وكيف تكون، ولمن تكون، ومع من كانت، ولمن هي كائنة؟

إن رسالة محمد ما كانت إلا محمد. وإن كتاب محمد ما كان إلا حديثا عن محمد، من قديم لمحمد، ومن أقدم منه من محمد، إلى ظاهر من محمد، وخفي من محمد، في إنسان محمد.

وما كان إنسان محمد إلا الغاية والهدف الذي يُطلب، أو الذي يجب أن يُطلب، أو الذي تُطلب، أو الذي تحقق لمن طلب للإنسانية من يوم أن أدركت الإنسانية لوجودها بالأُنانية، وطلبها لمن أبدع أنها وأكرم معناها.

ما كان أمام محمد منظورا له، إلا ما كان خلف محمد مبعوثا منه.. وما كان عن يمين محمد عوناً له إلا ما كان عن يسار محمد ظاهراً منه.. وما كان فوق محمد مظللاً له إلا ما كان تحت محمد محمولا منه.

وما كان فوق محمد إلا ما كان تحت محمد.. وما كان عن يمين محمد إلا ما كان عن يسار محمد.. وما كان خلف محمد إلا ما كان أمام محمد.. لقد كان محمد نقطة حق لدائرة محمد في اللانهائي من الله.

إن محمداً في محمد، وإن محمداً لمحمد.. حق واحد، وأمر واحد، وذات واحد، ودائرة واحدة، وتكوين واحد، وانبثاق واحد، وقيام واحد، وتطور واحد، وبدء واحد، وختم واحد، ووجود واحد، ودهر واحد، وعلم واحد، وكتاب واحد.. هو لكل واحد، ما وحد الله فكان به واحداً.

لقد كان الدين من قبل محمد أن يطلب العبد ربه، أو الابن أباه، أو الفرع أصله، أو المخلوق خالقه، لا يكونه ولا يتوحد به. فلما جاء الحق بمحمد، وجاء الرفيق الأعلى بما أنزل على محمد، وقام الحق بقديمه وحاضره بقيام محمد.. كان هو قديم الطلب من الجنس المطلوب عند الطالبين. وما كان المطلوب بالطلب، إلا حق العبودية على ما عرّفها محمد وعرّفها محمد.. لقد طلبوه باسم الآب وباسم الأب، وباسم الرب، وباسم قدس الأقداس، وباسم الروح القدس، وباسم وجه الحق، وباسم آدم الحق، وباسم الإنسان، وباسم العنوان، وباسم الناموس، وباسم الآله، وباسم الإله، وباسم الذكر، وباسم الله.. فلما جاءهم ما عرفوا.. فلما جاءهم عبده وكتابه وعلمه وكرسيه وعرشه وقلبه وقدرته وحكمته وعلمه ووجهه وحضرته.. عبداً لما عرف.. عبداً لما وصف.. عبداً لمن به وُصف.. أنكروه وخذلوه فما والوه، ولا على طريق تابعوه، ولا على حق تأملوه، ولا على طلب للحق خبروه، أو محاولة لبحث أنفسهم على نفسه طابقوه، أو على بصيرة أدركوه في أمر أنفسهم إليه وجهوها فأبصروه.. إنه خلقا وعوه، وشرفه أن يكون خلقا كما وصفوه، ولكن سعادة الخلق في أن يعرفوه، حقاً ما أدركوه، وخالقاً ما أنصفوه.

ولو أنهم على أنفسهم بايعوه لشهدوه، مبعوثاً في قيامهم لسعدوه، أوجدتهم ما أوجدوه، وكانهم ما كانوا، وحققتهم ما حققوه، وخلقهم ما خلقوه، وتجلي بهم ما تجلوه.. عنواناً لمن إليه وجههم وله في نفسه عبدّهم، وبحقه حققهم، وبقدرته جددهم، وبحكمته طورهم، وبرحمته عالجتهم، وبنعمة الله أغناهم من فقرهم فأسعدهم.. ضالين هداهم، ويتامى آواهم، وعائلين برحمة الله وجوده أغناهم..

تخلق بأخلاق ربه، وخلق بأخلاق ربه، خلقا له، وعرف الله في ربه وفي نفسه وفي قومه وفي الإنسان.

إن الله بديهية الدين على ما يجب أن تكون.. ذاته ذاتك وإحاطته ما فيك وما حولك، وسره سرّك، وعمائمه جهلك، وكتابه علمك، وهديه ضميرك.. لا تبحث عن الله ولكن ابحث عن نفسك به، ابحث عن عملك، ابحث عن صفاتك.. ابحث عن ربك، ابحث عن سعيك، ابحث عن هرولتك، ابحث عن طوافك، ابحث عن اعترافك، ابحث عن توبتك، ابحث عن بابك، ابحث عن بيتك، ازدلف بنفسك، أقم في أمانيك بمنى من ربك.. لا تيأس، لا ترتاب، لا تظن، لا تفارق عرفاتك، لا تنساق وراء نزواتك.. خاصم ظلامك، صالح نورك، صاحب سرّك، اذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة.. لا تجهر بألوهيتك واجهر بعبوديتك.. لا تكتم عن ضميرك وحدانية الله لك، ولكن لا تظهر بوحدانية الله لك على الناس.. واعلم أن وحدانية الله فيهم على ما هي فيك، وعاملهم على ما ترجو لنفسك من معانيك.. إن كنت ترجو أن تكون وجهها لله، الله من ورائك محيط، فعاملهم على أنهم حققوا ذلك لأنفسهم، وأن الله من ورائهم محيط، وأنهم وجوهه بين يديك، وأنهم وجوهه مما وراء ظهرك مبعوثة عندك لترى.. أينما تولى فوجهه، إن كل شيء وجهه، إن المادة وجهه، إن النار وجهه، إن الرياح وجهه، إن الطبيعة وجهه، إن الناس وجهه، إن الجن وجهه، إن الملائكة وجهه، إن الأفلاك وجهه، إن كل شيء يدل عليه هو وجهه.. فلا تحدده ولا تقيده، ولا تغيبه، ولا تصفه، ولا تتصفه وإن كنت فيه وجهه أو وصفه...

انظره بعينه في عين عينك، واسمعه بأذنه في أذن أذنك، وصافحه بيده في يد يدك، وسر فيه بقدمه في قدم قدمك، واعلمه بعلمه في علم علمك، ولا تجحده في وجوده في وجود وجودك، ادخل في حصنه بألوهيته وفقدك، آلهة به، عارجا إليه، مرتقيا فيه، خفيا في ارتقائك، وداني به في تدانيه متواضعا في دنوك، خفيا في تواضعك، وصن سره إن أسر إليك، وأمره إن ائتمنك عليك، فهو خفيا في سرّك من سره.. خفيا في أمرك من أمره.. ظاهرا بوصف خلقه.. مؤمنا بقائم حقه.

إن إله ذاتك هو غيب وجودك وباطن معنك.. إن ألهمت فقد غبت وتعاليت. إنك إن أنكرت على ماديتك في حاضرها وقابلها، أن تكون معنك، وعلمتها عالما لوجودك، وكرسيا لعليتك، وعرشا لمعنك عبد الله على ما يليق بوصف العبد له، وقيام العبد به، وعلمية العبد عليه.. فقد أحييت هذه الذات، أحييت هذا الجلباب، أحييت هذا الغلاف، أحييت هذا الحجاب لله، أحييت هذا العالم. فإن دبّت فيه الحياة كان بيت طوافك، وغرفة اعتكافك، وقلب ذاتك، ومركز دائرتك، ودائرة معانيك.

تأملوا رسول الله، وقد أصبح الدنيا بمعناه لمحدث مبناه، فهو وجود في الوجود بقديم معناه.. تأملوه وهو يقول عن محدثه، وتأملوه وهو يقول عن قديمه.. تأملوه وهو يقول (زويت لي الأرض)^٢ (وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا)^٣ فأصبحت الأرض بيت طوافه ومسجد اعتكافه محدثا من قديمه.. وتأملوه وهو يقول عن قديمه بمعناه من الحق، علما على الأقدس من ذات معبوده لذات موجوده معرفا له بالرفيق الأعلى، (كان الله ولا شيء معه ثم خلق الخلق وهو الآن على ما عليه كان)^٤. ما تحدث الرسول في هذا الحديث إلا عن قديمه، وقد علمت نفسه ما قدمت، وعلمت بما أخرت ما كان لها فأحضرت، فأدركت أنه من خلالها في محدثها يتواجد قديمها في مستقبلها، على مثال مما أدركت في قائم حالها بقيوم أحوالها...

فعرّف الله واحدا لا يتعدد، واحدا صمدا لا يتجدد، يظهر بصفاته ويعلم بآياته، ويحقق بتجليه، ويسعد بوحدايته، ويمسح بأحدثه. هو وعبد لا يتعدان، وهو عين موجوده لا يتواجدان.. سرمدى أزلي قائم أبدي.. الإنسان فيه كل شيء فيه وعظمته له في إدراكه لمعانيه...

الإنسان فيه إرادة، ظهرت بطاقة، تسربت بخمول.. تحررت بحياة.. تطورت بوجود.. تناسلت بأكوان.. توحدت بإنسان.... قامت بمعناها في شاهد ومشهود، وموجد وموجود ومتواجد ووجود من مبنائها.

إن كلمة الله هي بداية الإنسان. إن كلمة الله هي اسم الإنسان. إن الإنسان لله عنوان. فهو من أصله كلمة عبرت عن إرادة.. أي لفظ أبان عن إرادة.. إن الإرادة هي الإنسان، وإن ظاهره هو العنوان. إن ما ينبعث في سويداء القلب من طاقة محرّكة لصمامه إنما هو ظاهر الإرادة من إنسانه. وإن القلب في حجاب، حجاب صيانت من ذاته، هو بداية الإنسان في وجوده بصفاته...

إن الإنسان يبدأ من فؤاده في تواجده برشاده.. العقل نواته، والتطور رشاده، وتطوير قلبه بداية حياة ذاته، ومطابقة قلبه لذاته بداية تطوير مفرداته، وانطلاق قلبه من سجن مشكاته للملكوت غيبه، هو استواء إحاطته من عقله في بيت قلبه، وانقضاء غيبه، بقيام قيومه، وجها بظاهره، لمعناه بباطنه، فهو بمعانيه من حضرته قائمة، كلمة لله دائمة.

يا كل كلي كن لي.. إن لم تكن لي فمن يكن لي..°

هكذا قال القائلون، وأدرك المدركون، ووجد الموحدون، وخاصم بجهلهم الغافلون، رحم الله منهم الراحلون، وغفر لهم في الحاضرين، وأعادهم إلى بابه، وهداهم إلى سلم عروجه، في مشاهدته بنفسه

في نفسه، شاهده ومشهوده.. على ما أعلموا في دناهم، ولم يتعلموا ممن هداهم، وعلى ما علموا في آخرهم، فتألموا ولم يتكلموا.

إن كمال الحياة لطالبا في عالمكم أقرب، وقيامها من حضرتها في عالمكم أصوب، واسترشادها إلى رشادها، في قيامكم لرشادكم بالطريق إليه، أقصر وأرقب.. إن الله يبحث عن عبده على أرضكم كما يبحث العبد عن ربه من بينكم.. (من آذاني وليا فليأذن من الله بحرب) ٦.. {إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} ٧.. إنهم أهل البقاء من وجوهه، في حضرة وجوهه، تحتفظ بالبقاء وجهها له، أو تظاهره سافلين عن عالم بقاءه، وجوها له.

آمنوا أن الله معكم في محبتكم للناس، وأن وجه الله ينظر إليكم من عيون الناس.. فلا تستخفوا من الناس، واعلموا أنكم لستم خافين على الله بنظركم لأنفسكم وبنظر الناس إليكم.. تستخفون من الناس ولا تستخفون من الله - وهو معكم -؟ ولو أنكم علمتم أنكم في الصغير والكبير من شأنكم تحت سمعه، وتحت نظره، وتحت يده، بسمعكم ونظركم وحسكم لاستحييتهم أن تأتوا اللئيم، ولتشجعتم أن تأتوا الكريم من الأفعال.

بهذا جاءكم الأديان وجاءكم به رسالة الفطرة على وضوح وتمام، وجاءكم رسول الفطرة على دوام بيان وعلى علم قيام في علم لا ينقطع، على تواضع، وفي تواضع على رحمة، وفي رحمة على قدرة، وفي قدرة على حكمة، وفي حكمة على وصلة، وفي وصلة على غير انقطاع.

فهل علمناه الخير؟ وهل وردناه أحواض كل خير؟ وهل حملناه بمعنا منه أواني للخير؟ وهل مددناه أيدينا لطالب الخير بالخير؟ كل هذا كان لنا به، وكل هذا ما زال بنا كائن به، وكل هذا لنا يكون به، فهل تواصيناه في الله بحق؟ وهل تحاببناه مع وجوه الله على حق، وعلى حب للحق، قائما لا غيب له، لا نهائي لا إحاطة به، قيوم لا تقصير منه، فدخلنا في حصن لا إله إلا الله فآمناه ووجدناه فكاه، وكناه فرحنا أنفسنا، وسعدنا أزماننا ودهورنا؟

لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه ولا قائم بنا إلا إياه..

عباد الله.. وجوه الله.. كلمات الله.. أسماء الله.. أمر الله.. خلق الله، استغفروا الله وتوبوا إلى الله.. اسألوه السلم والسلام منه.. اسألوه أن ينزل سكينته على قلوبكم وقلوب المؤمنين، وأن يرزق هذه الأرض السلم والسلام بين أهلها، وأن يجنبهم الفرقة والخصام، غافرا راحما مغفيا.. اسألوه أن ينشر برحمته، برسوله، بكرمه، بسلامه، بتدانيه، بوجهه، بقاءه وقيومه، بعبده.. فينا الرحمة والحياة.. اسألوه أن ينشر فينا نوره، وأن لا يحرمنا هديه، وأن يسري فينا أمره، وأن يقومنا طاعته، وأن لا يحرمنا

نجدته، وأن يقيم بنا لنا في أبنائنا وأزواجنا وأصولنا من آبائنا وإخواننا من أخلائنا قيامه وقيامه.. حتى يعلي بنا كلمة الحق والدين، وينشر بنا نور الحق واليقين، وأن يجمعنا ويجمع بنا أمة خير للعالمين، نُحيي به يوم دين، ويوم يقين، ويوم قيام لرب العالمين، تدرك الساعة في ساعتها، والقيامة في قيامتها، والقيوم في قيامها.. لا إله إلا الله..

أضواء على الطريق

من هدي القرآن الكريم:

١:

• {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}٨.

٢:

• وهو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}٩.

• {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}١٠.

٣:

• {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}١١.

• {إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر}١٢.

• أمت.. أمت. وانبعث فيمن أمت.. {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين}١٣.

• {ومن الليل فتهجد به نافلة لك}١٤.

• {لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر}١٥.

٤:

• {أدعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة}١٦.

• {من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}١٧.

• {أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين}١٨.

مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ إشارة إلى انتقال الأخ العقيد المهندس السيد أحمد قدري سليمان عضو الجمعية الإسلامية الروحية ونائب الرئيس منذ عشرة أيام.
- ٢ من حديث شريف: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيَتْ الْكَزْنَ: الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ... أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.
- ٣ من الحديث الشريف: "فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.
- ٤ حديث شريف: "كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ". المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى. كما أخرج البخاري في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكُتِبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخُلِقَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ".
- ٥ من قصيدة للحلاج.
- ٦ من حديث قدسي: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبُهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ أَسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ". صحيح البخاري.
- ٧ سورة الأعراف - ١٩٦
- ٨ سورة آل عمران - ١٠٤
- ٩ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
- ١٠ سورة الفتح - ٢٩
- ١١ سورة الأنبياء - ٣٤
- ١٢ سورة الكوثر - ١، ٢
- ١٣ سورة الأنبياء - ١٠٧
- ١٤ سورة الإسراء - ٧٩
- ١٥ سورة الغاشية - ٢٢، ٢٣
- ١٦ سورة النحل - ١٢٥
- ١٧ سورة الكهف - ٢٩
- ١٨ سورة يونس - ٩٩

(٢٤)

طريق

الخلاص والحياة

حديث الجمعة

٢٤ محرم ١٣٨١ هـ - ٧ يوليو ١٩٦١ م

اللهم إنا قد مستنا من أنفسنا البأساء والضراء، فلك جأرنا، فستنا منك النعمة، فلك شكرنا، واستيقظت عقولنا، فلك رجعنا، وأفقت نفوسنا فلك طلبنا..

اللهم إنا بك قد آمنا ولرسولك قد أسلمنا..

اللهم إليك فأرجعنا، وبخلقك بحمد ألحقنا، وفيه أدخلنا، وبما أنزلت معه من الحق حققنا.

اللهم إنا نترسم خطاه، ونتابع مسراه. اللهم به فقومنا، وبطريقه وبسبيله أوصلنا، وعلى بابه لك أوقفنا.. اللهم منه إليك فأدخلنا، ومن رحمتك معه لا تحرمنا وفيها أغرقنا.

عباد الله:

إننا كما تعلمون في عصر بلغت فيه الأرض زخرفها وازينت، وتجاوز أهلها الظن بأنهم قادرون عليها. إن الظلام قد شملنا وأحاطنا، وإن الخصاص قد قام بنا وأهلكنا، ولا خلاص لنا مما به أحطنا، إلا بالمرجع إليه في أعماقنا وفي قلوبنا، وفي لبنا.

إن العذاب وإن العقاب لا يلحق إلا جلودنا، فلنتخلص منه بالهروب منه، من سطحنا إلى داخلنا إلى أعماقنا..

إن القلوب إذا حييت.. إن اللب إذا تواجد، لا يلحقه نصب ولا يضيق بتعب. فلنرجع إلى الله - معنا - أقرب إلينا من حبل الوريد، إلى الله في أعماقنا. إن القلوب هي أرض الله الواسعة التي يفر إليها المكروب من كل كرب..

لقد جاءنا رسوله، منه وعليه السلام، ومنه وعليه الصلوات، فأقام بيننا مرآة صفاء ربه، يراه أهل الجلود ممن يعيشون على الأرض أو في السماء بجلودهم جلدة على مثاهم، فيحتذونه ما شهدوه، ويغيّبونه ما فقدوه...

ويراه أهل الأبواب لباً بلبهم، فيعرفونه لباً لهم فلا يقطعونه، ولا يغيّبونه، ولا يعمهونه في ألبابهم... ويراه أهل النفوس منهم، نفساً على مثاهم في صفائهم بصفائهم، ويراه أهل العقول عقلاً على مثاهم، حكيماً محكماً في حكمتهم فيصلونه بلا انقطاع في العلاقة بينه وبينهم...

ويراه أهل الروح روحاً على مثاهم وروحاً لأرواحهم، فيحيونه ويتواجدونه ولا يعمهونه أبداً... ويراه كلمات الله كلمة لله جامعة لهم فيجتمعونه كلمة عليهم وإماماً لهم... ويراه الأرواح آدمياً يتكاثر وينتشر، ويتفرق ويجتمع ويتوحد وينتثر.. إنسانية وبشرية لله، بما يقوم في معانيهم من آدميتهم بأرواحهم أرواحاً لله، وبدايات خلقه، ومظاهر حقه... ويراه أهل الغيب غيباً من غيب الله يغيّبون فيه، به يتواجدون، وفيه يتكثرون، وبه يظهرون، ولمرضاته يعملون، وفي محبته يتفانون، وبه سرمداً يبقون...

إن محمداً خلق الله، وإن محمداً رسول الله، وإن محمداً حكمة الله، وإن محمداً عبد الله، وإن محمداً إنساناً لله، وإن محمداً حق الله، وإن محمداً وجه الله.. اجتمع له ذلك كله بوصفه رسولاً من الله، وبوصفه رسولاً إلى الله من خلق الله.. رسولاً من الله من حق الله لخلق الله. ورسولاً من خلق الله وإماماً لخلق الله، وإماماً لعوالم الله، وإماماً للثقلين في الله إلى الله.. قائد ركب عوالمه إليه. وبصفته عبداً سرمدياً لله.

إن محمداً حق الله ما عرفه إلا الحق من ربه. فما عرف نفسه، وما عرفه الناس، وكان للناس أسوة وقدوة في جهله بنفسه، وفي معرفته بربه.. جهل الناس أنفسهم في الله، لأن إمامهم وقدوتهم ما عرف نفسه في الله.. وآمن الناس بالله في أنفسهم لأن إمامهم وقدوتهم ورسول الله إليهم وأُسوتهم آمن ربه أقرب إليه من جبل الوريد، آمن ربه ممسكاً بيده نفسه أبداً وأزلاً، آمن الله في نفسه.

حمل لنا الأثر كما حمل لنا الخبر.. أثر رسول الله وخبر رسول الله، فوصلناه أثراً كلما وقفنا له على أثر، وسمعناه خبراً فصدقناه وتابعناه كلما نقل إلينا عنه خبر.. فترسمناه خلقاً وآمناه حقاً.. فشممنا طيب ريحه فتابعناه، وآمناه حقاً فوصلناه ووصلنا على قدر فيه وقدر منه.. نطلب مزيداً فيه ونطلب رضاء منه.

ها نحن بهذا نعمل، وفي هذا نسير، وعليه نجتمع، لا نرى الإيمان لنا ما لم نرى الإيمان يشرق في قلوب الناس، وفي عقول الناس، وفي نفوس الناس، نحبه ونرتضيه، ونسأل الله أن يزيدنا منه، وأن يزيد الناس فيه.. وأنه ما زاد الناس فيه فقد زادنا، وما زادنا فقد زاد الناس فيه.. إنا لا نفترق من الناس ونسأله أن لا يفرقنا من الناس.. لأننا نؤمن بالله في الناس، ونؤمن بالله في أنفسنا ما آمنّا بالله في الناس.

إن الله جامعنا ليوم لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في إنسان لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في حق لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في عبد لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في آدم لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في ملأ لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في أرض لا ريب فيها.. إن الله جامعنا في جمع لا ريب فيه.. إن الله جامعنا في يوم لا ريب فيه.

إن الله يجمعنا في ليل نسكن فيه.. إن الله يجمعنا في ليل لا نشقى فيه.. إن الله جامعنا في ليلة تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر.. إن الله جامعنا في نفس.. إن الله جامعنا في عبد.. إن الله جامعنا في إنسان خير من ألف شهر.

من دخل في إنسان الله.. من دخل في عبد الله.. من دخل في محمد الله.. من دخل في رسول الله فهو آمن، قامت قيامته، وأشرقت ساعته، واستقام في الله أمره، وقام بالله حقه.

ما جاء مرآة صفاء الله للعالمين إلا رحمة لهم في عليين وفي سافلين، وفيما بين ذلك من العالمين.. رسولا من أنفسهم لا يرى فيه الرأي إلا نفسه في وجود الحق مستقيما وجوده، ومستقيمة نفسه على ما أَرادها الله إليه... رآته الملائكة ملكا فآخته وآخاها، وتعارفته وتعارفها. فكان جبريل له أخا وكان هو لجبريل أخا. جمع على جبريل غيبا له يوم نادى في الناس إلى روح الله أن هلموا. ومنها لا تيأسوا. ويجمع عليه جبريل الناس.. يا أيها الناس هيا إلى رسول الله أن هلموا. ومن وصاله لا تيأسوا.

ورد في الأثر على لسان جبريل عن لسان رسول الله أن أحب عمل إلى جبريل هو أن يجمع الناس من أمتة على رسول الله. وقد بئع رسول الله نفسه في أثر الناس أن يؤمنوا بحديثه، وأن لا ييأسوا لأنفسهم من روح الله التي عرفها وعرفته، والتي قاما وقامته، فكانها وكانت.

وها روح الله قد عملت في أمتة وما زالت تعمل.. وها هي في هذا العصر تسفر عاملة، وسوف تسفر على رسول الله جامعة، وبه أمرة وله مؤتمرة، وإلى حضرته للناس داعية، وعلى حضرته للطلاب جامعة.

إن الأرواح المرشدة التي تعمل في البشرية في هذا العصر داعية الناس إلى الروح الأعظم لله أبا للجميع، لا تعني بالروح الأعظم لله إلا روح رسول الله.. روح رسول الله الحقية السرمدية الدائمة الأبدية، أظهرها الله في قديم عبوديته، وأبقاها الله وصلة جديد عبوديته، ودائم عبوديته في دائم خلقه، لقديم خلقه، ولقائم خلقه، ولمستديم خلقه.. قامتها ذات الرسول وشجرته.

إن الروح الأعظم من الله روحاً لأرواح الله من عباد الله في كلمات الله، وأوادم خلق الله، ودائم إنسانية الله.. هي معنى تعالى الله.. هي معنى تعالي الله عن الوصف وعن الصفة.. وهي معنى تداني الله للخلق، بمعاني الحق وبصفات الحق.

إن المعرفة في الروح الأعظم أو المعرفة عن الروح الأعظم هي عين المعرفة عن الله، وهي عين المعرفة عن الإنسان لمعرفته عن نفسه من الله. وإن المعرفة في الذات والذات الأقدس هي المعرفة عن الربوبية.

إننا في هذا العصر الذي اشتد ظلامه كما أشرت، والذي تزايد طغيانه كما قلت وكما نشهد.. فيه إشراق روح الله عن الروح الأعظم من الله، تداني خلق الله، وتقارب عباد الله، وتظاهر إنسانية الله. إننا بهذه الصلة وفي هذه الصلة في رحمة من الله، وفي عناية من الله، وفي نعمة من الله لا نقدرها الآن حق قدرها لأننا في طبيعتنا لا نقدر الله حق قدره. ولكن هذه الرحمة المدانية.. هذه القطرات من ماء السماء تتساقط على الأرض فتتلقفها أرض طيبة من قلوب طيبة تهتز بها وتربو، فتبدأ انقساماتها وتوحداتها، وتبدأ في الله حياتها.

لقد أدرك الكثير منكم هذه الحقيقة في قلوبهم لأنفسهم. وأقول الكثير - وإن قلوا - فإن الواحد من أرض القلوب الحية إنسانية بأسرها.. إن الذي يحيا قلبه، ويقوم أديمه، ويستقيم آدمه، وتظهر به من الله كلمته، ويشرق به في الناس للناس وجهه كثير وإن قل، عديد وإن تعدد بقدر أصابع اليد.. إنه النفس الواحدة التي بحياتها يحيا الناس جميعا وبموتها يموت الناس جميعا..

إنكم في جماعتكم هذه مدرسة الحياة.. مدرسة الروح.. مدرسة الله.. مدرسة الرسول.. أمة الرسول.. كلمات الله من الرسول.. وجوه الله لوجه الرسول.. ما حييت أرض قلوبكم، وما أزهرت شجرة أديمكم، وما استقامت طريق عقولكم، وما تكثرت حضرة نفوسكم. فيكم هذا كله ما جاهدتم أنفسكم وواصلتم طريقكم إلى أهدافكم بل إلى هدفكم وهو الله، الله من ورائكم مظاهر ولكم معين بإحاطته.

فاستقيموا كما أمرتم.. أقامكم الله وأعانكم، وهدانا وهداكم، وهدى الناس بكم.. لا إله غيره وإليه المصير.

عباد الله: اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته..

اللهم إنا نسألك أن تنزل السكينة على قلوبنا، والسلام والسلام على أرضنا. اللهم إنا نسألك أن تؤلف بين قلوبنا كما ترضى وكما تحب، وأن تقوم فيك طريقنا على ما تحب وعلى ما ترضى، وأن تجعل قيامنا فيك عاملين مجاهدين على ما تحب وعلى ما ترضى. اللهم لا تكلنا إلى ما نحب ونرضى، وأقنا اللهم برحمتك وبكرمك فيما تحب وترضى، والقنا كما تحب وترضى لمن أحببت ورضيت، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، وتولنا حكاما ومحكومين، وارحمنا حكاما ومحكومين، واغفر لنا يا أرحم الراحمين حكاما ومحكومين.

(٢٥)

الله مطلوب الإنسان لنفسه والإنسان مطلوب الله لنفسه الإنسان في الله والله في الإنسان

حديث الجمعة

١٥ صفر ١٣٨٠ هـ - ٢٨ يوليو ١٩٦١ م

تصحیح التاريخ الهجري: ١٥ صفر ١٣٨١ هـ

أشهد أنه الله، لا موجود سواه، كائن على ما كان ولا يكون إلا على ما هو كائن.

أشهد أنه الله الصمد، السرمد في ذاته السرمد في صفاته.

أشهد أنه الله، الموجود قبل كل وجود، القائم بكل موجود.

أشهد أنه الله، معية الأشياء وقبل الأشياء وبقاء الأشياء.

أشهد أنه الله، المرسل لكل رسول، وأنه الله في قيام كل رسول، وأنه الله في قائم كل مُرسل إليه.

أشهد أنه الله، عين الوجود، وروح كل موجود، وطلعة كل مشهود.

أشهد أنه الله، من وراء الكل محيط، وعلى كل شيء قائم، وفي كل حي دائم.

أشهد أنه الله في الأحياء وعين الحياة، الحي الجامع والحي القيوم والحي الدائم.

إن الله عالما وعلمها ومعلوما قياماً: نتوجه إليه العقائد، وتنعقد لطلبه الهمم، وتسير إليه معارج التطوير والتطور في الإنسان وفي الوجود.

شرف الإنسان فيه علما عليه، ومعلوما له، وعلمها عنه، قديما في قدم الإنسان فيه علما على ظهور صفة القدم له، وحاضرا في وجوده وشهوده، ودائما في مراده به، وفيما يصل به إليه بطلبه له.

الإنسان للإنسان مرسل، وإلى الإنسان رسول، وفي الإنسان قيام.
الإنسان شرف بالله، والله عرف بالإنسان، للإنسان في الإنسان.

هل حدث أن طلب الإنسان الله فلم يجده؟! لقد طلب الله الإنسان قديما ودائما وأبدا، فطلب الإنسان الله في قديمه، وفي حاضره، وفي قابله، فوجده كلما طلبه، وكيفما طلبه، وأيما طلبه. كان الله هدف الإنسان ما تواجد الإنسان، وما اصطفى الله الإنسان، وما أظهر الله الإنسان. وكان الإنسان مطلوب الله ما تواجد الله وما عرف الله. وما طلب جديد الإنسان في الله قديم الإنسان فيه، وما طلب قديم ذكر الله الإنسان إلا بقديم الإنسان ذكرا لله فيه.

كلنا يرانا الإنسان. ونحن فعلا خلقنا لنكون الإنسان، ولكن هل نحن في شغل بما خلقنا له؟ وهل نحن في طريق إلى ما قصد بنا من خالقنا؟ هذه هي قضيتنا. هذه هي قضيتنا في المجتمع، وقضيتنا في الدين، وقضيتنا في العلم، وقضيتنا في الطبيعة، وقضيتنا في الوجود.

جاءنا رسل الله، وجاءنا جماع رسل الله، وروح قدس الله، وأمة اصطفاء الله، وذات آدم الله، وتمام كلمة الله، محمد ابن عبد الله، وعين عبد الله، وصفة رسول الله، ووجه الحق من الله، ودوام وجه الله لخالق الله. جاءنا هذا الحق من حقي الإنسان، أسوة وقدوة، وحوض حياة لماء الحياة، وجذوة حياة من نار قدس الله، وقبس نور من نور حق الله.. وجودا كاملا في معناه، وإنسانا قائما في مبناه، ووجها مشرقا في مغناه، وحقا مدانيا رحمة من معروفه ومولاه. جعل الدين في معرفته، وجعلت الوسيلة والنجاة في وصلته، وجعل المسير في سفن أهل بيته من تكاثره، وجعل الخلاص والحياة في متابعته.. يعمل في بحار الوجود كادحا، يحمل الله به خلق الله، فينجي الله به الهاوين، ويهدي الله به الضالين، ويرد الله به الشاردين، ويلتقط الله به الغارقين، وينير الله به المظلمين، ويزيد الله به هدى المهتدين.. إماما للأميين، وطابعا للعارفين، وسراجا مضيئا للمستنيرين، وكتابا مقروءا للقارئ، وقلم قدرة للكاتبين، وألواح كتاب للعاملين، ومعلم مدرسة للمتعلمين، وعميد جامعة للمتعلمين، وخاتما وطابعا وكلاما للنبيين. جعلت فيه الكفاية لمن استهداه، وجعل فيه الغنية عمن سواه، وجعل فيه القرب لمن والاه، وجعل فيه التوحيد لمن وصله وصلاه، وجعل فيه الدين لمن اتقى الله.

جعل الله من ذاته دائمة متكاثرة بيت قبلته للعالمين، ومحراب ندائه للسامعين، وحرم مسجده للواصلين، وساحة فضله للمكبرين، ومدينة علمه للعاشقين، ودار حضرته للمتقين، وجنة وصلته للمقربين، وحق قيامه للخاشعين، ومعنى وحدته للساجدين، وعلم قرب له للذاكرين، وعفو مغفرته للتوايين، ورحمة حلمه للمخبتين، وحلم قدرته للخائفين.. وسرمد وصلته للأوابين.

جعله فيصلا للحق، بتقديم للحق فيمن قبله، وبجديد من الحق فيمن بعده، وبقائم للحق فيمن فيه صلى من خلاله بتقديمه على حاضره، وصلى من قابله عليه حاضرا لطالبه، صلى من الناس عليه بأمر خلت لها به ما كسبت، وصلى من الناس عليه بأمر تلاحت له بالله اكتسبت...

فكان بحقه وحقيقته مركزاً لدائرة الوجود في معناه ودائرة لمركز الشهود بأمرته ممن والاه.. هو الشاهد بحقه أبا وربا، وهو المشهود بخلقه عبداً، هو الشاهد في كل نقاط دائرته، وهو المشهود في مركزها لكل مشاهد من نفسه لنفسه في نفسه، فهو المشاهد من مركزها بإحاطته حقاً لكل مشهود له في دائرة موجوده وجه حقه.. وهو لطيف الطاقة المنبعثة من مركز دائرة قيامه.. وهو المشاهد بما يمتد من لطيفه لنفسه في المشاهدين، يشهدونه أنفسهم، وقيامهم بوحدانية موجدتهم.

في الناس وبالناس فيه عرف معنى الحق له وللناس.. يقومهم موحدين ويقومونه مستخلفين، يشهدهم موحدين ويشهدونه مفقودين واللائي من ورائهم محيط، وفيهم بصائر بالرسول عرف الله، وبالله عرف رسوله. بوحدانية الله لا شريك له عرف الرسول حقاً منه ووجهها له. وبوحدانية الرسول عرف الله في وحدانيته بمعناها به لمن أحب.. لمن طلب.. لمن عشق.. لمن أراد الحياة.. لمن كان أهلاً لبيت رسول الله.. لمن دخل في نفس رسول الله.. لمن دخل في بيت الله.. لمن دخل في أهل الله.. لمن وكل على نفسه الله ورسوله.. لمن دخل في عبد الله.. لمن دخل البيت مطأطئاً رأسه، لا مستعلياً ولا مستكبراً.. لمن دخل البيت راكعاً ساجداً.. لمن دخل البيت مؤمناً مشاهداً.. لمن دخل في أهل بيت رسول الله، بيوتاً لله، وسفناً للنجاة، وسبلاً للحياة، وجناناً لنعمة الله.. لا يدخلها إلا من ارتضى الله، جناناً لله لم تتسع السموات والأرض لما اتسعت له.. جناناً لله بعباد الله.. جناناً عرضها السموات والأرض، لا سقف لها ولا أرض لها، لا انتهاء لمرتقاها، ولا انتهاء لتجديد معناها.. عمداً لله من نور الله.. آحاداً لله في أحدية الله.. بدايات لله - الذي لا بدء له - نهايات لله - الذي لا انتهاء له -.

عباد الله

حقائق الله

عوالم الله

وجود الله

أكوان الله

هذا جاءنا به رسول الله، واقتضانا الدين أن نتأمله، وأن نفكر فيه، وأن نسعد به، وأن نسعى إليه، وأن نحيا فيه، وأن نقومه، وأن ننشره.. أمة وسطاً تؤمن بما قبلها من أمم - لا بدء لها - خلت مما سوى الله

فعرفته، وتؤمن بما بعدها من أمم لله تتواجد - لا انتهاء لها - . مآلها إلى الصفاء معه من القطيعة عنه. مآلها إلى الصلح معه من الخصومة له.. عسى أن يخرج من ظهورهم من يعبد الله.

رسول الله: أقرب عباد الله لله، وأعرف عباد الله بالله، وأشرق أنوار الله بالله، وأسعد خلق الله بالله، استغنى بالله عن نفسه وعن كل ما سوى الله. وخلا في نفسه عن كل ما سواه. فما كان بوجوده إلا وجوداً من وجوده. وما كان برحمته إلا طلعةً لرحمته. وما كان بعلمه إلا كتابه وعين العلم عنه.. صلت عليه الأمم - أمة وسطا - صلى الله في قديم عليه خلال أمم خلت لها ما كسبت فكان محرابها، وكان قبلتها، وكان بيت حجيجها، وكان مطاف علمها، وكان باب بعثها بجديدها فيما بعده من قديمها، وفيما قبله في دورة وجودها، وتعاقب أيامها لتحقيق منشودها تتجدد بتجدد افتقارها.

صلى الله عليه قديماً. وصفات الله لا تنقطع ولا تتوقف، فصلى عليه حاضر الحياة ووجودها.. صلى عليه روح الوجود وحياته، فأمدته بالحياة من سرمد حياته، وبالروح من سرمد روحه، وبالوجود بعد الوجود من سرمد وجوده، وجوداً حياً متكاثراً علماً عليه ورسولاً من لانهائي وجوده، لدائرة من موجوداته في واسع موجوده، لا يتعطل اتساعه ولا يتوقف جديده.

صلى عليه من الوجود وجوداً له به تجلى وعلمها عليه به نادى. وأمر موجودات الوجود - وجوداً له ووجوداً لمتجليه - أمرها أن تصلي عليه تخلقاً بخلقها وهو من خلاها وبصلاتها المصلي عليه. وهي بالصلاة عليه تتخلق وتتواجد بأخلاق خالقها اتباعاً واقتداءً، وهو الذي صلى عليه بقديمه وبحاضره وبدائمه ليعث القديم موصولاً، وليصل الحاضر مبعوثاً، وليحيا الجديد موجوداً. إن الصلاة على النبي قانون قوانين الحياة، يقتضيها في المعرفة به المعرفة عن النبي، والمعرفة عن المصلي والمصلي، والمعرفة عن الصلاة. وفي المعرفة عن النبي والمعرفة عن الصلاة تقوم المعرفة عن الحياة. وبقيام الحياة تقوم المعرفة عن الحي القيوم، في حياة الأحياء من المؤمنين من الجنة والناس.

إن الصلاة على النبي ليست ما تلوك أفواهنا من قول، وما تثرثر ألسنتنا من ألفاظ. ولكن الصلاة على النبي فعل يقوم ويصدر عن الإنسان يفعله ويقوم به. كما أن الصلاة من الله على النبي ليست لفظاً أو كلاماً صادراً من الله ولكنها فعل يصدر عن الله، يصل إلى رسول الله وأمة رسول الله، يقوم به رسول الله، وتقوم به أمة رسول الله، ومنه يصلي رسول الله، بقدس روحه وبذاته في أمته، على الناس ما صلوا عليه صلاةً هي فعل منهم لا قول.. فيصلهم برفده، ويصلهم بنوره، ويصلهم برحمته، ويصلهم بعفوه وشفاعته، ويصلهم بقبوله ورضائه، ويصلهم بالله يداً لله.. يحملهم إلى الله بقبضته من فوقهم، ويحملهم إلى الله على راحته يداً لله عندهم، ليقومهم الله فيرتضيهم الله بشفاعته في رضوان أكبر متبادل متضاعف.

إن الدين إنما هو الفهم في عبد الله، وفي رسول الله، وفي نبي الله، وفي نأ الله، أي في حجاب الله، وفي باب الله، وفي مدينة الله، وفي أمة الله، وفي ملأ الله، وفي إنسانية الله، وفي الإنسان الجامع للإنسانية الله.

إن الفهم في الرسول إنما هو الفهم في الدين، وفي الديان، وفي كتاب الله. وما ابتعدنا عن الفهم في الرسول، علما وعملا وتطبيقا وقياما والتفانا وطوفا واعتكافا واستقبالا، فإننا قد باعدنا بيننا وبين الحق في أنفسنا، وباعدنا بيننا وبين الحق في الله.

إن رسول الله لنا كل شيء لنا، ونحن لرسول الله بدورنا، ما آمننا به حقاً من الله، وحقاً في الله، وحقاً بالله، وقياما لله، وقياما بالله، كما له كل شيء، كل شيء له من الله.

إن رسول الله بمحدثه، من ذاته جديداً لقديمه، من حقي عبوديته، حيا موجودا، كان بجديده محراب قديمه وقبلته، وكانت هذه في الله سنته وفي الوجود شرعته. فما زال كل قديم لرسول الله يرى أو ينظر ليرى في كل جديد لرسول الله محراب صلاته، وقبلة صلاته، وسفينة وده، وطريق قربه، وباب طريقه، وساحة سعيه، وجنة رجائه، وثمرة كسبه، للمريد في الطلب من مرسله في مرسله، في طلبه لله، يرى فيه مرآته للنظر لوجه الله فيه، يشهده على مزيد من إشراقه، هو من ورائه بإحاطته، في مُتَالٍ من معراج، وعلى قرب فيه من توحيد، في لانهائي من مطلب وطلب، وعلى غير مجذوذ من إجابة وعطاء.

إن الأنبياء والأئمة والأولياء، الكل يستقبلون محراب جديده لقديمهم فيه، بعثا لراق وعال من قديمهم في قديمه، وطلب لدائم في باقيه بدوام بقاءهم ببقائه.. لا يستكبرون ولا يستعلون ولا يستنكفون ولا يُتَفَرَّقون ولا يعددون ولا يختلفون.

هذا دين القيمة. هذا دين الشهداء على الناس. هذا دين أمة الشهداء. هذا دين عباد الحي القيوم على الناس في الناس من الناس. هذا دين الإسلام. هذا دين الفطرة. هذا دين العقل. هذا دين القلب. هذا دين الحس. هذا دين الوجود. هذا دين العلم. هذا دين المعرفة. هذا دين الحياة هذا دين الله. هذا هو الحياة. هذا هو الله. هذا هو الحق من الحياة ومن الله ومن الوجود.

فهل نحن في هذا الدين؟ نرجو أن نطلب، ونرجو أن نكون، ونرجو أن يتكشف لنا الأمر لنكون، ونرجو أن يتكشف لنا الوعي لنطلب، ونرجو أن تبعث فينا الهمة لنسعى إلى الطريق في الطريق إلى الله برسول الله، فنحيا بذكر الله، ونحج لوجه الله، ونستقبل محراب الله، ونطوف ببيت الله ساعين ملبين مهرولين.. بين صفاء أنفسنا - صفاء له - وبين ري نفوسنا من ماء الحياة معنا.. نطلبه لنجتمع، ونجتمع على ذكره فنراه ونسمعه.. نحياه ونحس به الحياة ونجتمع ونقوم به الله في معناه فتواجهنا ونشهدناه..

نرى رسول الله المبعوث فينا.. نراه صاحب الأمر المطاع في أنفسنا ومعانينا. نراه ضمائنا تحيا وتبعث.. نراه عقولنا تفيق وتنطق وتنطلق.. نراه نفوسنا تحيا وتترزق وتضطور وترتقي، وتخرج من معاني الغناء بنفسها إلى الفناء فيه والبقاء به.. نراه قرونا وعوالم لله تنشُد وتُشيد وتنصب وتُعمّر.. نراه الحياة نسعدّها.. نراه الجنة تتواجدّها.. نراه نار الله نصطليها ونستحييها ونستدفئها.. نراه الخير كله من الله.. نراه النعمة كلها من الله.. نراه الرحمة مدانية من الله.. نراه الحق قائما من الله.. نراه إيانا.. نراه معنا - قياما في معناه لا استحواذا على ذاته ومعناه وما أعطاه الله ولا ما كانه من الله - معاذ الله وحاشا لله أن نزعّم أن نتسع لحقائقه، ولكن معاذ الله وحاشا لله أن لا يتسع لنا.. إنه الواسع لنا مهما أذنبنا أو من الله قربنا.. إنه الواسع نحن فيه مهما تشردنا ومهما تمردنا، ونحن فيه مهما ارتقيننا ومهما صعدنا.. إنه الرحمة التي بدونها لا تكون الحياة.. وإنه المغفرة والشفاعة التي بدونها لا تكون النجاة. وإنه الرسالة التي بدونها لا تكون دعوة إلى الله.. وإنه الحقيقة التي بغيرها لا يشهد حق من الله.

هذا كائن منا منه كئا، وسيبقى لنا، وكان لنا رسول الله، ما أحببناه! ما سالمناه، ما في أنفسنا أحييناه وبعثناه فُبعثناه، ما أسلمنا الأمر إليه إلا ما أسلمنا.. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم أطلقنا أحياء في رسول الله.. اللهم أوفر حظنا من رسول الله.. اللهم قرب بيننا وبين رسول الله.. اللهم اكشف الغطاء عنا عن عبد الله ورسول الله.. اللهم أحيينا برسول الله.. اللهم صلنا برسول الله.. اللهم صلّه بنا كرما منك وفضلا علينا.. اللهم به فاغفر لنا وتب علينا.. اللهم به فتولنا في الكبير والصغير من شأننا.. اللهم به فارضنا بما يرضيك فينا وبما يرضيك لنا.. اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك به اللطف فيه.. اللهم ارفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم إنك أنت الأعز الأكرم.. اللهم لا تتركنا لأنفسنا حكاما ومحكومين، قادة ومقودين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، مؤمنين وشاردين.. اللهم تولنا برحمتك أجمعين وتجاوز عن سيئاتنا.. اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائك يا كريم..

أضواء على الطريق

من هدي القرآن:

- {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته}¹.
- {وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى}².
- {الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}³.
- {وهو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}⁴.

- {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}٥.
- {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت}٦ - ونحن أقرب إليه من حبل الوريد}٧ - وهو معكم أين ما كنتم}٨ - والله من وراءهم محيط}٩ - فأينما تولوا فثم وجه الله}١٠.
- {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك}١١ - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}١٢.
- {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}١٣.

مصادر التوثيق والتحقيق

١	سورة الحديد - ٢٨
٢	سورة طه - ١٣٢
٣	سورة الأحزاب - ٦
٤	سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
٥	سورة النساء - ٦٥
٦	سورة الرعد - ٣٣
٧	سورة ق - ١٦
٨	سورة الحديد - ٤
٩	سورة البروج - ٢٠
١٠	سورة البقرة - ١١٥
١١	سورة الرحمن - ٢٦:٢٧ , سورة القيامة - ٢٢:٢٣
١٢	سورة القيامة - ٢٣, ٢٢
١٣	سورة آل عمران - ٦٤

(٢٦)

وحدة الحياة ووحدة الإنسان بحيوات الكسب والجزاء في أيام الله

حديث الجمعة

٣ شعبان ١٣٨٠ هـ - ٢٠ يناير ١٩٦١ م

إني أطمع في الله أن أبدأ باسم الله. إني أطمع في الله أن أبدأ بحمد الله. إني أطمع في الله أن أستغفر الله. إني أطمع في الله أن أشهد أن لا إله إلا الله. إني أطمع في رسول الله أن أشهد أن محمدا رسول الله.

خلق الله، أمر الله، عباد الله.

اتقوا الله، وجددوا إيمانكم بالله مع أنفاسكم، مع أزمانكم، مع صوركم، مع معانيكم، مع دناكم، مع أخرياتكم.

اتقوا الله، وجددوا إيمانكم بالله كلما تواجدتم، وكلها عن التواجد بعدتم.

اتقوا الله، وآمنوا بالله، ما وحدتم الله، وما عددتم صفات الله، وما أحدثتم وجود الله، وما صمدتم ذات الله، وما أظهرتم وجه الله، وما غيبتم معاني الله.

إن الله يعرف في سر تقواه لمرتضاه.. فتعرضوا لنفحات الله، في أيام الله بحبته وبتقواه، تحصلوا من الله على رضاه، فتحبوا برضائكم عن الله.

إن الذي نحياه من الله في أيامه بنهارنا وليلنا، وإن تجدد من قديمنا معناه وقام من قديمه عين أمره ومواصلته ومبتداه، فإننا نشهد فيه ما قد نسميه جديدا وما يجوز لنا أن نسميه جديدا لأن ما سبق أن عرفنا قد تباعد عنا، ولأن مثاله بنا قدم علينا، فقمناه جديدا عين قديمه، فكنا بمعنانا لمبنانا عين القديم والجديد.

لقد كان في اليهود القديمة قبل محمد وبعثته في جديده بقديمه نبوءات عن عصره وعن شخصه، حققها مجيئه وعصره، وعز على أهله عنها فيه تصديقه وهو لم يخرج بدوره في رسالته عن سنن الله مع من قبله يحملون النبأ عنه.. فكان لابد أن تتضمن رسالته نبوءات عما بعده وعمن بعده. سجلها كتابه بالقرآن وأبرزها حديثه بالتفصيل والبيان، وحملها الأثر بالأمانة والتاريخ بالعيان.

ها نحن في أزمانها، وها قد صدقت النبوءة من القرآن في أوانها. وها قد وقع فعلا أمر التفصيل والبيان. ها هي السماء تدخل في نجوى مع أهل الأرض عن ابن السماء والأرض، عن الحقيقة، عن الإنسانية، عن البشرية، عن الآدمية، عن الكلمات، عن الآيات، عن الناس في رسالة السلام من عوالم السلام.

ها هو أمر رب الناس ليس خافيا وهو يصلهم بروح منه. ها هو ملك الناس بارز ظاهر من وراء حجاب بوسطائه بين الناس من الروح والناس. ها هو إله الناس يتجلى بالناس للناس من الناس. ها هو قيوم الله على الناس أقرب إليهم من حبل الوريد. ها هو لطيفه يلحق القلوب، فتبصر البصائر والأبصار، تبصر ما عجزت عن إبصاره ببصرها، وهي ما قامت في إبصاره إلا ببصره بصيرة لها.. {أبصر به وأسمع}¹.

ها هي الأسماع تأخذ طريقها إلى السماع بلحاق لطيفه لتسمع ما كانت لا تستطيع أن تسمع.

ها هي آيات الله ترى في النفوس وفي الآفاق وظن القدرة عليها يقوم في قدرة.

ها هو رب محمد.. ها هو رب الناس.. ها هو رب الأجناس.. ها هو الروح العظيم من الروح الأعظم يخاطب الناس، ويبرز آياته للناس حتى يعرف الناس أنه الحق من ربهم.

ها هو إنسان الله.. ها هو عبد الله.. ها هو عبد الله الحي في حياة الحي القيوم ينادي طالبي الحياة أن هلموا إلى الحياة اقتطفوها، واحتفظوها، وعنكم لا تقطعوها.. إن الله معكم أينما كنتم فاغنموه معيتكم.

ها هو نداء الله يُسمع للناس عاليا بعد قنوط من صمم، لا من انقطاع، ولا من غياب عن نظر أو سماع.

ها هو رسول الله كما ظهر للأبدان بالأبدان ببدن وبأبدان يظهر للأرواح بروح وبأرواح يخاطب الأرواح، وبشبح وبأشباح يخاطب الأشباح متوجها لأرواحها في أشباحها من شبح منها تشهده الأشباح شبعا، وتشهده الأرواح روحا، وتعرفه الأبدان بدنا، وتدركه القلوب قلبا، وتراه الذوات الفانية ذاتا فانية، وتحسه الأرواح الباقية روحا باقية، يكلم الناس من بيت على مثال من بيوت ذواتهم قبلة لهم، وصوتا لله ينادي في برية الله في صحراء الحياة. ينادي من انشقت عنه الأرض حيا

يواصل الحياة. ينادي من استقبل ماء الحياة من السماء فاهتزت بالحياة ذاته وترثت بجمال الله صفاته.

إن ما بث فيهما من دابة يجمعهما، وهو على جمعهما القدير، يوم يشاء، وقد شاء أن يظهر جمعهما وقد كاد يخفيه. فتح الأسوار بين العالمين، بين من يدب على الأرض ومن يدب في السماء فتساقطت الأسوار، وأصبح قائما بين العالمين سفور الجوار فقام فعل الجار للجار، ووجب حق الجوار. تعاون أهل الوعي من دواب السموات مع أهل الوعي من دواب الأرض ليقدم كلاهما ما عنده من تجربة ومن معرفة فتعارفا وتوادا، واستنصر أهل الوعي من أهل الأرض أهل الوعي من أهل السموات على أمرهم في الأرض لخير أهلها فأمدوهم بقدرة من أهل السموات من سكان الكواكب، وأصول الحياة من عوالم الروح، ومن سكان الأرض من عوالمها غير المنظورة. أمدوهم بنفوسهم جندا لله وأرواحا لهم لمعاونتهم على رد أهل الباطل وأهل الظلام من سكان الأرض عن غيهم، وعما خلقوا بأنفسهم لأنفسهم من أنفسهم من خصومة طاحنة، وتنافر وتنازع بينهم، وتفاخر بالطاقات على ضآلتها، والأموال على تفاهتها، معترزين بما يسمونه العلم الذي انتهى بهم إلى تطاحن مميت، وإلى عراق قاتل، وظلام خائق، في بعد عن المعرفة وعن حكمة المعرفة.

فها هي جنود السماء جنود للسلام تساند وتناصر دعوة السلام وجنود السلام من أهل الأرض، رجاء أن تخف عنها وطأة الخصام، وتزول منها حدة الانفصام إلى ما كان في الله وفي طلب الله، وفي تنافر في الله، وفي تراحم على الله، وهو ما لا وجود له اليوم في معركتها، حتى إذا ما انقشعت السحب الملبدة بظلام الخصام حلت محلها سحب منيرة، مشرقة بجمال السلام فأشرق على الأرض فجر الأمان، وانقشع عنها ظلام ليلها من الفرقة والخصام، ودخلت في يوم من أيام الله يبدأ بشروق شمس الله دليلا وعلما عليه، يد فعله وطريق ناموسه، تأتي من المشرق على عاداتها، وتغرب في المغرب كألوف سنتها.. يبدأ نهارها ثم يبدأ ليلها ثم تأتي من المشرق بجديد يوم في طريقها إلى المغرب لجديد ليل، دواليك في دأب لا بدء له، وفي دوام لا انقطاع له. وهذه هي أيام الله.

وها أنتم في هذا الزمان توشكون على انقشاع ليل طال لاستقبال شمس بدء ليوم نرجو أن يطول. إنكم السعداء أهل هذا العصر إذ يكون منكم بناء جديد البيت ومنكم لبناته.. بيت يشاد على جديد من قديم شيد بكم، وبكم يرفع قديمه، وبكم يوضع جديده، وبكم يبدأ أساسه، ومنكم ترتفع جدرانه، وبتمام نعمته عليكم يعرش سقفه، وتبسط أرضه، وتظل سماؤه، ويتدفق ماؤه.

أنتم السعداء إن أسعدتم أنفسكم بالله يدانيكم أمره ويكشف أمركم لكم سره. وأنتم المبتلون إن تشككتم في أمر الله في جهل أمركم على ما رجع إليه الآباء رجوعا لجاهليتهم. وأنتم الوارثون

للسالحين إن أيقنتم واستيقنتم أن ظهور الله في ظهور الإنسان، وأن بطون الله في بطون الإنسان، وأن تعالي الله في تعالي طبقات الإنسان، وأن تداني الله في بعث طبقات الإنسان وهذه هي عقيدة التوحيد في دين الإسلام.

إذا علمتم أن الله كما بدأ أول خلق يعيده، وهو معيده كما أعاده، وأنه من نطفة خلقكم، ومن نطفة خلق آباءكم وأجدادكم وأجدادهم، ومن نطفة خلق أبناءكم وأبناء آبائكم، فأدر كنتم وصدقتم أنه من نطفة يبعثكم، ومن نطفة يعيدكم، ومن نطفة يدخلكم النار، ومن نطفة يدخلكم الجنان، وصدقتم أن هذا الذي أنتم فيه من أمركم مما تجهلون فيه عن أنفسكم، لا علم لكم عن الله إلا ما علمتم عن أنفسكم فيه، ولا رباط لكم بالله إلا ما ارتبطتم بتقديم مرتبط من أصولكم فيه أو بجديد لكم يرتبط به فيه، ولا بقاء لكم في الله إلا ما بقيتم مع فروع لكم فيه.. بلا بدء لكم فيه - لأنه لا بدء له - وبلا انتهاء لكم فيه - لأنه لا انتهاء له - وأنه لا معرفة لكم عنه إلا ما عرفتم عن أنفسكم بمعيتكم منه أينما كنتم سواء في الأرض ولجتم أو في السماء عرجتم، أو إلى الأرض رددتم، لا معرفة إلا ما عرفتم أنه معكم، وإذا معيته لقيتم فعلى ربكم جعتم، وعبادا له كنتم، ووجوها له أشرقتم، فذكر الله أنتم.

إن الأنبياء ما علموا وما قاموا إلا بهذه التعاليم. وما أخذوها إلا من أصولهم من الإنسان من روح الحكماء قاموا بها في أنفسهم مبعوثين في أشباح أنبيائهم بهذه التعاليم ثمرة تجاربهم في حقيقة الوجود بإذن الله، فكانوا بحقائقهم إنسانية الله، وكان الأنبياء وهم أنبأؤهم كلمات الله حملوا النبأ من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد، وواصل الأنبياء حمل الأنبياء إلى أنبيائهم وأنبيائهم.. وما الحكماء والأنبياء ومن تحدث إلى الأنبياء من آبائهم من الحكماء، ومن تحدث إليهم الأنبياء والحكماء في كل عصر وفي كل موطن إلا إنسانية واحدة، لا بداية لها ولا نهاية لها، ولا انقطاع لها، ولا جديد عليها. جديدها قديمها وقديمها جديدها.. حقا واحدا أزليا يتجدد ما تجددت البشرية من تراب الأرض، ويتصاعد ما فاضت الرحمة من اللانهاية الأحد، ويرتد ما قامت إرادته ببناء، وعدله بجزاء، وحكمه بابتلاء، ورحمته بعفو ورضاء إلى مصدر النداء من الأرض أو من السماء.

إن إنسانية الأرض أو بشريتها على ظلها لنفسها مهما ظلمت نفسها كان نصيبها من عفوه عنها على قدر ظلها، وكان قسطها من رحمته على قدر غفلتها، وكان قسطها من النور على قدر ظلمتها، وكان قسطها من اليقظة على قدر حيرتها، وكذلك كان على قدر ضعفها معه قسطها من القدرة به. كما كان على قدر بعدها عنه قسطها من القرب منه. إنها البشرية محل الإنذار والبشرى فيها الإنسانية الممقوتة عند عوالم الإنسان، وفيها الإنسانية المغبوبة والمحسودة عند عوالم الإنسان. إنها الإنسانية الجامعة لصور المعارف وصور الجهل والإنكار.

إن من استيقظ منا من ظلام نفسه وظلمها، ومن جحد ربه ومباعدته وهو معه، ومن غفلة عقله ومجانبته له وهو وجهه، تفتح له أحضان الله عبدا له كان أبقا فعادا، وأحضان الحقيقة الإنسانية ابنا لها، كان شاردا تائها فرجع لبيته.. إنكم إن شئتم كنتم يتامى الله آواهم الله ما قطعتم روابط الصلة بتراب الأرض ووثقتهم أواشج الروابط بمعارج السماء، ما قطعتم علاقتكم بالدنيا وبالآخرة.. فلا الآخرة لكم أب ولا الدنيا لكم أم، ولا الوجود المادي لكم أصل. فإن رأى حيرتنا وقد قام يتنأ آوانا إنسانه إليه، آوانا من آواه الله، آوانا من آوته إنسانية الله من قبل، يتيما فأوى، ضالا فهدى، عائلا فأغنى.. آوانا الغني الذي أغنى.. آوانا المتصل الذي حيا وبقي واتصل فأوى.. آوانا العالم الذي فارق الجهل وقام في العلم.. آوانا اليتيم الموصول لليتامى موصولين والذي أمر أن لا يقهر، وأمر أن لا ينهر يتامى مطلوبين، فهو اليتيم المثالي بنعمة ربه تحدث إلى أهل بيته من موصوليه، ويتامى دناهم وأخراهم إلى مأوى وصلته، أمر أن يتحدثهم بما عرف عن نعمة الله، وعن عظمة الله، وعن مدانة الله في بشرية الناس رسولا من أنفسهم، وعن تعالي الله في تعالي الناس عن طبائع الناس.

هذا هو دين محمد. وها نحن نشهده لا كلاما أو قولاً ولكن قياما وعملا، وهذا ما سبق أن وعدنا به في نبوءة القرآن عن أمر البيان في عهده إلينا في قوله علينا بيانه، وعلينا جمعه وقرآنه.

إن رسالة الروح اليوم استكملت قرنا من الزمان، وسارت شوطا في الذي يليه، وإنها ستواصل وتواصل أراد الناس أو لم يريدوا. وهي بالغة أمرها رضيها الناس أو قاوموها، ولكنهم إن تلاقوا معها في منتصف الطريق أدركوها نعم الحق، ونعم الصديق ففعلوا لأنفسهم أمرها، وعجلوا لها عليهم نصرها، وكان انتصارها عليهم انتصارهم على ظلامهم، وكان فيه لهم وطأة الحق. {إن بطش ربك لشديد، إنه هو يبدئ ويعيد}²، وإن وطأته لا تكون إلا على الباطل، لا تكون إلا على الظلام، فيذهب الظلام، ويزهق الباطل، ويقوم الحق ويعرف الله. أما وطأة الحق على أهل الحق فهي وطأة الحبيب على الحبيب شدتها جمال ونهايتها كمال.

إن نحن تلاقينا بعملنا واجتهادنا ومجاهدتنا، وما أقام الله فينا وما قام بنا من الحق، دانتنا حقائق الله فتلاقينا وكان في هذا سعادتنا، ورحمتنا، وقيامتنا، وساعتنا، وحسابنا، وجزاؤنا، ومرجعنا، وحقنا.. وكيف يكون ذلك؟ وكيف يتيسر لنا شيء منه والأرض والناس على ما نرى من صراع وقتال وخصام؟ وإن تحقق لأفراد منا فكيف ينتفع به جمعنا، أو يقوم عليه اجتماعنا؟

إن رسالة السماء اليوم تحاول وترجو.. ترجو الله من فوقها وتوجه الناس من تحتها أن يعاونوها، وأن يتعاونوا معها على إنهاء للسلام على الأرض بين الناس، حتى إذا قام السلام بين الناس أمكن أن تقوم رسالة للسلام بين الناس وبين معيهم من الله.

إن الناس قد غاب عنهم أنهم مخاصمو الله بغفلتهم عنه في أنفسهم فيما يقومون فيه من خصام مع بعضهم البعض، أنساهم خصومتهم لله في أنفسهم.. فإذا ما قام السلام بينهم، ظهر لهم الخصام فيهم لما هو معهم من الله. والسلام مع الله يبدأ بمجرد إدراك الخصام معه عند مخاصمه.. فمن ذا الذي يخاصم الله على إدراك لفعله؟ إن المدرك لأنه في خصام مع الله هو في سلام مع الله. فقد وحد الله لأنه ربط نفسه مع الله، بربطها مع عقله ومع معناه، وربط عقله ومعناه مع الله، ما أدرك أن نفسه فيه إنما هي في قيام مخاصم لمعاني الحق فيه فراودها على أن تسجد للحق فيه وتسالم الله معه لتكون عبدا لله تراه وتسمعه.

هذه هي الرسالة التي تمهدون لها، والتي تقومون فيها، والتي تعملون بها لتكونوا من المسلمين.. وإن لكم منكم في هذه الدنيا وفي هذه الحياة ذوات حية، وأزواج منكم مرعية، وأبناء لكم أنتم عليهم في معاني الربوبية، فهلا حرصتم على هذا كله ودفعتم عنه البلاء فكنتم جنودا للسلام ولأنصار السلام ولعباد السلام من عالم السلام، فكنتم جنودا للرسالة الروحية، وكنتم عبادا لرب الروح ورب الملائكة والروح ورب الناس ورب كل شيء ورب الوجود الظاهر في كل شيء والظاهر في كل موجود، مع عباد له بهم يظهر خلقه من الناس، وبهم يقوم، وبهم يعمل وينتشر بنوره؟

لا تأخذوا هذه الألفاظ كلاما جميلا له رنين، وللنفوس إليه حنين، ولكن خذوها كلاما قيما قيوما، له في وجودكم وجود، وله عندكم إن آمنتم شهود. إن الذي هو أقرب إليكم من حبل الوريد، إن الذي هو معكم أينما كنتم، إنما هو معناكم، إنما هو إنسانكم، إنما هو وجودكم، إنما هو قديمكم، إنما هو قائمكم، إنما هو جديدم بعد قليل، إنه معاني الإنسان فيكم. فهلا عملتم لتصلوه؟ لتكونوه فتكونوا الإنسان؟ فتقومون بمعنى الإنسان؟

هذا ما أراده الإسلام بفطرته، ورسول الإسلام ببعثته، ومؤسس الإسلام بحقيقته، وقرآن الإسلام بشرعته، وقارئ القرآن في الإسلام بسنته، والمتحدث بالقرآن في الإسلام باستقامته، والقائم بالقرآن في الإسلام بإمامته...

فهل صدقتم، والإسلام في أنفسكم ولأنفسكم جددتم وجددتم، فشهدتم أن لا إله إلا الله في كل يوم، شهادة تنتظر التجديد والمزيد؟ وشهدتم أن محمدا رسول الله، وعلمتم أنه قديما شهد الناس أن محمدا منهم رسول الله، وحاضرا يشهد الناس أن محمدا رسول الله، وفي قابل سيشهد الناس أن محمدا رسول الله؟ إن شهادة أن محمدا رسول الله لا ينقطع قيامها، بل تتجدد مع تجدد الناس، وكانت ما كان الناس، وبقيت ما بقي الناس. هذا ما يليق بالفهم والطلب في شهادة أن محمدا رسول الله، وكلنا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ومعظمنا لا يشهد أن لا إله إلا الله

ولا يشهد أن محمدا رسول الله، فنريد بتواصينا بالحق أن نخرج من ظلام أنفسنا والانتقال من القول إلى الشهود، بشهود لا ينقطع مداه وعروج لا يتوقف مرتقاه.

هذا ما تأتي ببيانه اليوم السماء. وما أتتنا بخبره من قبل الأنباء. وما ستبقي تجدد بيننا السماء، ما أردنا السماء، وما نشدنا السماء، وما بقينا على الأرض سماء بعد سماء نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

اللهم اقشع فينا ظلام نفوسنا بإشراق نورك بفجر قربك في يوم لقائك وإنهاء ليلك.. لا إله غيرك ولا معبود سواك. كما بحمد رسولك وها نحن نطلبه منك لنا في أنفسنا لأنفسنا حقا منك، ورسول رحمة، وكتاب هدى، وفجر نور نحل به، ونفنى عنا إليه.

اللهم زده بك صلة لتزداد لنا به بك الصلة.. صلة منا بك به لترتضيه، وصلة به منك بنا لترتضيه.

اللهم إنا نشهد أننا لك خلق، وأننا بعبوديتنا لك نسعد، وأننا بخلقك لنا لنفسك وتعبيدنا لك منك حقائق وبيقينك في حقيقتنا من حقك نشهد أنه لا إله إلا أنت، وأنت حقا الأحد، وأنت في وجودك وجودا لنا الصمد.. اللهم بذلك فحققنا، وإليه فقونا، وإياه فأوردنا، واجعل بذلك خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك.. اللهم وفقنا لما تحب وترضى وأقنا فيما تحب وترضى والقنا على ما تحب وترضى ممن أحببت ورضيت. اللهم خفف عنا وعافنا من إقامة عدلك فينا وعاملنا برحمتك..

اللهم عافنا مما نحن له أهل وعاملنا بما أنت له أهل..

اللهم إنا بذنوبنا بين يديك نستغفر.. اللهم أيقظنا وأصلح شأننا وول أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا.. وكن لنا في الكبير والصغير من شأننا في حاضرنا وفي قابلنا وفي ماضينا برحمتك يا أرحم الراحمين..

أضواء على الطريق

من هدي القرآن:

١:

- {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}٣.
- رحمتي غلبت عذابي - {وما نرسل بالآيات إلا تخويفا}٤.
- {كل شيء هالك إلا وجهه}٥ - {والله من وراءهم محيط}٦.

• {إن الله بالغ أمره} ^٧

:٢

• {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم} ^٨

• {ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون} ^٩

• {فلينظر الإنسان مم خلق} ^{١٠}

• {منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى} ^{١١}

• {يوم تشقق عنهم الأرض سراعاً} ^{١٢}

• {خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً} ^{١٣}

• {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} ^{١٤}

• {والسماوات ذات الرفع والأرض ذات الصدع} ^{١٥}

• {لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين} ^{١٦}

• {وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً} ^{١٧}

:٣

• {ولمن خاف مقام ربه جنتان} ^{١٨}

• {لا يرون فيها شمساً ولا زمهراً} ^{١٩}

• {وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين} ^{٢٠}

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الكهف - ٢٦

٢ سورة البروج - ١٢-١٣

٣ سورة الذاريات - ٥٦

٤ سورة الإسراء - ٥٩

٥ سورة القصص - ٨٨

٦ سورة البروج - ٨٥

٧ سورة الطلاق - ٣

٨	سورة الأعراف - ١٧٢
٩	سورة المؤمنون - ١٠٠
١٠	سورة الطارق - ٥
١١	سورة طه - ٥٥
١٢	سورة ق - ٤٤
١٣	سورة الكهف - ٣٧
١٤	سورة الأنبياء - ١٠٤
١٥	سورة الطارق - ١١:١٢
١٦	سورة التكاثر - ٥:٧
١٧	سورة مريم - ٧١
١٨	سورة الرحمن - ٤٦
١٩	سورة الإنسان - ١٣
٢٠	سورة آل عمران - ١٣٣